

أَسْرَارُ النِّصَامِ الْإِغْوَى

عِنْدَ
مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِضِيِّ

وَمَكْتُوبَ
هَامِدِ مُحَمَّدٍ أَمِينِ شُعْبَانَ

١٩٧٩

الطبعة
عالم الكتب
٣٨ شارع محمد الخالوق قنوت - القاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه . وبعد :

كان يخيّل إلى مصطفى صادق الرافعي دائما أنه رسول لغوى
بعث للدفاع عن القرآن ، ولغته ، وبيانه . وكان يؤمن أشد الايمان
بتمكن العرب للغوى ، ويزهو بمستواه في ثقة واعتزاز . وقد وجدت
أن ماكتبته في تاريخ آداب العرب تحت عنوان « أسرار النظام اللغوى »
لم يكن الا معبرا عن جهد كبير في سبيل اثبات وتأكيد ما يؤمن به ،
وابراز نسقه بنهج يسيطر على وجوهه . ويكشف ما يرمى إليه من سمو
وجلال . ولكن هذا الجهد لم ينل من الباحثين ما يستحقه من البحث
الجاد ، والدراسة الشاملة ، ولم يتعرض الذين كتبوا عن حياة الرافعي
وتفكيره لبحثه في أسرار النظام اللغوى على الرغم من تميزه وأهميته ،
ولم يكشف أحد النظرية التي تمكنت من الهيمنة على تلك الاسرار ،
ووجهتها الوجهة التي تريدها ، أو يتناول ما بذله الرافعي في تجلية
ضروب نظامه ، وسيادة نظريته بالدراسة التي كنا نرجوها .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الرافعي كان عالما في العربية ،
أمكنته اللغة من قيادها . وألقت اليه بأسرارها . وأن كتابه تاريخ
آداب العرب من الكتب التي يعتمد عليها الدارسون . وأنه من الواجب
أن تعطى أسرار النظام اللغوى كل ما يستطاع حتى نعرف قدر الرجل ،
وندرك أثره ، ونصل بالحقائق اللغوية على هدى ورشاد . وحين
قمت بدراسة أسرار النظام اللغوى عند الرافعي استخلصت الكثير
مما ينبغي أن يعرفه الناس . وتبين لي ارتباط الاسرار بنظرية المناسبة ،
وقيام ضروب النظام اللغوى عليها بطريقة جعلت درسه مترابلا
متميزا .

وأدركت أنه يجب أن يحيط الطلاب بهذه النظرية ، ويدرسوا آراء
البحث اللغوى فيما ذكره الراجعى ، فذلك يتيح لهم أن يعلموا ما قدم
من جهود فى مشكلة المعنى ، وأن يخرجوا بحصيلة مثمرة من ثمار
الدرس اللغوى •

« وماتوغيتى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » •

د : حامد محمد أمين شعبان
كلية التربية — جامعة القاهرة
فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٩ م

مصطفى صادق الرافعي

ولد مصطفى صادق الرافعي بن الشيخ عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي في يناير عام ١٨٨٠ م في بهتيم من قرى محافظة القليوبية في منزل جده الشيخ الطوخى الذى كان يتاجر بين مصر والشام ، اذ أثرت أمه أن تكون ولادتها في دار أبيها (١) ، وهذه الام سورية الاصل كأييه الشيخ عبد الرزاق الرافعي الذى عمل بالقضاء الشرعى ، وأخذ ينتقل من بلد الى بلد رئيسا للمحاكم الشرعية ، حتى انتهى به المقام في مدينة طنطا ، وفيها قضى بقية عمره ، وفيها أيضا عاش مصطفى صادق الرافعي كل حياته الفكرية والادبية ، متخذًا طنطا وطنًا ومقامًا لا يعرف له وطنًا غيرها (٢) .

وقد تلقى دروسه أول ما تلقى على يد والده ، وكانت حافلة بتعاليم الدين ، وحفظ شيء من القرآن الكريم ، ودراسة بعض أخبار السلف ، كما كانت مليئة بحصيلة وفيرة من الثقافة الخارجية ، وثمار العمل في مجال القضاء الشرعى .

وتأثر مصطفى صادق الرافعي بما تجلى في والده من الورع والصلابة في الدين ، والشدة في الحق ، وأعجب بعزة نفسه ، وإباء روحه ، وعظمة طموحه (٣) ، وقوة جهاده . وأدرك أن الأسرة الرافعية التى ينتمى اليها نالت حظًا عظيمًا من الشهرة بفضل أبنائها من الاعلام المشهورين في شتى مجالات الادب ، وعلوم الدين ، والقضاء والسياسة ، وعرف أن ذلك يرجع الى حب العلم والتشبع عليه ، وتعشق الثقافة والتعود على التعلق بها حتى سيطرت على كثير من أمور القضاء الشرعى الامر الذى لفت نظر عميد الاستعمار البريطانى في مصر اللورد كرومر وربما أدخل الفزع في قلبه (٤) .

(١) محمد سعيد المرعيان : حياة الرافعي الطبعة الثانية ١٩٤٧
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ص ٢٧

(٢) نفسه ص ٢٥

(٣) نفسه ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠

(٤) د : مصطفى الشكعة : مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًا
ومفكرًا إسلاميًا جامعة بيروت العربية ١٩٧٠ م ص ١٧ ومحمد سعيد
المرعيان حياة الرافعي ص ٢٤

أما المدرسة فقد دخلها بعدما جاوز العاشرة بسنة أو اثنتين وهو
يتثبت بالطاعة ، واحترام الكبير ، وتقديس الدين ، والاقتداء
بالسلف (١) * ولكنه لم ينل من الشهادات الا الشهادة الابتدائية (٢) *

وكان لمكتبة أبيه أثر كبير فيما حصله ، فقد أقبل على ما فيها من
تراث انساني يجد فيه كل انسان مشغلا يضيء له سبيل البحث
والكشف والتجرد والابداع ، واستطاع أن يستوعب نواذر كتب
الفقه والدين والمربية ، ويحيط بكل ما فيها ، ويؤثرها على
ماسواها (٣) *

وعندما عين كاتباً بمحكمة طلخا الشرعية في ابريل سنة ١٨٩٩ م
لم ينقطع عن المطالعة والدرس يوما واحدا * ولكن لفترة الخصبة
المنتجة من حياته كانت في مدينة طنطا ، وفها انتقل من المحكمة الشرعية
الى المحكمة الاعلية بعد سنين ، وظل في محكمة طنطا الاعلية الى يومه
الاخير (٤) *

ونستبين، من حياته أن أسعد أوقاته هي الاوقات التي يثرى فيها
معلوماته اللغوية « بحفظ القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية ،
ومواقف الاعلام في التاريخ الاسلامي ، وحفظ أكبر قدر من شعر
القدامي والمحدثين ، وخطب العرب ومعاوراتهم ، ومناقراتهم في
الجاهلية ، ودرهم الفطابية في الاسلام » *

لقد كانت هذه الثقافة * هي التي خلقت عند الراقمي نظرية
المرج بين اللغة والدين ، فكل من يحاول الاعتداء على اللغة أو الغض
من شأنها أو النيل من قدرها ، فانما هو يحارب الاسلام علنا أو
استتارا ، وهي نظرية أثبتت الايام محنتها (٥) * *

(١) محمد سعيد العريان : حياة الراقمي ص ٢٨

(٢) نفسه ص ٢٨ ، ٢٩

(٣) نفسه ص ٣٠ ، ٣١

(٤) نفسه ص ٣٤ ، ٣٥

(٥) د : مصطفى الشكعة : مصطفى صادق الرافعي كتابا عربيا

ومفكرا اسلاميا ص ٢٠

وكثير من مواقف الرافعي تدل على أنه كان خير حارس للغة ، وأقوى مدافع عن لسانها . فقد واجه الذين يناصرون العربية العداء بكل ما استطاع بعد أن تبين له أن هناك مؤامرة متعددة الأطراف متباعدة الأساليب تنتهي إلى هدف واحد هو إعلان الحرب على اللغة العربية ، والتيل من العقيدة ، والدعوة إلى تحقير كل ما هو شرقي . وبدأ التآمر على اللغة في شكل دعوة إلى العالمية أو تشويه اللغة العربية السليمة بالتخليص من الأعراب ، وبدأ أن الاستعمار يؤازر ذلك ، ويود عزل سلطان القرآن الكريم عن قلوب الناس (١) .

وظهر بعض الكتاب يقول في الحملة على اللغة العربية « لنا من العرب النماذج ما نأخذ منّا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية ، وهي لغة بحوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كمثل التي نعيش بين ظهرانيها الآن (٢) » .

وكان الرافعي يرد على صور التعامل بقوة ، ويواجه التآمر بحجج ساطعة ، ودفاع متين يوخّض الممارك القلمية الفكرية الضارية من أجل لغة القرآن والحضارة معلناً أن اللغة إنما هي « مظهر من مظاهر التاريخ والتاريخ صفة الامة ، والامة تكاد تكون صفة لغتها لأنها حاجتها الطبيعية التي لا تنفك عنها ، ولا قوام لها غيرها ، فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الامة واتصال الامة بها وجعلتها الصفة الشاذة التي لا تزول الا بزوال الجنسية ، وانسلاخ الامة من تاريخها واشتمالها على جلدة أمة أخرى (٣) ولا يتخلى الأديب عن إبراز اعتراضه وفخره بالقبلة التي يتجه إليها ، ولا ينسى الرسالة التي يؤمن بها ، والغرض الذي يجاهد من أجله . يقول في وحي القلم (٤)

(١) نفسه ص ٣٢ ، ٤١

(٢) نفسه ص ٣٦ . والكتاب المذكور هو الكتاب سلامة موسى انظر رد الدكتور مصطفى الشكعة عليه في نفس المرجع .

(٣) مصطفى صادق الرافعي تحت راية القرآن الطبعة الاولى سنة ١٩٢٦ المطبعة الرحمانية ص ٤٨

(٤) مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم تحقيق محمد سميد العريش الطبعة الثالثة ١٩٥١ مطبعة الاستقامة ج ٢ ص ٢٠٠ وحياء الرافعي ص ٢٢٩

« والقبلة التي أتمج إليها في الأدب، إنما هي النفس الشرقية في دينها وفنائها، فلا أكتب إلا ما يقيقها حياة، ويزيد في حياتها، وسمو غايتها، ويمكن لغضايلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أفس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا. ثم يخيل إلى دائما أنني رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه فأنا دائما في موقف الجيش (تحت السلاح) له ما يعانیه وما يحاوله ويقي به وما يتحفظ فيه، وتاريخ نصره وهزيمته في أعماله دون سواها ».

« والعقيدة واللغة عند الراجعي تؤمان لا يفترقان، وهو يرى أن الاعتداء على واحدة منهما اعتداء على الأخرى. وهو في ربطه بينهما حتى في مجال السياسة يقول (١) : « والذي أراه أن نهضة الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الركبان الخالدان الدين الإسلامي واللغة العربية. وما عداهما فحصى ألا تكون له قيمة في حكم الزمن الذي لا يقطع بحكمه على شيء إلا بشاهدين من المبدأ والنهاية » (٢).

والحق أن ما قاله الراجعي كان دفقة من دفقات الروح المتوهجة، وتوقدا من توقدات ذهن المبدع، واشراقا من اشراقات النفس الصائبة التوافقة إلى الكمال الاسمي والخير المطلق.

وكتابه تاريخ آداب العرب قدم الكثير لخدمة اللغة العربية، ويذكر من تحدثوا عن حياته واستقصوا من أخباره الكثير أنه في عام ١٩٠٩ م كتب الراجعي مقالا في الجريدة ينعى فيه على الجامعة المصرية التي أنشئت عام ١٩٠٧ بعض مناعجها في تدريس الأدب وتاريخه، فكان أن أعلنت الجامعة عن تأليف كتاب في تاريخ الأدب، وحددت مدة سبعة أشهر كما جعلت جائزة الكتاب الفائز مائة جنيه، ثم قامت بعد الأجل إلى سنتين ورفع الجائزة إلى مائتي جنيه. وكتب الراجعي يسخر من

(١) مصطفى صادق الرافعي : وحى القلم الطبعة الثالثة ج ٣

ص ٢٠٠

(٢) د : مصطفى الشكعة : مصطفى صادق الرافعي ص ١٤٤

وانظر محمد سعيد المريان حياة الراجعي ص ١٤٨

للجامعة ، ومن المدة المحددة ، والجائزة المفوضة ، وكان يطمح في أن يؤلف الكتاب ، ويعهد اليه بتدريسه (١) ٥٥ وقد انقطع الرافعي لتأليف كتابه من منتصف سنة ١٩٥٩ ، الى آخر سنة ١٩١٥ ، وفي سنة ١٩١١ طبع الكتاب على نفقته قبل الاجل الذي حددته الجامعة ، ولذلك لم يتقدم اليها به قبل طبعه ترغما عن قبول الحكم فيه لجامعة ليس منهم من هو أبصر منه بالمحكوم فيه (٢) •

والظروف التي أحاطت بهذا الكتاب تدل على أهميته ، ويذكر محمد سعيد العريان أن « مقالات الرافعي في « الجريدة » ، وكتابه « تاريخ آداب العرب » من بعد ، هما السبب في تدريس الآداب العربية وتاريخها في الجامعة المصرية وهما السبب كذلك في وضع ما وضع من الكتب في هذا العلم » (٣) •

ويبدو أن ما في الكتاب من سناء وبهاء وأحاطة حسنة بكثير من أمور اللغة وغيرها قد جلب الرأي الم محمود والثناء المستطاب ، ورفع صاحبه مكانا عليا ودفع كثيرا من الباحثين والادباء الى الاشداء به وتقدير منزلته (٤) •

« وفي السنة التالية أصدر الرافعي الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب وموضوعه اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وهو الذي أصدره من بعد في طبعته الثانية باسم اعجاز القرآن ، وباسمه الثاني يعرفه قراء العربية » (٥) •

أما الجزء الثالث فقد مات الرافعي وفي مكتبته أصوله ، وتم طبعه سنة ١٩٤٥ ومما يجدر ذكره أن الجزء الاول يحتوى على بابين أولهما

(١) محمد سعيد العريان : حياة الرافعي ص ٦٥ — ٦٦ و د : كمال نسلت مصطفى صادق الرافعي : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر مصر ١٩٦٨ ص ٦٧ و د : مصطفى الشكعة مصطفى صادق الرافعي ص ١٩ — ٢٠

(٢) محمد سعيد العريان : حياة الرافعي ص ٦٧

(٣) نفسه ص ٦٧

(٤) نفسه ص ٦٨ — ٦٩ و د : مصطفى الشكعة : مصطفى صادق الرافعي ص ٥٤

(٥) محمد سعيد العريان : حياة الرافعي ص ٦٩ — ٧٠

كما ذكر الرافعي في تاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك •
وثانيهما في تاريخ الرواية ومشاهير الرواة وما تقلب من ذلك على
الشعر واللغة •

وبحثنا يتناول مكتبته الرافعي في الجزء الاول من تاريخ آداب
العرب تحت عنوان أسرار النظام اللغوي ، وهو في رأينا دراسة هامة
تعد خير الدراسات التي كتبها الأديب الكبير في تاريخ آداب العرب ان
لم تكن أفضلها على الإطلاق • وسنجلي أسباب ذلك في دراستنا
للأسرار ، وما تحمله من نظرية فرضت سيطرتها بصورة تعبر عن الترابك
والشمول ، وتدلل على نهج قوى في الدرس اللغوي يشير الى السمو ،
والحضارة ، والتمعق ••

لقد كتب الرافعي مؤلفاته وزاد بيانها الادبي والفكري بأسلوب
بليغ ، حتى نابض بالحياة ، لم يستصعب عليه أعمق المعاني بولم يشمس
على قلمه أدق حركات الفكر وأعمق خلجات النفس الانسانية •

ولسنا في حاجة الى تفصيل الحديث عن آثاره الادبية فقد تولى
ذلك من قبل الأستاذ محمد سعيد العريان (١) • وحسبنا ما قدمناه من
اشارات لا بد منها تعين على معرفة أساليب اهتمامه باللغة وأسرارها •

وفاته :

توفي في ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ ، وكان في السابعة والخمسين من
عمره ، وقد دفن جوار أبوه في مقبرة الرافعي بطنطا وترك وراءه
عشرة من أولاده (٢) ولم ينل ما يستحقه من الوفاء وواجب الذكرى •

(١) نفسه ص ٣٤٩ - ٣٥٣ ومن أهمها : ديوان الرافعي في ثلاثة
اجزاء وديوان النظرات ، ومملكة الإنشاء ، وتاريخ آداب العرب ، واعجاز
القرآن ، وحديث القمر ، والمساكين ، ورسائل الأحزان ، والسحاب
الاحمر ، والمعركة تحت راية القرآن ، وعلى السفود ، وأوراق الورد ،
ووحى القلم ، وأسرار الإعجاز ، وديوان أغاني الشعب •

(٢) د : كمال نشأت مصطفى صادق الرافعي ص ٢٤

الفصل الأول

الرافعي وأصل اللغة وكمالها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه . وبعد :

كان يخيل الى مصطفى صادق الرافعي دائما، أنه رسول لعوى
بعث للدفع عن القرآن . ولغته ، وبيانه . وكان يؤمن أشد الايمان
بمفهوم العرب اللعوى . ويبره بمستواه في ثقة واعتزاز . وقد وجدت
أن ماكتبته في تاريخ آداب العرب تحت عنوان « أسرار النظام اللعوى »
لم يكن الا معبرا عن جهد كثير في سبيل اثبات وتأكيد ما يؤمن به .
وأمر أسعفه بهج سطر على وجوهه . وكشف ما يرمى اليه من سوء
وچلال . ولكن هذا الجهد لم يدل من الباحثين ما يستحقه من البحث
الجدد ، والدراسة الشاملة . ولم يتعرض الذين كتبوا عن حياة الرافعي
وتمكيته لبحثه في أسرار المظلم اللعوى على الرغم من تميزه وأهميته ،
ولم يكشف أحد النظرية التي تمكنت من الهبة على تلك الاسرار .
ووجهته الوحده التي نريدها ، أو نقنن مابدله الرافعي في تجلبيه
صروب نظامه . وسناده نظريته بدراسة التي كد نرجوها .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الرافعي كان عالما في العربية ،
أمكنته اللغة من قياده . وألفت اليه بأسرها . وأن كتابه تاريخ
آداب العرب من الكتب التي يعتمد عليها الدارسون . وأنه من الواجب
أن تعطى أسرار النظام اللعوى كل مااستطاع حتى يعرف قدر الرجل .
وبدرك أثره . وبصنـهـ الحقائق اللعوية على هدى ورشد . وحين
قمت بدراسة أسرار النظام اللعوى عند الرافعي استخلصت الكثير
مما يسعى أن يعرفه القاس . وتبين لي ارتباط الاسرار بنظرية المناسبة
وغمام صروب النظام اللعوى عليها بطريقة جعلت درسه مترابطا
متميزا .

لا يمكن تجنبه نظرية الراجعي التي اعتمد عليها في ابراز أسرار تمدن النظام اللغوي الا اذا قمنا بتوضيح رأي هذا الباحث في أمرين لهما أثر كبير في حقيقته وهما :

١ — أصل اللغة

٢ — كمال اللغة

الراجعي وأصل اللغة

يعرف البحث في أصل اللغة وتنشأها استنادا الجدل بين نظريتين تمثلتا مفكرين ، والنظرة الاولى ترى أن الله عز وجل هو الذي أوحى إلى البشر باللغة ، ولنظرية اثنىة نذهب إلى أن اللغة من اصطلاح لفاس وتواضعهم . وقد مرر اصطلاح اساس على اللغة بأوجه كثيرة مختلفة (١) .

ويرى الراجعي أن القول بأن اللغة وحي وتوقيف من الله في الوضع أو في الموضوع — يذهب إلى أن الانسان كان محاطا بالسكوت المطلق (٢) ويقرر أن هذا القول صم هو من باب التقوى التاريخية لا أكثر « لأن الانسان خلق مسنعا مفردا ، يصير بعد ذلك للمجتمع ، ويجري في كماله المتسوم له على سنة الله التي لم تتبدل ، ولن تجد لها تبديلا ، وهذه السنة هي أن المتغير لا يوجد كاملا بل لابد له من نشأة يمر في أدوارها حتى يتحقق معنى التغير فيه » (٣) .

وأصل هذا المذهب في رأيه كن مبالغة في تصور الاستعداد الانساني ، لانه الهام لامرية فيه : أما أهله لهم منتقسمون ، فمنهم من يقول بأن الانسان ألهم اللغة نفسها ، ومنهم من يقول بأنه ألهم أصول المواضع .

(١) د : محمود السمران : علم اللغة مقدمة للتاريخ العربي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م ص ٥٥
(٢) مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٤٦
طبعة دار الاخبار بمصر ١٩١١
(٣) المصدر السابق ص ٨ — ٩١

واستحقيقة عند الرافعي أن الإنسان ملهم بفطرته أصول الحية ، وببينة اللغة بكثير من أن تكون بعض أدواتها التي تعين عليها ، وهي في كل أمة على مقدار ما تبلغ من الحياة الاجتماعية قوته وصعفا ، وإذا كان من أصول الحياة الاجتماع فمن أصول الاجتماع اللغة ، وهذه من أصولها الموامعة ، فاللغة ست لاجتماع (١) ، ويحاول البحث أن يفسر الطريق الذي سلكته اللغة ، فيؤكد أن اللغة كلها حكية للطبيعة ، ويقرر أنه أن كان ثم توقيف أو وحى فإنه يكون في هداية العقول إلى أسرار هذه الحكاية (٢) .

وواضح أن هذا بحث عن وجه نظرية التوقيف ، فالتوقيف أو الوحي الذي يقصده الرافعي منسوبة إلى الحكاية ، أما يقتضيه أنه لابد « في استكناه منطق الطبيعة من أدهن اشعاف ، والبصيرة الباقدة ، والالهام الحمى الذي يشبه أن يكون قبسا من النور الإلهي ، يضيء بين العقل والقلب ، فلا يقع شعاعه على جهة من الطبيعة إلا كشف منها عن معاني الأسرار الأكلية » (٣) .

ويتناول الرافعي الأصوات أصواتية ، والأصوات الطبيعية الأخرى ، ويذكر أن أقرب ما يصح أن نلظن مما لا يبعد أن يكون الوجه المتقبل — أن الأصوات الحيوانية هي المثال المحتدى في لغة الإنسان لأنها محيطة به تتقلب على سمعه كلما سمع ، خصوصا والإنسان في أول اجتماعه مضطرب لمخالبة الحيوان (٤) . وأوائل الالتقاط « التي نطق بها الإنسان ، وأدارها على معان متنوعة ، هي العاطف الإحساس ، وما يصرح به عن أوجدان على الصور البسيطة التي لا يزال أكثرها مراثا في الحس كله على تباين اللغات ، وهي التي تشبه في تركيبها مقاطع لصوت الحيوان . إذ يكثر فيها الحرف الهائوي الذي هو أحف الحروف ، بل هو الصوت الطبيعي في الحياة ، وهو حرف اللين بأنواعه الألف ، وأواو ، وأليا .

(١) مصطفى صادق الرافعي — تاريخ آداب العرب

١ هـ من ٤٦ — ٤٩

(٢) المصدر السابق من ١٧٤ — ١٧٥ وانظر من ١٨١

(٣) المصدر السابق من ١٧٥

(٤) المصدر السابق من ٤٩

وماعد هذا الحرف فقلما يكون فيها الا حروف الحلق ، كالعين ،
والعين ، والهاء ، والحاء ، لانها قريبة من الحجرة ، وذلك في الانسان
نحو آه ، وأح ، وأمثلة من المقاطع الصوتية التي لا يزال الانسان
يعسر بها عن أنواع من الاحساس الى اليوم . ولما أدرك الانسان
حقيقته هذا الاستعمال ، ونقل فيه ، واصطلحت عليه اجماعات منه .
فتق له استعدادهم ان يتأمل في الاصوات الطبيعية الاخرى من
قصف لرعد ، وانقصاص الصواعي . وخرير الماء ، وهزير الريح ،
وحفيف الشجر ، واصطكاك الاجسام . وما اليها من أصوات هذه
اللغة الجامدة ، وهي ربما تبلغ المئة عدا ، مثلدها ، واعتدى بها
الى مخرج حروف أخرى غير التي تنهى في الاصوات الحيوانية بمدايرها
لسانه ، وأبتدأ يجمع بينها على طريق المحاكاة ، دالا بالصوت على
محدثه . . . وهذه العادة كانت بدء اختراع اللغة ، أي حين كانت
حاجات الاجتماع قليلة . لا تتجاوز الاشارة الى أمهات المعاني الطبيعية
بالمقاطع الثنائية ، كأنهمال المطر ، وانفلاق الحجر . وانكسار الشجر .
وأمثاله ، فما بدأ الاجتماع يرتقي بنسبة أحوال الانسان يومئذ بدأ
الاختراع الحقيقي في اللغة ، وأمثل ما يظن في ذلك أن الانسان جعل
يقب المقاطع الثنائية انى عرفها على كل الوجوه التي تحدثه آلات
اصوت ، قلما استتم صورها ارتحل المقاطع الثلاثية ، نذارت بهب
الحروف دورة جديدة ، وفشت ألفاظ أخرى غير التي عهدوا ، وكان
ذلك ابتداء تسلسل اللغة فتواصعوا على اعتبار المقطع الثنائي أصلا في
مدوله ، كلف مثلا حكاية صوت انقطع ، ثم جعلوا كل صوره تتحصل
من رمادة حرف عليه فراغا من هذه لدلالة ثم استقصوا في الاستعمال
على هذا التركيب بالقلب ، والابدال ، وبذلك اعتدى الانسان الى سر
الوصع . . . » (١)

واهتمام الرافعي بالالفاظ الطبيعية الاولى التي كانت من حاجة
الانسان أول عهده بالتعبير كالقطع والكسر والهدم والشق والحرق . .
دليل على أن الرخص قد اطمأن اليه كون اللغة حكاية للشيء ، فهذه
الالفاظ عنده هي المعاني الوحشية في لغة الانسان ، ثم لما انتقد الوضع

بهذه الطريقة لاهل اللغة جعلوها من سعتهم . وقلبوا عليها الالفاظ
الاجرى مما ليس مسيل من تلك لحنى (١) .

وهو يدعم مدعيه بكل ما استطاع . ففى ضوء الطريقة التى عسر
مها كشفه اهتداء الاسس الى سر الوضع . واستنادا الى ما حققه علم ،
طبقات الارض وغيرهم (٢) يذكر أن اللغة ثلاثة عصور . هى عصر
اتوحش ، وهو احدى حرجت فيه الاصوات الوحشائية مصحوبة
بالاشارات أولا ، ثم استقلت هذه أولا . والعصر الحجرى وهو الذى
ابتدأ فيه الانسان بنحت من المقاطع الحيوانية والطبيعية لغته الاولى .
والعصر البرنزى الذى يدخل فيه شئ من لصناعة . وهو العصر الذى
اهندى فيه ، الانسان الى الربادء على المقاطع الثنائية ، وصنعة الالفاظ
على هذا الوجه ، ثم انقادت له انلعة وتمسكت ، وذلك عصره الحديدي
ذى ابتدا مع التاريخ (٣) .

وبعد اراعى التغير حقيقة الاصطلاح والمواضع ، ويرى أن
الانسان « لما ارتجل المقاطع الثلاثية دس بها على معان محصورة في
حدود نظامه الاجتماعى ، ثم شرب في الكلام بمقدار ما يجد من امره ،
وما يقتنه اليه من حقائق الموجودات ، التى تكشفه بنفسه ، وما
يقتضيه التبسط في ملهى اجتماعت شبد حشينا . وذلك على طريقة
تكرار الالفظ ، وتويعها لمعنى مختلفة بدلالة القرينة » (٤) .

وعنده أن اللغة في طورها الصناعى الذى يحققه الارتقاء ،
والوصول الى أعلى سلم الاجتماع الصبغى — نجرى عليها احكام
الاستعاق ، والبحث . والفلف . والامدال . ويمط الرمن عمله بها
كما يفعل في تكوين الجماعات ، وبذلك تتنوع وتنشأ منها اللغات
الكثيرة (٥) .

-
- (١) المصدر نفسه من ١٨٠
(٢) المصدر نفسه من ٥١ — ٥٢
(٣) المصدر نفسه من ٥٢
(٤) المصدر نفسه من ٥٤
(٥) المصدر نفسه من ٥٥

واللغة يدعى هذا اباحت بت الاجتماع ، تلفي لدلالة خاصة يعينها الاصطلاح العرفي بين المتكلم والسامع ، وهذا الاصطلاح عمل اجتماعي محض (١) .

أما اختلاف اللغات فهو عمل صناعي تكيفه حالة الاجتماع كما تكيف سائر الأحوال من العادات وأمثالها ، ولهذا كانت حقيقة معنى اللغة أنها مجموع العادات الخاصة بطائفة من طوائف الاجتماع (٢) .

موقف الراقعي ورأى البحث اللغوي

ومقاله الراقعي يستحق التحقيق ، لانه أساس نظريته في أسرار النظام اللغوي ، ولا بد أن نضعه أمام بحوث علم اللغة ، لنحاول الوصول الى ما يرجوه .

ويبدو أنه وجد في نظرية المحاكاة أو التقيد الصوتي من الوجاهة والمناسبة ما عمله بظنن لها ويؤكد لها في عدد من المواضع (٣) .

وفي رأيه أنه متأثر بما ذكره ابن حسي في حديثه عن تلك النظرية معزوا لبعضهم . يقول في الخصائص (٤) : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، وحين ارعد وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق العرب ، وصهيل العرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك همه بعد . وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبول » .

وابن حسي يقرر أنه يجوز في انقول على اللغة أن تكون مواضعة ، كما يجوز أن تكون إنهاما ، فالامران جئزان في رأي هذا العالم ، لانه

(١) المصدر نفسه ص ٥٥

(٢) المصدر نفسه ص ٥٥ — ٥٦

(٣) المصدر نفسه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٨٠ ، ١٨١

(٤) ح ١ ص ٤٦ — ٤٧

يقول (١) : « قد تقدم في أول الكتاب القول على لغة أنواصع هي أم
لهام ، وحكيما وجوربا فيها الامرس » . وهذا يدل على أنه مرر
الوقف . وعدم الجزم بأحد الامرين احيرا . والفرق كبير بين ما انتهى
اليه . وما فرره الرامعي ، وان ذكرنا أنه تأثر بقول صاحب الحصائص
الذي نقلناه ، والذي بين أن اللغة في مذهب بعضهم تقليد للاصوات .

ولقد سبق المرحوم جورجى زيدان الرامعي في الاهتمام الكبير
بنظرية المحاكاة والفلسفة اللغوية . فكتابه الفلسفة اللغوية صدر في
بيروت سنة ١٩٨٦م وفيه شرح لذهب المحاكاة يعبر عن الايمان
الشديد بها . فهو يقرر أن « لعمتنا مؤلفة أصلا من اصول محصورة عدا
أحدية المقطع معطما مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية ، وبمعصها
عن الاصوات انحصارية أتى يطق بها الانسان عربيا » (٢) . ويرى
أن الالفاظ المتقاربة لفظا ومعنى هي تنوعات معط واحد . . والتنوعات
قد حصلت بموجب ماموسين عظيمي الاعتبار هما انطب والابدال (٣) .
أما الالفاظ المنعقة الدالة على معنى في نفسها مجرد معطما بالاستعراء
الى اصول ثابتة احادية المقطع تحاكي أصواتا طبيعية (٤) . والتقليد
هو أساس اللغة . وأصل شأنها ومدار ارتقاؤها (٥) . والكلام في تاريخ
اللغة يقسم الى دورين (١) الدور التقليدي (٢) الدور النطقى (٦) .

ويحاول زيدان بكل ما استطاع أن يدعم نظرية المحاكاة فيقول : (٧)
« وقد يعسر التسليم بشيء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها لأنها
لا تكاد تذكر باللسنة الى الالفاظ اللثة واشتقاقها وأنواع تمييزها مما
بعد بمئات الالوف على حين أن الاصوات الطبيعية لا تكاد تزيد على
المائة والجواب أن ذلك طبيعي يتناول سائر الاجسام الحية
وما ينمى بها فكلها تنمو وترتقى وتتفرع وشكائر جريا على ماموس

(١) الحصائص ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) جورجى زيدان : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية —
الطبعة الثانية مطبعة الهلال بالقاهرة بمر سنة ١٩٠٤م ص ١٩

(٣) نفسه ص ٢٠

(٤) نفسه ص ٥٤

(٥) نفسه ص ٧٨

(٦) نفسه ص ٧٨ وانظر المصطلح ص ٧٨ — ٨٥ وما بعدها

(٧) نفسه ص ٨٤

الارتفاع العام .. » ويؤكد هذا البحث أن اللغة الطبيعية تنوعت تبعاً لاحتياجات الإنسان بوسائل النمو المختلفة (١) ويشير إلى أحوال اللغات ، منتها إلى أن جملة القول « أن من الأمور الراجحة قياساً ، والجبية استقراءً أن نكتا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة أحادية المقطع ثنائية الأحرف في الأغلب . معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها من المفالط الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزياً . وأنه من هذه الأصول القليلة قد نشأت وارتقت بارتقاء أفكار المتكلمين بها ، وتعددت ألفاظها بتعدد احتياجاتهم » (٢) .

وفي كلام الرافعي ما يدل على أنه استمد ما ذكره جورجى ريدان بعض الأمور مثل التنوع بالنص والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الإنسان (٣) والأمثلة التي ذكرها عن أهل استراليا ، وغيرهم (٤) والدلالة الحسية والدلالة المصوية (٥) . ولا نستبعد أن يكون الرجلان قد اطلعا على ما كان متداولاً بين علماء العرب في زمنهم عن طبيعة اللغة ووظيفتها ، واستمدا الكثير مما كتبه المستشرقون عن اللغة العربية . وإن كان لبعض علماء القداماء فصل كبير في إبراز النظريات (٦) بصورة تدل على السبق وسعة الأفق وأياً ما كن الأمر من بعض الباحثين يرى أنه يمكن الاعتماد على نظرية المحاكاة في فهم الطريقة التي يمكن أن يكون الاتصال قد اتسعا في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة ، وهي التي يصح أن نعتدها أدنى نظريات البحث في نشأة اللغة إلى الصحة ، وأقربها إلى المطلق السليم ، وسنة اشهر والارتقاء في نشأة اللغات (٧) .

(١) نفسه ص ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤

(٢) نفسه ص ٩٧ — ٩٨

(٣) انظر الفلسفة اللغوية ص ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤ وتاريخ آداب العرب للرافعي ج ١ ص ٥١ ، ٥٥

(٤) انظر الفلسفة اللغوية ص ٨٥ وتاريخ آداب العرب للرافعي ج ١ ص ٥٢ — ٥٤

(٥) انظر الفلسفة اللغوية ص ٧٥ وتاريخ آداب العرب للرافعي ج ١ ص ٥٤

(٦) انظر الخصائص لابن خلدون ج ٢ ص ١٢٢ وما بعدها وص ١٤٥ وما بعدها و ص ١٥٧ وما بعدها .

(٧) د. علي عبد الواحد وافي : علم اللغة — الطبعة الثانية — نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤م ص ٧٨

ولا رب عندى فى أن ما أنت به هذه النظرية من المناسبة بين
اللفاظ والمعنى — قد استحوذ على الراعى • ومن المعروف أن
نظرية المحاكاة إنما هى فرض فى كيفية نشأة اللغة فى رأى أصحاب
الاصطلاح • ولكن الراعى جعلها تهيم على الدرس اللغوى ، ومدها
الى جوانبه بمستوى منفرد به ، ومهيج عبر عن تعمقه • واجتهاده فى
تجلية أسرار اللغة •

ومن غير شك أنه لاحظ أنه من العسير أن تكون المشابهة تامة
فى المحاكاة وأن جعل اللغة تخضع للمستويات التى وجدها وارتضاها
— يدعم نظرية المناسبة ، ويدفعها الى ابرار صور التمدن •

ويمكننا أن نؤكد أنه لم يقبل ما ذهب اليه بعضهم من أنه يبدو
سفيفاً أن يكون الترتيب التاريخى لنشأة الكلمات هو أن تبدأ عن طريق
الحيوان الأدنى أو غيره • •

ثم يأتى بعده الانسان مصحح لغته عن طريق تقليده (١) له ، لأنه
ذهب الى أنه لا يبعد أن يكون الوجه المتقبل أو الاصوات الحيوانية هى
النماذج المتخذة فى لغة الانسان • • ولعله قد غفل الى أن تقليد الانسان
للحيوان لا بصيره فى شئ • ، فلما يستطيع أحد أن ينكر صورة التقليد
فى قصة ابني آدم • قال تعالى : « فطوت له نفسه قتل أخيه قاتله
فأصبح من الخاسرين معث الله عربا ببغث فى الارض ليريه كيف
يوارى سواة أحبهما أصبح من المادمين (٢) » •

وأمر التقليد للطير فى محاولة الانسان التطور والرفى بلطيران
واضح لا يحتاج الى بيان •

وموقف الراعى يدل على أنه لم يقلل الاعتراض على نظرية
المحاكاة بأن اطلاق الاصوات اتى لا معنى لها الخاصة ببعض المخلوقات
على المخلوقات ، أو حركة أصواتها ، أو نتيجة الصوت — يجعل الصوت

(١) د . ابراهيم انيس دلالة اللفاظ نشر مكتبة الانطو — الطبعة
الثانية ١٩٦٣ م • ص ٢١ — ٢٢
(٢) المائدة الآية ٣١

انذى لا معنى له في نشأته ، له معنى حقيقي في عم المقلد . وفي عمل من يسمعه . * ولعله تأمل في لغة الاطفال الصغار ، وتبين له أن لهم طريقة في حق كلمات لم نسمع قط من قبل ، وادرك ربضهم بعض المعاني بمجموعة من الاصوات التي لا معنى لها في الاصل ، ثم انتقل بالاصوات المهمة بفضل الممارسة التي حدا اليه بها الانسان دون سائر الحيوانات ، فأصبحت تلك الاصوات دالة على معنى ، هو مصدر الصوت أو ما يتصل به . * يقول الاديب الباحث (١) « مدح حق الانسان خلقت الاصوات وهي مادة اللغة ، ولكن الطفولة الفردية تدس على أن الطفل يبتدىء من أبسط درجات النطق الطبيعي الذي هو محض أصوات مصوغة بصيغة من الشعور تكون هي حقيقة الدلالة المعنوية فيها فيكون كأنما بهم المنطق بهذه الاصوات التي هي لغة روحه ثم يدرك معنى تلك الدلالة ، ويميز بين وجوهها المختلفة ثم ينتهي الى الفهم بمقدار حوه في طريقة الببان عنها بالالفاظ متوسعا في ذلك على حسب ما يتسع له من معاني ، لحياء انى أن تنقاد له اللغة التي يحكيها ، ولولا التقليد الذي فطر عليه ما بلغ من ذلك شيئا » .

ويرى بعض الباحثين أنه يجب ان يكون في الحساب مراعاة عدم وضوح الصوت المحكي ، وأن ما يدرك يختلف فبعض كل واحد بمقتطع أو صوت يحكي ما أدرك فيكون الاختلاف . * والاسماع لا يمكن أن تتفق تمام الاتفاق ، وكذا أدوات المحكي ليست عند الناس سواء ، أما الاجو * المخططة فلها دخل كثير في وضوح الصوت أو عدم وضوحه . والمحكي قد يكون لسانه بعض عز كالسمع تماما ، وأسماع الحاكمين في القديم تختلف عن اسماعنا . وكل هذه الجوانب تقتضي الجأينة في المسموع ، ومن هنا قد تأتي بعض اسباب اختلاف اللغات في المعنى الواحد . ولا يجب أن نهمل أن الالفاظ دحها أنواع من التعبير تمايزت عليها في صورها ومعانيها ، وصارت علامات للأشياء أو الصنات من غير مراعاة المناسبة الصوتية (٢) .

(١) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٤٦

(٢) عبد الله المزاري : فقه اللغة — نشر الجامعة الاسلامية —

وعندما يتناول نظرية المناسبة ، والآراء التي تعرضت بها بسدرث أن المرامي أسرف في حمل اللغة كلها حكاية للطبيعة ، ون كان له في ذلك انشاع مبني على القياس - وامتداد يستفيد من مستويات المحاكاة ويجعلها ضروري من القدرة ، واللون من يتطور ، ووجودها من الفقه في الدرس اللغوي تعسرها وتقودها . وجهده في تفسير مذهبه ومساندته بكل ما استطاع عرب تصور مشأه اللغة . وحمل نظرية لمحاكاة أدبي إلى طبع اللغويات بصورة تشهد بفصله وبراعته في هذا المجال . يتوهم الرجل (١) ، وأغرب ما يصح في الفن مما لا يبعد أن يكون النوحه المقبل . وأن كان الظن لامعنى من الحق شئ أن الأصوات الحيوية هي المثال المحذى في لغة الأسان » .

والحق أنه وإن لم يقدم دليلا بقبينا ، فإنه لم يلجأ إلى العموم والايهم الذى وجدناه في بعض النظريات الأخرى (٢) ولم يسلك مسلك غيره في الأسراف في الافتراضات (٣) . ولم يعبأ بالمشكلات والاختلافات التي دعت بعض لطلما إلى الانصراف عن البحث في نشأة اللغة (٤) بل أراد أن يوجه أسس إلى ما حققه اجتهدده . وأن يرشددهم إلى رفض مطلق الاستسلام وأن عترف بأن الفائده التي حققت كانت نظرية . . أنه بدأ بحثه في أصل اللغات بتأكيد أن اللغة بنت الاجتماع ؛ ثم ذكر أنه إذا كان أصول أصابة الاجتماع فمن أصول الاجتماع اللغة ، والذي يذهب إليه أعلم حديثا « هو أن اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية ، ومعنى هذا أنها من صنع المجتمع الانساني ، ولا يعرف مجتمع انساني من أقدم عصر سجله التاريخ ملا لغة باصحة التكوين » (٥) .

وهذا يؤيد ما قلناه صاحب تاريخ آداب العرب في أمر اللغة والاجتماع . وكرره - ليوجهنا إلى أنه هو الذى يعول عليه في هذا الشأن .

-
- (١) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٤٩
 (٢) أسطر دلالة الإلفاظ : د. ابراهيم انيس ص ٢٥ وعلم اللغة :
 د. علي عبد الواحد واو ص ٧٤ ٧٧
 (٣) أسطر عند الله العرازي : منه اللغة ص ٢٨ — ٢٩
 (٤) انظر السيوطي : المرهم ج ١ ص ٢٦
 (٥) د. محمود السمران — علم اللغة بمنية للقرىء المر ٨٥

ولامية في أن ما صنعه في الاستفاده من بحوث علماء طبقت الارض ، وما سجله المؤرخون ، وما فعله في دراساته لعنصر وظواهر من نبات الشعوب المحطة في بعض القرات ، وحرصه على مراعاة ملاحظات من أحصوا لأصول الطبيعية النابتة سماعى المنفعة (١) — برهن على أنه بذى الكتف ليفع المدارس .
وأذا ذكروا أنهم يعلمون أنى الطريقة الاستنباطية التى تقوم على الملاحظة والتجارب ، وتأخذ بالأسس العلمية الواضحة ، وتهتم بهذه الأمور :

- ١ — دراسة مراحل نمو اللغة عند الاطفال .
- ٢ — دراسة اللغة فى الامم البدائية .
- ٣ — دراسة تاريخية للتطور اللغوى (٢) .

— معن نذكر أن نفس الترامعى قدم أشارات عامة ، ويحتم أعطى توجيهات لها قيمتها ، وبعد الموازنة نجد بعض اجواب انى ترفع منزلته وتشهد بأنه لم يكن يغفل عن أهمية دراسة اللغة فى الامم ابدائية ، وعن ضرورة الانتباه الى التطور اللغوى ، وأن نفسى به قوله : « اللغة تامة لأحوال الاجتماع فى البسط والقبض ، وما يتقلب عليه ، ويحدث فيه بحيث لا تفرج عن أن تكون مرآة تظهره كما هو فى نفسه معده موعته أشكاله ، واحتلفت أرباؤه » (٣) . فما قاله لا يختلف عما أثبتته البحث الحديث وهو أن اللغة « أداة اجتماعية يوحدها المجتمع للرمز الى عناصر معيشته وطرق سلوكه ، ولذا يحدد طرق هذه اللغة واستعمالها ويضعها موضع الظاهرة الاجتماعية فيصدق عليها ما يصدق على كل ظاهرة اجتماعية أخرى من الخصوع لطروف التصرف وللتصريف والتحطة بحسب هذا التعارف » (٤) .

(١) مصطفى صادق الرمعى — تاريخ آداب العرب ج ١
من ٥١ — ٥٥

(٢) د. ابراهيم انيس — دلالة اللفظ ص ٢٧ — ٢٥

(٣) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٥٢

(٤) د. سليم حبل اللغة العربية معاصم وسامها : الهيئة المصرية
العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٧٩ ص ٢٨

٢ — الرافعي وكمال اللغة

تدعو نظرية أرافعي التي توجه درسه البغوي إلى الحديث عن كمال اللغة عدة ، فمسألة الكمال تفسر كثيرا من أوجوه . وتسود الدرس ،

ومن الحق أن نقول أن الأديب اسرف في تعطيم اللغة . وبيع في ذلك مسنوي لم يبلغه الذين عرفوا بالمسألة في ذلك (١)

ويبدو أن ما وحده في عصره من بعض مظاهر الاسمهه والسخرية ثم ما لاحظه من محاولة فرض ما يسمى من العربية في شيء ، تمهيدا لاشعه ازيج . وبث الانحراف — قد دفعه إلى الاعراض في صورة تعظيم انتهى به بعض أسما أحد ممن عاصروه أو جاءوا بعده ، ولا غرابة في ذلك ، ما كان يشعر بأنه رسول لغوي . يريد أن « يفتح في هذه اللغة روحا من روحه ، يرداها إلى مكانتها ويرد عبثا ، فلا يجترى عليها مجترى » ، ولا يترك منها نائل ، ولا يتندر بها ساخر ، إلا انبرى له يمدد أولاهه ، ويكتشف عن دخيلته » (٢) .

ومن الواضح أن اسرافه جعلها قربة من الأعجاز ، عجيبة ، وجعله عندما تحدث عن العمل اللام الذي كان له شأنه الكبير في تهذيب اللغة — العمل الذي تم على يد فريش — يهمل أمر الحقائق اللغوية الموضوعية ، وما يحتمه الدرس من الدقة والتحديد . أن الحقائق المذكورة تتطلب تفسير الأوضاع الحاصلة وتجليه الشواهد ، وبين الاختلاف . وكتف التعيين كتف علما يجمع الدرس . ويفيد البحث ، ولكن منعه الاسراف يجعل تهذيب فريش من باب الأحداث الكونية ، والفوارق الطبيعية . ويشدد بأدواره المدهشة . دون أن يوضح القوانين ، أو يحق جملة التهذيب وقضاياه .

١ . انظر ابن فارس : الصحاح طبعة ١٩١٠ م المكتبة السلطانية من ١٢ — ١٦ ، ٢٣ ، وابن جني الخصائص ج ١ ص ٤٧ ود : ابراهيم السامرائي : فقه اللغة الفلاني : دار العلم للبلايين بيروت ١٩٦٨ م ص ١٧٤ (٢) محمد سعيد العريش : حياة الرافعي ص ٧١

وهذا يدفع الدارسين إلى الدهشة والحرية ، ويؤدي إلى انسداد من الإبداع والتفريد ، والتسك بأشياء وأهية لا يعول عليها في علم اللغة .
وبين من اسهج ادقيق — السهج اكامل الصحة — أن تؤكد المبالغة أن قريش الفصل في تحقيق كل معاني الحياة اللغوية في تعاقب كاسلم المدرجة تنتهي الدرجة أي درجه ، على نمط متساوق من الرقي ، أن لم يكن عجيب في تاريخ أمة متحضرة ، فهو عجيب على الخصوص في تاريخ العرب . . والرجل لا يؤمن بأن خمس من لهجة قريش ليست هي الغالبة على غيرها ، وينسى دور تميم وغيرها (١) .

ويسوق كلامه في ابهام وعموض ، ولا يبين وجه هذا التعاقب أو سر النمط المنسوق ، ويحرص على اثبات بالاقراط في نسق المتأينة الشامل . . . فهو هو ذا يقول (٢) « وكانت تلك القبائل بطبيعتها متباينة للهجات ، مختلفة الامسة اسطفة المودعة في عراثرها . فكان قريش يسمعون لعائهم ، ويأخذون ما استحسنوه منه ، فيديرون به السنتهم ، ويجرون على قياسه ، ولو كانوا باديين كسائر القبائل ما فعلوه ، ولكن نوع الحضارة الذي اكتسبوه من تاريخهم الآن طباعهم وكسر من صلاتهم . فتفتقت في ذلك حياتهم اللغوية ، وحياتهم الاجتماعية . . . فما اجتمع لهم هذا الامر ارتفعت لغتهم عن كثير من مستشع اللغات ومستقيحها . وبذلك مرتوا على الاستقاد حتى رقت أدواقهم ، وسمت طبائهم ، وقويت سائلكهم ، وحني صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاء للانصح من الالفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها ابانة عما في النفس . . » .

ويعد الحديث عن رحلاتهم وسماعهم وتذيرهم وصبيهم بالفاظ الامم . . . يقول (٣) « وعلى ذلك صاروا بطبيعة أرضهم في وسط العرب كأنهم مجمع لغوي يحوط اللغة ، ويقوم عليها ، ويشد أركانها ، ويرفع من شأنها ، ويزيد في ثرونها ، وبالجمله يخفق فيها كل معاني الحياة اللغوية ولا يوسع المتأمل في الادوار التي تعاقبت على قريش في نهديها

(١) انظر د . عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية دار المعارف ١٩٦٨ ص ٤٩

(٢) الرافعي تاريخ آداب العرب ص ٨٢ — ٨٣

(٣) نفس المصدر ص ٨٣ — ٨٤

اللغة الا أن يستسلم للدهشة ، ويجار من أمر هذا التعاقب ، فإنه كالسلم المدرجة تنتهي الدرجة منها الى درجة ، على نمط متساوق من الرقى ، ان لم يكن عجيبا في تاريخ أمة متحضرة فهو عجيب على المحصور في تاريخ العرب . ولا سيما اذا اعتبرنا مبدأ تلك النهضة ، وأنها لا تتجاوز مائة سنة قبل الهجرة الى مائة وخمسين عى الاكثر فلا بد من استسلم بأها حادثة كونية من حوارق النظام الطبيعي ظهرت متبعتها بعد ذلك في مروج القرآن الكريم بلغة قريش » •

وعنده تحدث ابن فارس في كتابه الصحاح في باب القول في أفصح العرب (١) ، ذكر أن قريش أفصح العرب السنة ، وبين فصلها وعملها في التهذيب . وحلوها من مستبشع اللغات ومستبشع الالفاظ . ولكنه لم يذهب الى الخوارق والادوار المدهشة ، وهو الذي يقول ان لغة العرب توقيف ، ويمتص في تأكيد ذلك كل التمعيب ، ويقرر أن لغة العرب أمثل اللغات وأوسعها ، وسائر اللغات قاصرة عن اللسان العربي ، وواقعة دونه . ثم يذكر ان المتكلم بعبر العربية اذا أعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فان ذلك يعد أحسن مراتب البيان ، وأن من الغلط أن تبني سائر اللغات ابانة اللغة العربية ، ويذهب أن سائر الامم لا تملك براعة الكلام ، ولا تعرف الابهاء اللطيف ، والاشارة الدالة كالعرب ، ويذهب الى أن هذه الامم لا يمكن أن تعبر عن الاقوال . • لان ذلك يعرفه العرب وحدهم (٢) •

وهذا تفكير يئى عن قوانين اللغات ، ويرى أنها ليست من باب الاجتماع المعوى . هي الاعلى والارفع ، ولا يمكن ان تصهى أو تقابل أو يعرض بها كلام •

والنور شاسع بين الرحلين . لان مسألة احوارق والاحداث الكونية تخصم الامر . وتدل على أن صاحب تاريخ آداب العرب ، أسرف كثير . • انه أثر الاستسلام للدهشة والحيرة ، ومستويات لمنهج اعلمى لا ترضى عن ذلك . ولا تحب أن يكون الدرس اللغوى

(١) من ٢٣

(٢) ابن فارس — الصحاح — من ١٢ — ١٦

دعوى الى تمديس العجيب ، والخصوع لما يمرضه من غموض وخفاء
 .. ويشير بعض من ترجموا له الى انه كان ولوعاً بأن يصيف الى كل
 شيء شيئاً من عنده ، وذلك كانت طبيعته (١) .. وأرى أن مجال الحقائق
 اللغوية تكره المخطط وإنشأ عن الحق ، والتقسيم بالحواري والحوادث
 الكونية في أمر اللغة .

واللغة من انظم الأدمية التجمعية ، ليست صناعة أفراد بعينهم
 ومعنى هذا أنها لا تقوم على ما ذكره من الحوارق ، وأما شأنها شأن
 الظواهر الاجتماعية ، تلك التي نحقق فيها حصصاً مبردة لا تتخلف ،
 وطوائف مشتركة لا تشذ عنها أى واحد من تلك الظواهر الجماعية ،
 والنظم الاجتماعية .

واللغة من انظم لأدمية التجمعية ، ليست صناعة أفراد بعينهم
 ولا على جيل بداته ، ولا يستطيع قوم محتمون أن يقدموا من أمرها
 شيئاً أو يؤخروه .. فلا هم يندخلون تدخلاً ارادياً في وجودها ، ولا هم
 يسهمون في تشكيلها ، ولا هم يحتضنون طريقتها .. ولن يغيروا أبداً
 من واقع تحتها أنفوانين الاجتماعية الستة المطردة . (٢)

« إن سنن الحياة وفيها حياة اللغة — جماعى لا طفرة فيها ، ولا
 حوارق .. وليس يصح حكم على شيء فيها إلا بعد بحث ، وبحث
 يتعرف لقوانين ، ويتبين النواميس .. وقد عرف الكبر من حياة
 الكائنات الأخرى » (٣) .

إن دعوة الاستسلام هذه لا يمكن قبولها ، فالأمر أمر دراسة
 التطور ، تطور اللغوى نفسه ، وتطور اللغة ، ودراسة أثر البيئة الطبيعية
 المادية التي تعيش فيها اللغة ، ودراسة الظروف النفسية العاطفية
 والمغلبة لمكتلمى اللغة ، ومعرفة أنماط الحياة التي يحياها متكلمو
 اللغة ، وإدراك أثر الموارث ، وفعل الصراع ، وما تثبته المقارنات

(١) محمد سعيد العريان — حياة الرافعى من ١٣٠

(٢) أمين الخولى — مشكلات حيات اللغة من ٤٣ — ٤٤ وانظر

اللغة والمجتمع لعلى عبد الواحد واقى من ٩١ طبعة الحلبي

(٣) نفس المرجع من ٦٠

والمقابلات العلوية (١) ، ثم استخدام أرقى ما وصل اليه التحقيق . .

وكيف يطلب الاستسلام ، وهو يكتفى بأن لغة قريش ارتفعت عن كثير من مستشع اللغات ومستفدتها . . وأسهم اخود العرب استقاء للامصح من الالفاظ ، واسهلها ، وأحسنها . وابينها . مما لا يعطى الصورة الدقيقة لأهم التهذيب ومداه ، فهناك حقائق متفرقة في أنحاء شتى لا يصح البحث إلا بارتداد كل . والاكتفاء بجانب منها . . لا يفي بحق البحث ولا تكون نتائجه كاملة الصحة .

واللغة عند الراعي عجيبة « يزيد في الحب منها أنها لغة تلك العقول البطرية ، والفطرة وإن كانت دائماً تختص بصحة آلهية ، إلا أنها أصل الكمال في النفس لا نفس الكمال » (٢) .

ويُدفعه الاسراف إلى اعطاء اللغة اعتبارات لا ريب في بعدها عن النسق المعروف في تناولها ودراستها . ان هذه الاعتبارات تفيض بالمستوى الاسمي ، والفصاء بأنها العسل الاجتماعي الاوحد في نهضة العرب الاسلامية ، والحكم بأنها هي سبب انتظام امر العرب ، فهو يقرر أن اللغة وصلت مستوى انتهى إلى الكمال ، بامتيازات بالاحكام على من فيها معنى الالهي ، ابدى لا دليل عليه الا شعور النفس . والنفس هي البقعة السموية في الانسان . ويذكر أن تلك النفس « خرجت بها اللغة كأنها عقل حتى تتلامح في جهات احكمة خطراته ، وتتراسل من أعين الوحي نظراته . بل كأنها معنى آلهي متكرر ، ألقي في هذه الطبيعية . فيتحول به وجه السلم إلى جهة الله ، فمزال يتكشف من أمراه شيئاً مثيراً حتى ظهر ابتداعه في القرآن الكريم ، فاتضح عن روعة تلك عي الانسان مذاهب حسه ، وتنساب في قلبه ، لتتصل بالروح الآلهي من نفسه (٣) .

ويؤكد الكاتب أن العرب قوم رجل . وقد ختلوا بأهم كثيرة فلا بد أن يكون هذا الاختلاط بينا في تكوين لغتهم ، وتلك سنة عامة في

(١) نفس المرجع ص ٦١ — ٦٢

(٢) بحسب مساق الراعي — تاريخ آداب العرب ص ١٧٤

(٣) الراعي — تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢١٢

الملحات (١) تضع ممص هذا الى جوار بعض ، فلتحد البعد شسعا من
الانحصار . وهو يشير بذلك الى ايمراد العربية مما يرلها عن لغات
اندنيا ، ويرفعها عن سنن لكون النعوية ، ونواميس الحياء المسابية —
مالامر عند امر الانفراد امحبوى ، واشوارق ابطيحية .

ويزداد انمو والشطط عندما يرى أنه تبعث احبابة اللعة ، ولم
تتبع اللعة الحية ، وكل فشل في الرقى والاستقامة يرجع اليها وحدها .
ثم يصل الامر الى لاعجاز ميقول (٢) « » . وهذه اللمة يوشك
أن يكون أمرها معجزا على ما رأيت ، بحيث لا يغلو رأينا من يقول
انها بسبيل من الاوضاع الالهية في التوفيق والالهم ، لان أثر ذلك
قد ظهر في لقرآن « ، كما يقول (٣) : « » . وسدر أن تحد ذلك كله —
طرق لوضع — في لغة من الملحت على مقدار ما تجده في اعرابة ، ملا
جرم كنت حربة بأن تكون وسط الاعجاز ، لانها الحلمة المنسوية
الكاملة » .

ومن العريب انه يمتدح بأن كثيرا من اسرار اوضح لم يكشف ،
وأما نحننا الى من يتتبع المظن ، ويتدبر وجوه اشتقاقه ، ويتفقد
مواقع كلام العرب ، ورنف صنفها واوزانها على ما تقتضيه اغراضه ،
بحيث يستقر كل مثال منها في نصابه ، ويرد الى حيزه ، لينتهي الامر
بعض يكشف عن كثير من اسرار الوضوح (٤) . ويبدو أن مظهره الساطعية
التي ترى في اللعة ملا يراه غيره ، من جلال الاعتبار اب الدينية ، وسمو
المعاني الالهية — لم تقدر ما يقتضيه قوله بأن التوقيف في اللعة
انما هو من باب استعوى التاريخية لا اكثر . وقوله بأن المعه بنت
الاجتماع ، والعرب قوم رحل قد احتلوا بأهم كثيرة ، فلا بد أن يكون
هذا الاحتلاط بينا في تكوين معنهم . وتلك سمة عامة في اللغات ، فتلك
الآراء تختلف ما ذكره من أمر الاعصر . وما جاء به نتيجة الطو
والاسراف ، ورواعى الرامعى ما ذكره بالنسبة للتوقيف ، وما فرره
من أن اللغة منت الاجتماع — لما اندفع الى مسألة الاعجز والفسوارق

(١) المصدر نفسه ص ٦٦

(٢) المصدر ذاته ص ١٧٤

(٣) المصدر ذاته ص ١٦٧ — ١٦٨

(٤) المصدر ذاته ص ١٧٤

والاحداث ، ومن شأن البحث أن يلتزم بمستوى ما قاله ، ويحرص على عدم الخروج على النسق الذي ارتصاه بشيء له تأثيره في جلب المتأفص أو احداث استنباب والتردد والاذ تلاف .

« واللغوى احديث لا يحاول تفصيل لمة على أخرى ، بل يعجب بكل لمة ، ولا ينظر الى ما اتصفت به لا على أنه خصائص لهذه اللغة عليه أن يدرسها ، وأن يبحث عن سرها » (١) واعتقد أن نظرية المناسبة التي تسيطر على درسه في اسرار تمدن النظام اللغوى هي التي جعلته يتسكك بثن العربية فريدة ، ترغها هذه النظرية عن السنن النبوية ، ومواميس الحية اللسانية ، حيث رأى فيها أمورا عادية الى تمجيد خوارقها ، وميزاتها ، وطرازها العجيب لديه ، فهي شيء آخر في كمالها وفضلها . وعلمه قرأ ما قبله ابن فارس وابن جنى وغيرهما من الذين يسرفون في تعظيم هذه اللغة . ووجد أنه لا يغى بحق العربية في التعظيم على الرغم مما وصل اليه في اعداق نموت الحلال والحكمة ، وقد أشرنا الى موقف من مواقف ابن فارس في تعظيمها ، ونأتى هن ببعض مما خاله ابن جنى لأن الرامعى تأثر به . وعول عليه في كثير مما جاء به في اسرار النظام اللغوى .

يقول هذا العالم في باب في أن العرب قد أرادت من العسل والافراض ما سببه البها ، وحملناه عنها (٢) : « . . . لأن الله سبحانه انما هداهم لذلك ووتفهم عليه ، لأن في طماعهم قبولاً له ، ولبطوا على صحة الوضع فيه ، لأنهم مع ما قدمناه من ذكر كونهم عليه في أول الكتاب من لطف النفس وصفاته ، وبصاعة جوهر الفكر ونقله ، لم يؤثروا هذه اللغة الشريفة المتقادة الكريمة ، الا ونفوسهم قبسة لها ، مصصة بقوة الصنعة فيها ، معترفة بقدر اسعة عليهم بما وهب لهم منها . . . » ويقول في نفس الباب (٣) : « هذا كله . وما أكتى عنه من مثله — تحاميا للاطالة به — ن كات هذه اللغة شيئاً خوطبوا به واحدوا باستعماله . ون كانت شيئاً اصطلاحوا عليه ، وترفندوا

(١) د : ابراهيم انيس دلالة الالفاظ ص ٢١١ وانظر د : د : تمام حسان اللغة العربية معناها وبناها ص ١٩٢
(٢) ابن جنى الخصائص ج ١ ص ٢٣٨ — ٢٣٩
(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٤ — ٢٤٥

بحواظرهم ومواد حكمهم على عمله وترتيبه ، وقسمة اتحائه ، وتقديمهم أصوله ، واتباعهم أياها غروعه — وكذا ينمى أن يعتقد ذلك منهم ، لما ذكره آتفا — فهو معجز لهم ، ومعلم من معالم السداد ، دل على فضيلتهم » *

وانظر الى تلك المعوت التي تومى ، الى منزلة اللغة لدى ابن جنى فى قوله (١) « وأعلم فيما بعد أننى سى تقدم الوقت ، دائم استنقير والبحث عن هذا الموضع ، فأحد الدواعى والخوارج قومة التجاذب لى ، مختلفة جهات التغول على فكرى . وذلك أننى اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحسمة والدقة ، والارهاف ، والرقّة وما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أعمم غلوة السحر » *

ولا جدال فى أنك ستدرك أن الراغمى جاوز كل المستويات عندما توازن بينه وبين أبرز الذين اعتصموا بكمال اللغة ، وغضلوها فى زهو كبير. بعبيراتها لقد اتحه أبو حاتم الرارى فى كتاب الزينة أيضا لى رفع لغة العرب الى أعلى منزلة فمقد فصلا فى (فصل لغة العرب) ذهب فيه الى أن العربية أفصح اللغات وأكملها ، وأتمها ، وأعذبها ، وأبيها . * الخ ، وسعى الى تأكيد فكرة التفوق ولسمو ، وجعلها من نصيب العرب وحدهم ، فقد جاء فى هذا الفصل . « وقال قوم بفضل اللغة اليونانية والهندية ، لأن كتب الفلاسفة والأطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها ، وهذا قول مبيوذ عند أهل الملل » (٢) *

والراغمى لم يقف عند هذا الحد الذى بلغه أبو حاتم ، بل تشبث بأعلى ضروب المبالغة ، وأراد أن ينعرد بمستوى يشير اليه وحده فى قدر التفضيل والتعظيم والكمال .

وفات الراغمى وغيره أنه لا معنى لهذا التفضيل المسرف ، وأنه لم يجرى نص فى تفضيل لغة على لغة ، وقد قال تعالى : « وما أرسلنا من

(١) المصدر ذاته ص ٤٧

(٢) أبو حاتم : الزينة ج ١ ص ٦٠ — ٦٣

رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » • وقال تعالى . « فاما يسرياء بلسانك لعلمهم بتدكرون » ، ما حبر عز وجل انه لم ينزل القرآن بلغة العرب الا ليقيم ذلك قومه صلى الله عليه وسلم ، لا لغير ذلك ، وعلى اساس لموى علمى صحيح قنسى على ما قتله جالينوس ، وهو أن لغة امونانيين أفضل اللغات لأن سائر السمات اما هي تشبه اما نباح الكلاب واما نقيق السفادع — بله غلط وجهل شديد ، لأن كل سامع لغة ليست لغته ، ولا يفهمها ، مهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق (١) •

ويمكن مواجهة كل من يلود بالتفضيل المسرف ، وباطال ما يستند اليه • يقول ابن حرم (٢) : « وحروف الهجاء واحدة بلا تفضل منها ، ولا قبح ، ولا حس في بعضها دون بعض ، وهي تلك بأعانها في كل لغة . فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجائية ، وبالله التوفيق • وقد أدى هذا ابوسواس العمى اليهود الى أن استجازوا الكذب ، والطف على الباطل بنير المبرنية وادعوا أن الملائكة الذين يرغبون الاعمال لايهمون الا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها ، وفي هذا من السخف ما ترى •• وعالم اخفيلت وما في الضمائر عامم بكل لسان ومعانيه •• عز وجل » أما من يقولون أن العربية أفضل اللغات لأنه نزل بها كلام الله تعالى فان هذا العالم يقول لهم انه لا معنى لذلك (٣) ، « لأن الله عز وجل قد أضرنا انه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه • وقال تعالى : « وأن من أمة الا خلا فيها نذير » ، وقال تعالى : « وانه لم يزل الاولين » ، من كل لغة قد نزل كلام الله ووحيه ، وقد أنزل انتور ، والانجيل ، والترمر • وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية ، وأنزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية . فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا •• وأما لغة أهل احسة ، وأهل النار فلا علم عندنا الا ما جاء النص والاجماع في ذلك » (٤) •

(١) ابن حرم الاحكام في اصول الاحكام طبعة الحامى ج ١

من ٢٢

(٢) المصدر السابق من ٥٣

(٣) المصدر نفسه من ٣٤

(٤) المصدر نفسه من ٣٤

وما قاله ابن خزم يؤيده الدرس الملعوى الحديث يقول سايبر (١)
« لا معنى لأن نقول أن هناك لغة - مهما تكن - أكثر فصاحة أو أكثر
ارتباطا من لغة أخرى قد تكون أكثر تعقيدا أو أكثر صعوبة » .

وقد أشرنا من قبل إلى أن الملعوى الحديث لا يحاول تفصيل لغة
على أخرى ويذكر بعض الباحثين في اللغة أنه من المسائل التي نحاها
علم اللغة الحديث في التفصيل (٢) . وواقعا أن الأسراف الذي
وجدناه كان له أثر كبير في بعض وجوه أسرار النظام الملعوى ولذا
غنيانا به . وما نريد أن مؤكده أنه لا ينبغي أن يغيب عنا أن اللغات
تتفاوت في أبعاد نشأتها وتطورها ، ولكل لغة أسلوب خاص في تأليف
الالفاظ والتراكيب ، والمألوف في لغة ما قد يكون مستهجنا في غيرها ،
بدل على ذلك أن طائفة من الاصوات تجتمع وتتناسق في ألفاظ بعض
اللغات على حين تأمى التجمع والتناسق في ألفاظ لغات أخرى وبعض
علمائنا قد أدرك الفروق الدقيقة بين اللغات المختلفة ووجه الانظار
إلى ما بعد من كلام لعرب ، وما يرى أنه ليس من كلامهم وهذه
نظرة لها أهميتها في مسألة التفصيل ترفض ما يقوله الغلو ، أو ما يقرره
الأسراف (٣) .

(١) Sapir (Edward) . Culture, Language and Personality (١)
California 1960 P. 6

(٢) د. محمود السمرال : علم اللغة : مقدمة للتأري، العربي
ص ٣٧٩

(٣) ابن دريد : النجعة المنقحة ص ٦

الفصل الثاني

نظرية الماسية
واسرار النظام اللغوي

نظرية المناسبة

أدرك الراقعي بعد البحث والتأمل أن أسرار النظام اللغوي تقوم على نظرية المناسبة ، وتبين له أن هذه النظرية هي سبب التمدن ، وأنها تسيطر في رأيه على ضرب النظام سيطرة واضحة ، وتفسر ما بين الالفاظ والمعاني من صلات أو علاقت .

ولا ريب في أنه آمن بها إيمانا شديدا ، بعد أن استكشف في كلمات أمورا سحرية ، وتفخيل في منطوقها رمورا وعلامات لموها أدبه ، وقد روجى الأصوات تقديرا يوميء الى اعتزاز كبير بالالفاظ وسعادة بما يستشف في ثناياها من محان . وبمعة في أسرار النظام اللغوي برهن على أنه يرعى الالفاظ رعاية كاملة غير مكثف بالمدلولات بل ينقب عما وراء المدلولات موعلا أحيانا في عالم من الخيال فيه من دقائق المعاني والوانها ، وفيه ما وراء المعاني مما قد توحى به الأحيلة .

ومن الانصاف أن نشهد بأن هذا الاديب العالم عنى بفكرة المناسبة عناية انمرد بمستواها الذي لم يبلغه احد قبله أو بعده ، وذلك لانه على الرغم من الجهد الكبير الذي بذل في دراسة انصلة بين اللفظ والادلة في تنني لعصور فان احدا لم يستطع أن يكون نظرية شاملة للمعسة بين الالفاظ والدلالات ، ويحدد كل أوجه المناسبة ، وينظر اليها تلك البطرة التي تحعبها مهمسه عى أنواع النظام اللغوي ، مما تملكه من وسائل غطن لها الراقعي .

وأستطيع أن أقول في ثقة أن هذا الرجل هو الذي مد وجهها ، وجعل بها السيادة ، واستخدمها في عمق وشمول لتكشف أسرار النظام اللغوي ، والفردى واضح بين جهده وجهد من سبقوه . ومستواه في الاعتماد عليها يؤكد أنه صاحب الفضل في ابراز شأنها في تحقيق انتراط ، وتجلية العامل الهام الذي يعطي البحث اللغوي القدرة على التحكم في الدرس ، وجمع الأوجه المختلفة تحت ربط واحد ، ونظرية

وأحدة • ومن معنى ذلك أننا نوافق في كل ما قاله أو انتهى إليه ، فإند سندخله حين يسرف أو يتعسف ، وبين ما وقع به عندما يمتد أو يخطئ ، وبذكر رأى علم اللغة فيما يقرره • وأبواب أدراسة اللغوية أنتى تناولها تؤكد تسكه بالنظرية ، وترشدنا إلى أنه لم يغف أمامها كما وقف الآخرون الذين انتهوا إلى ما انتهى إليه السابقون ، ورددوا ما قالوه دون أن يربحوا شيئاً أو يحققوا أمراً ، ودون أن يحصلوا درس المناسبة كفيلاً بالدلالة على التمدد وامتياز العربية في باب المناسبة •

ومن نغدر ما بذله الراعى من جهد • ونس نعرف ما صنعه ليعدها ويفرض رباطها إلا إذا عرفنا أهم ما قامت به الدراسات التى تناولت فكرة المناسبة • ويجب أن نعلم أن لبحث المعوى عرف اهتمام فلاسفة اليونان والرومان • وعلماء العربية القدماء بالبحث عن العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها ، كما عرف عابدة المحدثين بالبحث عن الصلة بين الألفاظ ومعانيها • ويدل على اهتمام فلاسفة اليونان والرومان بما ذكرناه أن أملاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م) « فى محاورته المسماة كراتيوس مباحث أصل الكلمات • وسفش مسألة هامة طلت تشغل المنوبين والمفكرين أرمت طوالاً هى مسألة العلاقة بين « الأشياء » والكلمات التى تسميها : أى علاقة طبيعية : ضرورية ، أم أنها لا تحدو أن تكون ثمره اصطلاح الجماعت » (١) •

ولقد ظهر أصعب القياس وأصعب التشديد • أما اصحاب القياس فكانوا يعتقدون أن اللغة فى أساسها طبيعية ، وهى لذلك منتظمة ، أى مطردة للقواعد ومسطبة • • وأما اصحاب التشديد فكانوا يكررون هذه الامور • ويشيرون إلى السراذ الملحوظة فى التركيب المعوى • وعند القياسيين أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ومعها بالنظر فى أشكالها ، وسموا البحث فى هذا الاستقار • • ويرى بلومفيلد أن نظرية الاستقار دعت اليونانيين ولامتدتهم الرومان إلى الحدس والتخمين • • (٢)

(١) د • محمود السمران — علم اللغة مفتحة للدراسة العربى

ص ٣٤٩

(٢) نفس المصدر هلمش ص (٢٤٩ — ٢٥٠)

واستمرار لجدل واستقائش أدى الى الانتهاء الى مذهبين :
مذهب الذين لم تتخلص عقوبهم من سحر الكلمة ، وهم يحسبون
أنها ذات قوى كامنة فيها ، ويعتزون بها ويعرصون على الكشف عن
الاسرار والحقايب .. وهذا المذهب يقرر وجود رابطة طبيعية تتركها
العقول ، وتتقبلها الافهام بين الاصوات والمدلولات .

أما للمذهب الثاني فهو مذهب الذين يدركون الصلة الطبيعية أو
الصلة ألدائية ، ويقدررون أثر اختلاف الأزمنة والامكنة ، ويكرهون
التعسف والتكلف ، ولا يحبون الجوء الى الاماني ، وإنما يلتزمون
بأنواقع ، ويرون أن الصلة بين الاصوات والمدلولات ليست بأبسة
العقلية المنطقية التي تتطلبها فكرة المناسبة حسب نسقتها .

وهذا المذهب يرى أن الامر لا يعدو أن يكون اصطلاحا عرفيا
جرى للناس عيه في كلامهم ، فلا علاقة بين الاصوات والمدلولات الا
ما سمع به العرف والاصطلاح (١) . وواضح أنه يحدد الظواهر اللغوية
من كل غموض ولا يرى فيها أمورا سحرية .

ولم يقم المذهبين بعملية الملاحظة الدقيقة الشاملة ، والاستقراء
لحقائق وعرض الأدلة الكافية . وأن لجأ بعض الذين ناخوا بالمذهب
الاول — حين حاول غموض الصلة بين الالفاظ ومدلولاتها أن يحدد
مذهبهم — الى اغتراس أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة ، سهلة
التفسير في بدء نشأتها ، ثم تطورت الالفاظ ، ولم يعد من السبيل
أن نتبين بوصوح تلك الصلة ، أو نجد لها تعليلا ونفسيرا (٢) .

ولجأ آخرون الى القيام بعقد الصلة أيا كانت تلك الصلة ، ولأد
مسلكهم بالتعسف والتكلف ، ولجأ غيرهم الى اتهام العقول والافهام
بالمفصور أما لملاطون وسقراط فقد أدرك كل منهما أن الصلة بين
الاصوات ومدلولاتها غامضة « لا تكاد تتضح في اللغة كما عرفت في
عندهما ، وكما شاعت على الالسنه في أيامهما ، ولكنهما مع هذا يتميان

(١) د . ابراهيم أنيس — من اسرار اللغة ص ١٢٦

(٢) نفس المصدر ص ١٢٦ ودلالة الالفاظ للمؤلف نفسه ص ٦٣

أن تحقق تلك اللغة التي فيها تتوثق العلاقة بين الأصوات والمدلولات وأن تصبح تلك العلاقة طبيعية بحيث يلحظ في الأصوات أمورا رمزية وثيقة الصلة بالمدلولات » (١) .

ويبدو أن سقراط كان يميل إلى المدعى الأول ، ويرى فيه مثالية تربط بين الالفاظ ومدلولاتها ربطا طبيعيا ذاتيا ، كتلك الالفاظ المشتقة من أصوات الطبيعة . (٢) أما أرسطو فكان يرى أن الصلة عرقية (٣) وأما عماؤبا المتقدمون فقد جرى بينهم معاش وجدل حول مسألة الصلة بين الالفاظ والدلالات وذلك بمناسبة البحث في أصل اللغة هل هي تواضع واصطلاح أم توقيف ووحى . ومن المعروف أنهم اختلفوا في كيفية دلالة اللفظ على معانيه ، ونوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله ، وعة اقتراحهم ، فهل تدل الالفاظ على المعاني بذواتها أو بوصف اله ايها أو بوصف الناس .

وإذا نظرنا إلى الآراء المختلفة التي تناولت مسألة الصلة بين اللفظ والدلالة فاسا نجد من يعانى علوا شديدا في توثيق الصلة وجعلها ذاتية موجبة بمعنى أنها لا تتخلف ، ولا بد من وجودها ، وهو عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة ، ومن أثر فيهم من النوفيين من اتباعه ، وقد ذهب هذا الرجل إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، قال : « والا لكان تخصيص الاسم المعين باسمه المعين ترجيحا من غير مرجح » (٤) .

أما من أثر فيهم من اللعويين من أتدعه ، فقد تكلف بعضهم في اظهار هذه المناسبة ، وخرج عنى طبيعة العربية نفسها ، وجعل العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله لا يقتصر فيها على العربية ، بل تشمل سائر اللغات ، ويدل على ذلك ما ذكره السيوطي حيث يقول : (٥) « وكان بعض من يرى وأنه يقول : انه يعرف مدسدة الالفاظ لمعانيها ، غسئل ما مسمى « أفذغغ » وهو بالمارسية الحجر ، غقلل : أجد فيه ييسا شديدا وأراه الحجر » .

(١) د . ابراهيم أنيس — من لسان اللغة ص ١٢٦

(٢) د . ابراهيم أنيس — دلالة الالفاظ ص ٦٣

(٣) نفس المصدر ص ٥٦

(٤) السيوطي — المهرج ١ ص ١٧

(٥) المصدر نفسه والصفحة ذاتها

ولعل ما قاله بعض من يرى رأى عباد كن كذلك بطريق الصدفة لاننا لا نعلم شيئاً عن مستوى الاجادة لعدة الفارسية ، ولعل استعمار ما في اللفظ من عيب شديد ، عرف القائل المسمى من الاسم ، والمدلول من الصوت (١) .

والسيوطي يرى أن هناك علاقة بين موقف عباد ومذهب الاعتزان ففكرة المعتزلة أن المشرع يجب عليه أن يراعى الاصلح ، وأن علة الحرمة في الاحكام انشعاعية ذاتية ، فإذا ظهر لنا الفساد وانضر في شيء ، حكمنا بالحرمة ، ولو لم يرد نص بذلك . يقول السيوطي (٢) بعد أن ذكر الفرق بين مذهب أهل اللغة وأعرمة ، ومذهب عباد : « وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الاصلح في أفعال الله تعالى وجوباً ، وأهل اسمه لا يقولون بذلك مع قوبهم أنه تعالى يفعل الاصلح فضلاً منه ومداً وجوباً ولو شاء لم يفعله » .

ويرى بعض الباحثين أن عباداً من العلماء الاناضل ، وأنه في رأيه لا يمكن أن يقول بذلك ، بل لابد أن يكون من الفاشين بالتوقيف أو الاصطلاح ، وهو الأقرب ، إلا أن الواضع عليه أن يراعى المسببة بين ادال والمدلول (٣) .

ولم يقدم أباحت دليلاً إلا أن عباداً من العلماء الافاضل في رأيه ، ومسألة أنه من العلماء الافاضل لانصح حجة أو برهان ، فهناك معايير ومناهج يجب مراعاتها ، ولا يستبعد ما قاله عباد ومن يرى رأيه . وكان يكفي الباحث التأمل في كلام السيوطي ، فقد ذكر أن أهل اللغة والعربية قد كدوا « يطبقون على ثبوت المناسبة بين الانفاظ والمعاني ، يكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة ، بخلافهم » . وهذا كما تقول المعتزلة . « الخ » . ويلاحظ أن هذا الكلام يشير إلى مذهبين ، ويبيح على موقف الاعتزال ويعمل الباحث قد تأثر بانكر الجمهور ما قبله عباد وأراد أن يدافع عنه ، وهو يعلم نزعة الاعتزالية ، وحقه في الرأي والاحتجاج والاستقلال .

(١) د . محيى المالح — دراستك في فقه اللغة — الطبعة

الثالثة — ١٩٦٨ مروت ص ١٥٠

(٢) المهرج ١ ص ١٧ — ١٨

(٣) عبد الله المزاري — فقه اللغة — ص ٣٣

والجماعة كما ينص ابن جنى تلقت مذهب المناسية بالمبول ، والاعتراف بصحته ، وبه عليه علماء اللغة الندامي كالحليل وسيبويه (١) .

وليس مرد الخلاف في الصفة التي وجود هذه المناسبة الطبيعية وعدم وجوده بل التي ما يراه من أن هذه المناسبة ذاتية موجبة .

ومعنا السيويني بأن أهل اللغة والعربية قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة لا يعني اتحاد المستوى أو اتساق المصحح والدرس والحكم . . لأن علماء اللغة كان منهم من نبه عليها في اعتدال ، ونأى عن التسف والتكلف ولاسراف ، مثل الطليل بن أحمد وسيبويه يقول صاحب الخصائص (٢) في أساس الالفاظ اشياء المعاني : « أعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبه عليه الطليل وسيبويه ، وتلفت الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحته . »

قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة وهذا فقالوا مر وتوهموا في صوت البازي تقطيعا ففألوا صرصر . ؟

وقال سيبويه في المصادر التي دعت على المعلن ، انها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو المقزاق ، والغلين . والغنيان . فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الالفاظ . »

وفي كتاب المعين للخليل بن أحمد أمثلة أخرى ذكر بعضها في تدوله أنفية المضاعف مما يؤكد اهتمامه بالمناسبة ومطبت لوجهها . (٣)

وفي اكتاب سيبويه عنية بتحليل أمثلة المناسبة ، وبعد عن الشطح في درسها (٤) .

وكان من هؤلاء العلماء من اتسع في باب المناسبة ، واجتهد في الربط بين الالفاظ وهذلولاتها ربما قويا يكاد يشبه الصلة الطبيعية

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٥٢

(٢) ابن جنى : الخصائص ج ٢ ص ١٥٢

(٣) الطليل بن أحمد : كتاب المعين ص ٦٣ — ٦٤ تحقيق د :

سيد الله درويش مكتبة المعاني بغداد ١٩٦٧

(٤) سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٢١٨

أو الذاتيه مبين أنه وجد أشياء كثيرة على سمع ما أتى به الضيل وسيبويه ومنهاج ما مثله (١) ، وهو يقول ذلك في جو يفرر أن اللغة شريفة كريمة لطيفة ، فيها من الحكمة والدقة ، والارهاف والركة — ما يملك عليه جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام علوة السحر . وهو ابن جنى الذي شغف بنظرية المناسبة ، وعقد لها فصولا أربعة (٢) في لمصطلح سدرسها في نظام الالفاظ بالمعنى ، لاعتمد ارافعى على ما قلته فيها ، واتيانه بكل ما جاء به . .

وجماع الامر أنه يرى أن هذه المسببة محققة ، وإن لم تظهر فمرجع ذلك إلى أن المتأمل لم ينعم نظره حتى تظهر صورته ، أو أن هناك أمورا في اصول اللغة لم تصل أبدا غفقت علينا هذه المناسبة (٣) أو أن الاول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر .

وهو في هذا يعبر عن شيء من الغر والبعده ، فكثير من الالفاظ الموضوعة للمعنويات لا تتضح فيها المناسبة ، وكذا أسماء الاجناس ونحوها قد تشفى فيها المناسبة ، لأن الشيء قد يسمى بما لا صلة له به .

وسنقول الكثير حين سافس ما قاله الرافعى ، ونكتف بالمآخذ ، ونين رأى الباحثين وعلم اللغة ليتضح الحق وأصواب .

ويبدو أن اعلماء الدين جاموا بعد بن حنى شغلهم ما ذكره ، كما شغلهم ما ذكره عباد من قبل ، ورأوا أنه لا يكفى ما قاله الجمهور في انكار مقالته ، وهو أنه لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان إلى كل لغة ، ولم يصح وصح اللفظ لفسدين (٤) — ولذلك يجد مهامهم بتقصي الامر ، وأورد على هذين الرجلين اللذين لا يخلو مذهبهما من العلو المحرط كما اشرف ، وإن بدا الفرق بينهما . ومن هؤلاء العلماء ارازى (٦٠٦ هـ) فقد رد القول بذاتيه دلالة الالفاظ على منلوالاتها المنسوبة

(١) ابن جنى — المصطلح ج ٢ ص ١٥٣

(٢) انظر ابن جنى المصطلح ج ٢ ص ١١٣ — ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٤٥

— وما بعدها

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٦٤

(٤) السيوطى — الزهر ج ١ ص ٤٧

لساد بن سليمان إذ أنها تتغير باختلاف الازمنة والامكنة واذاتيات
لاتكون كذلك . ذلك أن دلالة الالفاظ على نفسها ليست مستمدة
لى الوضع اصلا لوجودها فى الالفاظ المهمة ايضا ملا تفاوت محو
حصى مركب من ثلاثة أحرف (٢) ويفرر الأمدى (٣٦١ هـ)
أن « دلالات الاسماء على المعانى ليست لفواتها ولا الاسم واح
المعنى ، بديل انتقاء الاسم قبل التسمية ، وجواز ابدال اسم البياض
بالسواد فى ابداء الوضع ، وكما فى أسماء الاعلام الموضوعة لارباب
الحرف والمنوعات لادواتهم » (٣) .

ومن قبل ذكر عبد القاهر انجرجاسى (٤٨١ هـ) « أن واضع اللمة
لو كان قال ربح مكان ضرب لما كان فى ذلكم يؤدى الى غشاد » (٤)

أما ابن السيد البطيوسى (ت ٥٢١ هـ) مؤلف كتاب الاقتصاب
فى شرح أدب الكتاب ، فإنه رأى مدى ما وصل اليه ابن حنى فى درس
المدسبة . وكان رايه فى الاقتصاب أن المر بربما حاكمت المعنى باللفظ
فى بعض المواضع ، ولكن هذا قياس غير مطرد ، والتشاكل بما تشاكل
به ابن حنى عناء لا مائدة مه (٥) .

ولمسا مع البطيوسى لى زعمه عدم الفائدة ، وإنما تبعض منطق
الشكل ، والمبالغة فى القول لفرس أمر سعد .

والمحدثون من الباحثين احتلمت مذاهبهم . فمنهم من يرى أن
هناك رابطة تدرکها العقول وتتقبلها الالهم بين الاصوات والمدلولات
ومنهم من يرى أن الكلمة حين وصفت أولا وفى شأنتها كانت أصواتها
وثيقة الصلة بمدلولها ، ثم انحرفت عن هذا مع توالى الايام ، واصبحت
لاندرك تلك الصلة . ومنهم من يرى أن الامر لا يسفو أن يكون

(١) الجزاوى : تحفمت شريفة وتسميات منفيه ص ٩٢

(٢) الراوى . مفتاح السبب ص ١ من ١٢ وما بعدها

(٣) الأمدى : الاحكام فى اصول الاحكام ص ١ من ٨

(٤) عبد القاهر : دلائل الاعجاز ص ٤٠

(٥) ابن السيد البطيوسى : الاقتصاب فى شرح ادب الكتاب .

اصطلاحاً عرفياً جرى عليه الناس في كلامهم ، وأنه لا علاقة بين الأصوات والمذلولات إلا بمقدار ما سمح به العرف والاصطلاح ، ومنهم من اتخذ حريفاً يرى فيه الاعتدال ، ويعتبره ثمرة التحقيق والموازنة .

ويستند المذهب الأول في اثبات الارتباط بين الأصوات والمذلولات ، وتأييد نظرية المدسبة — إلى أمور هامة في رأيه ، وهي ما يأتي :

١ — أن النكلم « وصعب في أول أمرها على هجاء واحد ، متحرك فساكن ، محاكاة لأصوات الطبيعة » ثم غُثمت — أي زيد فيها حرم أو أكثر في الصدر — أو القلب ، أو الطرف ، فتصرف المتكلمون به تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات ، والاهوية .

فكان لكل زيادة ، أو حذف ، أو قلب ، أو ابدال ، أو صيغة ، معناه أو غاية ، أو فكرة دون احتها . ثم جاء الاستعمال فأمرها مع الزمن على ما أوحتهم أساليبهم أو سمعهم أيهم الاستقراء ، واستتبع الدقيق ، وفي كل ذلك من الأسرار والغوامض الآخذة بالآلاف ، ما تجلت بمد ذلك تجلياً بديعاً ، استقرت على سنن وأصول وأحكام لن تتزعزع » (١)

٢ — لا يستطيع أحد من النحويين أن ينكر أن هناك نوعاً من الكلمات جاءت فيه أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء .. وهذا النوع هو الذي يطلق عليه المحدثون كلمة *Onomatopoeia*

وفي العربية من هذا النوع أسماء الأصوات مثل القهقهة ، والغفغة والضوضاء ، ولحثة ، والتأوه ، والعطيط ، والشخير .

وهذا للسان ، وللحيوان رغاء الناقة وبهاهما ، وهدير الجمل ، وصهيل الفرس ، وشحيج البغل ، ومهيل الحمار ، وحوار البقر ،

(١) التسناس ماري الكرملی : تشوہ اللغة العربية وبوها واكتهاها

ورثير الاسد ، وعواء الغنم ، وبياح الكلب ، ومواء الهرة ، وغير ذلك .
وبلاشياء خريير الماء . وهزيم الرعد ، وصريير القلم ، وغير ذلك (١)
ويحسن لا يحتاج الى كبير عناء حتى ندمع العلاقة الطبيعية بين الالفاظ
الموصوعة لمحاكاة لاصوات التي تصدر عن الحيوانات وغيرها ، ومراعاة
اللين أو القوة ، والخفة أو الشدة ، والهمس أو الجهر في التعبير عن
المعاني برفاهان واضح على المحاكاة الالسانية لاصوات الظاهرات المعبر
عنها . (٢)

٣ — انه تنشأ كلمات لتعبير عن مصدر الصوت اظبيعي مشتقة
من هذا الصوت ، وذلك كما فعلت بعض الالهم الاوروبية في تسمية
طائر معين يظهر في اربيع ، ويصيح « كوكو » . فنشأت في اللغة هذه
الكلمة وأطلقت على الطائر نفسه . لا على صوته فقط . وهذا أمر
طبيعي ، اذ من السير الفصل بين الصوت ومصدره ، ويشبه هذا
تلك الاسماء التي قد تنشأ نتيجة السحرية بسبب من الشعوب ، أو
المداعية أو الاستهزاء . (٣)

٤ — توجد اصوات تنشأ عن حركات الانسان قد توحى بدوع
من الكلمات وتبقى الاتصال بين اللفظ ومدلوله . . ومن هذا ، انشوع القمص
و لفظم والقصم والحصم وغير ذلك (٤) .

٥ — هناك كلمات تعبر عن الحالة النفسية ، يستمسك بها اصحاب
علم النفس ، ويرون فيها لمسة من الاصوات والمدلولات واسمعة
حلية ، ففي الكره والغفور والسحرية مثلا نجد كلمات مثل البغض

(١) د . ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص ١٣٠ ودلالة الالفاظ
ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢) د . صبحي الصالح : دراسات في لغة اللغة ص ١٥٢ .
(٣) د . ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص ١٣٢ وانظر دلالة
الالفاظ ص ٦٩

(٤) من اسرار اللغة ص ١٣٢ وانظر : د . صبحي الصالح —
دراسات في لغة اللغة ص ١٥٢ .

وانغصب والنفور والفتور والفساد وغيرها (١) .. والرافعي
يهتم بهذا الجنب اهتماما بارزا في مطام المعاني بالألفاظ ، ويجعل
له نسقا يوحى بيمينته الشديد به *

٦ — الامثلة الكثيرة التي تؤكد أن طول الكلمة أو قصرها في
الاصوات قد يوحى في اللغة بمعنى خاص * ومن ذلك قولهم :
« زيادة المبنى بتبنيها زيادة المعنى » * وأشارتهم الى أن تضعيف عين
الفعل قد يعبر عن المبالغة مثل دبح ودبح ، وكذا ما جاء على مثال
جرو جرجر وغير ذلك يفيد المبالغة أيضا . وما ذكر من أن زيادة الراء
وتكريرها في القمطير : الشديد — للتأكيد ، وما قيل في العتبات :
الداهية من أنه مما زيدت فيه الزوائد تهويلا وتفخيما ، والامثلة على
هذا الضرب كثيرة كما ذكرنا * (٢)

٧ — قيام الحركات بالرمز في بعض اللغات لمعان خاصة ، ففي
العربية نجد الكسرة فيها رمزا للمؤنث ، واتصغير بانياء التي هي
أخت الكسرة (٣)

٨ — بعض اندارسات التي جاعتمند استعجاب مؤلفات السبقين ،
وقضت بأن أهل اللغة والعربية قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة
الطبيعية بين الالفاظ والمعاني * (٤)

٩ — ماكتشف الذين اعتموا بالاشتقاق من صلات بين الاصوات
والمدلولات ، وأظهروا دلالة الحرف السحرية وقيمتها التعبيرية
الموحية مقتنعين بوجود التماسب بين اللفظ ومدلوله في حالتى البساطة
والتركيب ، موجبين الى أنه عند انعام النظر وملاطفته ، يمكن الوصول
الى المناسبة ، ويتم اكتشاف التقارب ، وعند التأمل يحقق ميرجوه
الدارس (٥) *

١ . د . ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص ١٣٢ ودلالة الالفاظ
ص ٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٢ وانظر ابن حنى الخصائص ج ٣ ص
٢٦٤ وما بعدها . وابن فارس : القليبيس ج ٥ ص ١١٧ و ج ٤ ص ٢٧٢
و ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) د — ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص ١٢٢ .

(٤) السيوطي : المرمر ج ١ ص ٤٧ .

(٥) د صبحي الصالح : دراسات في لغة العرب ص ٢٠٤ — ٢٠٩ .

ويذكر الدكتور ابراهيم أنيس أن الدارسين في الجامعة الاوربية ظلوا ينتصرون لفكرة الصلة العقلية بين الاصوات والمدولات حتى أواسط القرن التاسع عشر (١) .

والمذهب الثاني من مذاهب المحدثين يرى نفس ما رآه بعض فلاسفة اليونان والرومان وهو أن الكلمات بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها ثم تطورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات ، وأصبحت الصلة عامضة غليظة ، ولم يدع هذا المذهب أن المناسبة الطبيعية تطرد في كل كلمات اللغة (٢) . ولأرب أن أصحاب هذا المذهب ومنهم هبيلت العالم اللغوي المشهور المتوفى سنة ١٨٣٥ — ينتصرون للمناسبة ، ولكنهم أدركوا بعد التأمل والبطر أنه من الحير أن يمتزجوا بعدم الاطراد وأن ينهبوا على ما وجدوه من عموض (٣) . وإذا كان جسر سن قد حقق ما قبله بعضهم ودافع عنه فإنه كان حريصاً على التحذير من المغالاة في باب المناسبة بين الالفاظ ودلالاتها ، لأن هذه المظاهرة اللغوية في رأيه لا تكاد تملد في لغة من اللغات ، وأن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة (٤) وعلى الرغم من دعوته الى الحذر فإنه يقرر في النهاية : « أن كلمات اللغات تزداد مع الأيام ايحاءاً للدلالات ، وتكتسب الالفاظ بمرور الزمن قدراً أكبر من تلك الرمزية . ويتنمأ من أجل هذا بتلك النبوءة المتعائلة التي كان يحلم بها فلاسفة اليونان من أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه الصلة بين الالفاظ ودلالاتها أكثر وضوحاً وأوثق ربطاً مما عرف أجدادنا القدماء (٥) أما المذهب الثالث فإنه يرى أن اللغة أصوات انسانية لا تكاد تخضع لنظام عقلي منطقي في تكونها وصدرها وذلك للأسباب الآتية :

١ — أن اللغة أصوات انسانية ، وهناك قدر مشترك من الاصوات بين معظم اللغات ، كما يوجد منها ما يختص بلغة من اللغات أو فصيلة

(١) د - ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص ١٢٨ .

(٢) د - ابراهيم أنيس - دلالة الالفاظ ص ٦٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) المصدر ذاته ص ٦٨ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٠ .

من العمائل اللغوية . ومع أن هذا القدر المشترك بين لغات البشر كبير فإنه لا يكاد يدرك أى صلة عقلية بينه وبين التفكير الانساني العام ، ولا يكاد يعرف الأساس العقلي الذي أدى إلى اشتراك الميم والفاء والكاف ، وغير ذلك من أصوات لغوية في كلام معظم الناس مهما احتفلت مشاتهم . وتعددت لغاتهم ، أو تشابت أجناسهم (١) .

٢ — هناك أصوات عرزية يبدأ بها الطفل مناعاته كالميم والباء ، فسرهما اللغويون على أنها مرتبطة بعملية الرضاعة ؛ ولاحظوا تبعاً لهذا اشتراك كلمات قديمة بعيدة في القدم بين جميع اللغات ، أساسها الميم أو الباء ، وتعبّر عن الأبوة والامومة . وحتى تلك الأصوات لا يكاد يدرك منها ، لماذا اتخذت معظم الكلمات من انباء صوتاً أساسياً لتعبير عن معنى الأبوة ، ومن الميم أساساً للتعبير عن معنى الامومة ؟ ولم يتم تكن لمسألة معكوسة ؟ (٢) .

٣ — لا يمكن تصهّل الظروف الاجتماعية الخاصة التي بررت اختصاص الأبوة بصوت والامومة بآخر ، أن استقرار تلك الكلمات في اللغات البشرية جعل الناس يستسكون بها بعد ذلك ، جيلاً بعد جيل . ولذلك أصبحوا يابون على الطفل مناعته الآن مصوت الميم وهو ينظر إلى أبيه ، أو لئاء وهو ينظر إلى أمه . لأن الكبار هم الذين فسروا منذ القدم مناعاة الطفل « حسب ما تصادف حينئذ من ظروف اجتماعية خاصة ، واستقر أمرهم على اعتياد المناعاة بالباء تعبّر عن الامومة في حين أن المناعاة بالميم تعبّر عن الامومة » (٣) .

٤ — إن القيمة اللغوية مسببة عما ألف الناس أن يعطوها من دلالة ، والاصطلاح أو الاعتبار هو الأساس « وعلى هذا فإن ميقبل عن أصله الوثيقة بين اللفظ والمعنى . وإن الأول هو حكاية يتأذى فيها ذلك المعنى غير مقبول على أحرام . لأن حكاية لصوت حد واسع

(١) . إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ١٢٤ .

(٢) من المصدر والصحة

(٣) من المصدر والصحة .

المعنى ، لم يقده صابط يصدق في جميع الاحوال ومن يتأمل معنى القطع يجده يؤدي بحروف كثيرة عديدة لاسيما الى أن نأتى على حصرها وضبطها • « ومعنى هذا أن حكاية الصوت لا تؤدي بحروف معينة ، وأن المعنى على هذا لم يوضح توقيفا أو اصطلاحا ، ومن أجل هذا فاللفظة التي تعرب عن « الوحدة » في العربية وهي « واحد » أو أحد أو أول • وكذلك اللفظة التي تدل على فكرة « الأزواج » وهي « اثنان » ، وغير ذلك من أسماء العدد • • لامتلك أية صلة بفكرة الوحدة أو فكرة الأزواج ، وما المعنى الذي تسوق اليه الاثنان اصطلاحا ألفه الناس منذ كانوا ، وعلى هذا فالاستعمال خدمهم ، وضابط جامع لا يستطيع اللغوي أن يتخطاه ، ويضرب في الاوهام التي لا تسعه ، ولا يفيد منها • • (١)

٥ — من العيث أن سطر في العيث عن الصلة بين الاصوات والمذلولات ، لأن آلاف من السنين قد مرت على الكلام الانساني ، ومن العيث اقتراض أن الانسان الاول قد رأى في لاهتداء الى الكلمات صلة وثيقة بين الاصوات والمذلولات ، فهذه المسألة مرتبطة بنشأة الكلام الانساني الذي تبينت فيه النظريات وامطرت فيه الآراء ، ولم يبلغ أحد فيه مبلغ اليقين أو القطع (٢) •

٦ — من الملاحظ أن الاصوات والمعنى قد تتغير باختلاف الأزمنة والامكنة وتخضع للتطور وأن أبناء اللغة الواحدة يتغير تفسيرهم للاصوات الطبيعية بتغير الاجيال والازمان والظروف الاجتماعية • وما توحىه الاصوات الطبيعية للأفراد في العصر الواحد والبيئة الواحدة قد يختلف من فرد الى فرد فإذا طوّل هذا بوضع كلمة لصوت طبيعي سمعه ، فقد يختلف ما يأتي به عما يكون في ذهن أحبه • « أما ما توحىه الاصوات الطبيعية في أذهان الشعوب فلا نزاع في أنه يختلف من شعب الى شعب • » (٣) •

(١) د : ابراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ص ١٨٩ — ١٩٠ •

(٢) د : ابراهيم انيس : من أسرار اللغة ص ١٢٧ ومحمد المبارك :

فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٨٩ — ١٩٠ •

(٣) د : ابراهيم انيس : من أسرار اللغة ص ١٢١ وانظر ص ١٢٩

وانظر عند السلام هارون معجم مقاييس اللغة مقال بحلة اللغة العربية ج ١٥ سنة ١٩٦٢ م ص ١٠٢ •

وهذا يدل على أن فكرة أصلة بين الأصوات والمداولات ليست
بلامر الانساني العاليي لممكن أن ترتبط بالعقل النشوي العام أو يمكن
أن نرى فيها صلة من صلات المنطق الانساني العام (١) .

٧ — أن الالفاظ « لاتعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على
اشارات كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أى معنى من المعنى ،
فما يسمى « بالشجرة » يمكن أن يسمى بأى لفظ آخر متى اصطالح
العاس عليه ، وتواضعوا على استعماله ، فليس في لفظ الشجرة ما يوحى
بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها . وقد كان من الممكن أن يعبر
عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالاشارة ونحوه . » (٢) .

ويؤكد بعض العلماء أن الالفاظ لاتراد لانفسها ، وانما تراد
لتجعل أدلة على المعاني . وليس هناك فساد لو قيل لفظ مكان آخر عند
الوضع وليس الاسم واجبا للمعنى بدليل انتفاء الاسم قبل التسمية
٠٠ (٣) ويشير بعضهم الى ضرورة مراعاة ما تخلعه اذات على الموضوع ،
وما تمنح الآراء التي تكشف النفس (٤) .

٨ — أن الصلة المكتسبة ممرور الايام بكثره التداول والاستعمال
كان لها أثرها في جعل الالفاظ أرقى من مجرد رموز ، والاعتزاز بالالفاظ
وتقدير فصلها في الحياة أدى الى إعطائها فوق مالها في الحقيقة
والواقع ، والنظرات الادبية قد تمنح الالفاظ اعتبارات ودلائل لوجود
لها .

٩ — أن الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة قد تعبر عن عدة معان ،
وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي ، وهذا لا يتفق مع مذهب الصلة بين
الالفاظ والمداولات ، وكلمة العين مثلا تدل بوضوح على معارضة
منهج الربط بين الأصوات والمداولات ٠٠ (٥)

(١) د . ابراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ١٣١ .

(٢) د . ابراهيم أنيس : دلالة الالفاظ ص ٧٢ .

(٣) عبد القاهر العرجاني ' دلائل الإعجاز ص ١٠١ ؛ والابدى .

الاحكام في أصول الاحكام ج ١ ص ٤٨ .

(٤) ميخائيل نعيمة : العربي ص ١٥ .

(٥) انظر المرمر للسيوطي ج ١ ص ٣٧٢ — ٣٧٥ .

١٠ — أن استرادف وهو أن يحد لفظان مختلفان فأكثر على معنى واحد باعتبار واحد (١) • يعد دليلاً قوياً على معارضة فكرة الصلة •

١١ — على الرغم من جهود من حاولوا تعليل نشأة أصول الالفاظ الاولى بمحاكاة الاصوات الطبيعية فبهم سم يقدموا برهاناً ساطعاً أو دليلاً قاطعاً • فلم تصدق المحاكاة عند بعض الباحثين (٢) الا في اقليل النادر من الفاظ كل لغة • واداً قيل أن تطوّر يتعرّج منها من الفاظ والقص والكسر ولانين والحييف والقلقة والمصلي وأضرابها — تحكى بأصوات حرومها أصوات الاحداث التي تدل عليها في اللغة العربية • • فكم عدد الالفاظ التي يقع هذا الموضع ويصف بهذه الخاصة في اللغة العربية • • ؟

لا شك أنها قليلة محدودة • أما الالفاظ التي بين جرسها ومعناها تناسب وتوافق فربما كانت أكثر عدداً • ولكنها لا يحنج بها في الباب ولا يمكن أن يعلل أصل وضعها بالتعليل الصوتي لحدود هذا التناص وذلك مثل شق ودق وقرع وككب وسال وتمخ ورحف • •

على أن في هذا التناص شيئاً كثيراً من العدة والاختلاف عند أهل كل لغة في الربط بين بعض المعاني وبعض الاصوات • ولو صحت هذه النظرية لما تعددت اللغات وتمثلت أو تسابحت على الأقل • فن أصوات الطبيعة واحدة • مع أن تلاقى اللغات في اللفظ واحدة وتتساه الالفاظ اندالة على معر واحدة لا يقع الا في القليل النادر •

وإذا وقع ملابد غالباً من بعض الاختلاف (٣) •

ويبدو أن انهضة اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين جمعت انجبة بهذا المذهب الذي يعلل الربط بين الاصوات والمذلولات بعد أن دعم موقفه بأدلة قوية • وأثبت بعض أنصاره أن

(١) أطلر المزهري للسيوطي ج ١ ص ٤٠٢ •

(٢) محمد المارك : مقه اللغة وخصائص العربية ص ١٨٧ - ١٨٨ •

(٣) نفس المصدر •

لمقارنة بين مئات الكلمات في الفصيلة الهندية الاوربية فيها البرهان على فساد فكرة من يبادى بأن اللغة اتخذت للتعبير عن الاشياء طريق الاصوات التي توحى الى الآذان بنفسها أو بمقارنتها بغيرها أثراً مماثلاً لذلك الذى توحى تلك الاشياء الى العقول • (١)

و المذهب الرابع الذى يمثل الاعتدال يوسع ثمره من ثمار التحقيق والموازنة يرى أن في اللغة معاني تتطلب صواتاً خاصة يوهبها مدلولات تسارع اللغة للتعبير عنها بالفاظ معينة (٢) ، وعندده أن المناسبة ظاهرة في حكاية الاصوات ، مع مراعاة أن المضاهاة الصوتية قلما تكمل أو تدنو من الكمال للاختلاف في أدوات السمع ، وملاحظة أن المحكي أصوات سادحة لا رباط لها • ولا عصام يحصرها • وقد تظهر المناسبة في الصورة أو الصفة وقد تخفى ، فلا ينبغي الغلو والتطرف والزعم بأنها محققة دائماً ، وإن لم تظهر مخرج الأمر الى عدم انعام النطق أو وجود أشياء في أصول اللغة لم تصل اليه تخفيت عيناً هذه المناسبة

والحق عنده أن شيء قد يسمى بما حسه له به ، وأنه لا توجد مناسبة في مثل اسفل والحلم وفي مثل القط للحيوان الحاص وكذلك انقلب • وغير ذلك ، مما يؤكد ضرر الاسراف في القول بها في كل شيء ويومئ الى أن بعض الأدباء قد خالف الأسس اللغوية العملية • وأراد أن يفرض أصلة العقبية وإن كان السبيل هو النعسف والتشطط •

الرافعي ونظرية المناسبة :

أشرنا الى ايمان الرافعي بالمناسبة والواقع أنه يجعل اللغة كلها حكمة للطبيعة يؤكد هذا الايمان ، ويجعل للمناسبة القوس في كشف الاسرار ، وامراز التمدن ، والسيطرة على الدرس اللغوى • ولا ريب في أن الرجل يعتمد عليها كل الاعتماد ، ويقرر أنه لا بد من مراعاتها في الوصف والفهم ، وإن اختلف الوجه قوة وضعفا •

(١) د : ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص ١٢٨ — ١٢٩ •

(٢) نفس المصدر ص ١٢٨ •

يقول الراجعى (١) فى المجاز : « وهذا هو الوضع الاخير فى اللغة ، ولد تجد مراعاة المناسبة فيه على أضعف وجوه ، مكالمهم فى الوضع الاول راعوا المناسبة الثابتة التى لا ريادة فيها . ثم توسعوا فى هذه المناسبة بنوع من التصرف فى الوضع الثانى . وهو الاستدق ثم ملعوا آخر حدودها (المناسبة) فى المجاز . وهذا مما يؤكد أن اللغة كلها حكاية للطبيعة ، فان كان ثم توقيف أو وحى فيكون فى هداية العقول الى أسرار هذه الحكاية » .

وهكذا محد المناسبة تراعى فى طرق الوصف . وهى ثلاثة أنواع : مناسبة ثابتة لا زيادة فيها ، ومناسبة توسعوا فيها بنوع من التصرف ومناسبة تمثل آخر أحوال أو تأتى على أضعف وجوهها .

وأذا كانت المناسبة على هذا المستوى الشامل ، من اللغة تعد عنده حكاية للطبيعة ، ويوجهها الراجعى الى أنه « لابد فى استكناه منطق الطبيعة من الدهن الشفاف ، والبصيرة السفاهة . والالهام الخفى الذى يشبه ميسا من النور الألهى يصىء بين العمل والعلب فلا يبع سماعه على جهة من الطبيعة الاكتشف منها عن معانى الاسرار الالهية » (٢)

وهذا التوجيه فيه الايمان الشديد بحكاية الطبيعة وما تفرضه من المناسبة والارشاد الى الامور التى تكشف المناسبة ، وتظهر اسرار الحكاية .

وقد أحأ الراجعى الى انقلو فى وصف الالهام ، وكأنه يحتم وجود المناسبة ويؤكد أنها تحتاج أحيانا الى قدرة باغة تشبه قسما من النور الالهى .

ان تلك القدرة الملائكة هى التى تتولى الكشف . وتحقق الصلة بين الانفاظ والمداولات . وتعصم الاسرار الالهية التى جعلت حكاية الطبيعة أو أوجه المناسبة تسبطر على أمر اللغة . وتدعو الى اجلال مكانتها .

(١) مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧٤

— ١٧٥ —

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

والرافعى يؤمن بأن لغات العرب • وإن اختلفت في اللحن والاستعمال إلا أنها تتفق في المعنى احدى من أوجه صار العرب جميعا يخشعون للفصاحة من أى قبيل جاءتهم • وهذا المعنى هو مناسبة التركيب في أحرف الكلمة الواحدة ثم ملائمتها للكلمة التى بازائها ، ثم اتساق الكلام كله على هذا الوجه (١) • وهو يؤمن أيضا بأن اللغة « لا تشب عن أطوار أهلها متى كانت من غرائزهم ، وإنما تكون على مقدارهم ضعفا وقوة لأنها صورتهم المتكلمة ، وهم صورتها المفكرة ، فهى الفاظ معانيهم ، وهم فى الحقيقة معانى ألفاظها • ولذلك لا تريد عليهم ولا ينقصون عنها ، مادام رسمهم لم يتغير وما دامت عادتهم لم تسلك (٢) » ومن قبل وجهها ابن جنى عند رؤية شيء لا ينفاد لنا فيما رسمه ، ولا يتأيننا على ما أورده الى اسبب الذى لم يمكننا من كشف الهندسية أو الصلة أو اساس الالفاظ أشياء المعانى ، ولكنه لم يبين مبلغ الرافعى في حديثه عن البصيرة النفاذة والالهام الخفى الذى يشبه أن يكون قبس من أنوار الآلهى • إن هذا اللغوى الكبير يؤمن بأن المناسبة مما ثبت الله أطنابه ، وأحصف بالحكمة أسبابه ، وهى مراعاة ، وإن لم نستطع كشفها وتجليه وجهها • يقول فى الخصائص (٣) : « فإن أتت رأيت شيئا من هذا النحو لا ينفاد لك فيما رسمناه ولا ينابك على ما أورده ، فأحد أمرين : أما أن تكون لم تتعم النظر فيه فتقع بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عن وتقتصر أسبابها دوننا كما قال سيبويه ، أو لأن الاول وصل اليه علم لم يصل الى الآخر • فإن قلت فهلا احرت أيضا أن يكون ما أورده فى هذا الموضع شيئا اتفق ، وأمرنا وقع فى صورة المقصود من غير أن يعتقد ، وما الفرق ؟

قيل فى هذا حكم بإبطال ما دلت الدلالة عليه من حكمة العرب التى تشهد بها العقول ، وتندهر اليها أعراض ذوى التحصيل • فما ورد على وجه يقبله القياس ، وتقتاد اليه دواعى النظر والانصاف حمل عليها ، ونسبت الصنعة فيه اليها • وما تجوز ذلك فخفى لم تؤمس النفس منه ،

(١) مصطفى صادق الرافعى اعجاز القرآن والبلاغة النبوية الطبعة الثانية ١٩٢٦ المطبعة الرحمانية ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) نفسه ص ٦٨

(٣) ج ٢ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

ووكلا الى مصادقة النظر فيه ، وكان الاخرى به أن يهتم الاسمان نظره ولا يخف ابى ادعاء المقص فلما قد ثبت الله أطباعه ، وأحصف بالحكمة أسبابه . ولو لم يتببه على ذلك الا به جاء عنهم من تسمية الأشياء بأصوتها ، كاخازباز لصوته ، والبط حصوته . والطابق لصوت الفرج عند الجمع . وأوراق للصد لصوته ، وغناق للغراب لصوته . . . ويخو منه قولهم هاهيت ، وعاعيت ، وهاهيت . ذا قلت : هاء . وعاء ، وهاء . وقولهم بسمت وهيلت ، وحولقت ، كل ذلك واتسبه اما يرجع في اشتقاقه الى الاصوات ، والامر أوسع .

ويبدو أن ارافعى وإن اتفه الى المباحة والعلو قد تأثر في مسألة الوصح بالسابقين الذين يرون أن اللغة سواء أكانت انهما آليا أم كانت اصطلاحا بشريا — لا بد فيها من وضع يجعل لفظ كذا براء كذا ، بوضع واضح قدر الحاجة اللغوية ، ووضع الكلمات الوافية بها عكما لحظ الاعتبارات الحيوية اختلعة أنتى سيحرج انبها الاستعمال في المستقبل البعيد ، وأعطى الكلمات أحوالها التى تلائم هذا الاستعمال وتيسر أمره .

وأرى أن تعويله على الوضع الذى يفيد التمين — تحين اللفظ وراء المعنى ، يدعم نظرية المناسبة ، فلو وضع عمل عقلى صناعى . وإن كان استحقاق يثبت أن عملية الوصح هذه تقوم على أساس مناقض طبيعة أن اللغة اجتماعية ، وليست اجتهدا عقليا ، أو عملا لفرد أو أفراد (١) .

وفي عرض الرافعى طرق أوصع يهتم بأمر المناسبة اعتمضا واضحا فيقول في الارتجال (٢) : « هو وضع اللفظ امتداء في أول أمر اللغة بتقليد الطبيعة كما مر في موضعه . . . » ثم يقرر بعد ذلك أن الارتجال تراعى منه النسبة بين اللفظ الموضوع والمعنى الموضوع له ، كمصاكة الاصوات والحركات الطبيعية ونحوها . . .

(١) أمين الخولى : مشكلات حياتنا اللغوية ص ٤٤ .

(٢) الرافعى : تاريخ آداب العرب ١ ص ١٦٨ .

أما الاستقاي فانه يقول (١) « كل ما وضع من اللغة أرنجالا
هناها وضع لماسة بين الدال والمدبول على وجه من الوجوه ، ولولا
تحقيق هذه المناسبة في الوضع الأول متنبهوا اليه في الوضع الثاني
لان بعض الانبياء يدعو الى بعض ، والارتقاء سنة لا بد منها من
اطراد النسبة ، وعلى هذا أمكنهم أن يجعلوا كل مقطع من المقاطع
الثنائية أصلا في الدلالة ثم يفرعون عنه بالاستقاي معانيه الحزنية
المختلفة التي ترجع في أصل الدلالة اليه ، فكان المعاني سلاسل مرتبة
تتصير كل ضائفة منها تحت جرس معيوم على ما تقرروه في مذهب النشوء
والارتقاء . »

ولا يزال هذا التسلسل متحققا في اللغات السامية الماقية الى اليوم
وهو أظهر في العربية منه في اخوتها حتى ذهب بعض العلماء الذين
استقروا تركيب اللغة الي أن هذا لأصل مستصحب في كل تركيب ،
بحيث لا يخلو مما يرجعه اليه ولو تأويلًا من طرق المجاز الا ما تخلف
عن سلسلته لامر طارئ على أصل الوضع . كأن يكون مدلا من لفظ
آخر أو مغلوبا عنه أو داحلا في تركيب المادة من لغة أخرى لان العلماء
الذين دونوا هذه اللغة جمعوها من لغات كثيرة بعد أن تداخلت هذه
لغات بعضها في بعض . . . معنى هذا التداخل كثير من وجوه
ابوضم الاستقاي ، وأضاع النقل كثيرا من الفاظ اللغة ، مما انزلت به
سلسلة أوضاعها ، فأصبحت بحيث لا يمكن يدل فيها على تحقق
التسلسل الا باعتبار الألب الأعم . . . »

ويذكر الرافعي ، نقل عن بعض المعتزلة أنه ذهب الى أن بين
اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع عن أن يضع . . ثم
يقول (٢) « و أما حواصل أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على
ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني . . . »

ويتحدث الرافعي بعد ذلك عن الاستقاي ثم يقول « وقد قلنا
في تحقيق المناسبة بين الالفاظ والمعاني ، وأن أكثر أهل اللغة والعربية
مطبقون على ثبوتها لأنها في الحقيقة ليست الا نوسعا في المناسبة الاولى

(١) نفس المصدر ص ١٦٦ — ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ .

التي هيأت للواضع أن يضع بانتقليد والمحاكاة ونص دأكرور طرما
معا يثبت تلك المناسبة * * *

ويأتى الراغمى بأمثلة ذكرها البيضاوى فى التفسير ، وهى ألفاظ
تتفق فى حرفين وتختلف فى اثنائ وترتبط بمعص المعانى . ويعدها
الاديب الباحث معا يثبت المناسبة مثل : « قل البيضاوى فى تفسير قوله
تعالى (وما رزقناهم يمعقون) (١) أمى الشىء ، وأبقه أخوان وبو
استقرت الألفاظ وجدت كل ما غارّه نون وعينه فاء دالا على الذهب
والخروج » . وهذا بناء على ما عليه أهل اللغة من أن المشاركة فى أكثر
الحروف اشتفى بدور عليه معنى المدة مبتدأ أصل معاها . ويتغاير من
بعض الوجوه * *

و لرد بالاخوة توافقهما فى الاشتقاق . وهو هنا الاشتقاق الاكبر
أما أنواع السمو فى اللغة فهى بديه تتحدد فى حملتها احراء اللغة . وتصف
تربيع اتساعهم فيها . وهى من هذه الجهة تعتبر تصاما على الذى
تقدم وتفصيلا له (٢) . وهو يؤكد فى بعض هذه الانواع أن اللغة نض
عن الطبيعة . معنى الابدان يقول (٣) . « وقد أسلفنا فى الكلام على أصل
الوضع أن الحورة الجديدة أتت دارت بها الحروف بعد وضع المقاطع
انثائية كانت ياقبب والابدان * والدليل على ذلك أن أكثر ما يجرى
فيه الابدال من اللغة اسما هو الالفاظ الطبيعية الاولى التى كانت من
حاجة الإنسان أول عهده بالتعبير كالقطع والكسر والهدم والشق والخوقة
والفرقة والتبديد وهى المعانى الوحشية فى لغة الامسان * ثم لما
انقاد الوضع بهذه الطريقة لاهل اللغة جعلوها من سنتهم ، وقلبوها عليها
الالفاظ الأخرى مما ليس بسبيل من تلك المعانى * والغريب أن معمل
القطع يكاد يكون الاصل فى أكثر هذه اللغة غفلما تناولت مدة الا رأيت
أثره أبعنوى فيها ، ولو تأويلا ، من طريق المجاز : وهذا يؤكد أن اللغة
مخلقة من الطبيعة » *

(١) المصدر السابق ص ١٧١ — ١٧٢ وراجع حاشية الشهاب
الخفاجى المسماة بحاشية القاشى وكشابة الراى على تفسير البيضاوى
الحرء الاول طبع بولاق ١٢٨٣ هـ ص ٢٢٩ واخرى ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٨٠

(٣) المصدر السابق ص ١٨٠ — ١٨١

وواضح أن الرجل يشير إلى ما صنعه لانتساع ، ويجعل أنواع النمو ثمانية على أذى تقدم وتفصيلا له . ليدل على أن المناسبة تراعى في هذه الأنواع بوجه من الوجوه التي تحققها ، وعند بيان الأمثلة مجده يريد الأمر تجنية وتاكيدا وبغضى بمستوى المناسبة . يقول الراجحى (١) : « فكل أولئك إنما يقع فيه الأدال بغيره المعاني فترى الالفاظ متقاربة ترجع إلى مقطع واحد ، وهى بعد متبعية في ادلالة يؤكدك ترى معانى كل صائفة منها ترجع إلى جنس واحد ثم تتباين متقاربة . وبهذا يتحقق الارتباط المتسلسل الذى هو برهان التاريخ على النشء اللغوى . »

وقد تجد للمعنى الواحد الالفاظ متعددة في اللغة ، ثم تجد كل لفظ قد صار أصلا في ادلالة ، وتفرعت عنه الالفاظ أخرى على طريق الإبدال ، ثم يدل بكل لفظ على جزء من أجزاء المعنى . كما تجد من الالفاظ اصطنع مثلا قط ، وقص ، وجذ ، وغيرها . فان هذه الالفاظ وضعت في الأصل حكائية لأنواع من أصوات القطع اما حقيقية أو متوهمة . فقد نسمع أنت صوت الشيء المقطوع كأنه « قط » ولكن غيرك يتوهمه كأنه « قف » .

وقد يكون لبعض الاشياء المقضوعة أصوات أخرى نحكي (جد) أو (كس) أو (قص) . وغيرها . فترى لفظ قط قد صار أصلا وتفرع عنه قطع وقطف وقطب وقطم وفمل ، ومحروها . وترى لفظ (قص) قد تفرع عنه قصم وقصل وقصب وقصر وقصف . ومن لفظ (جد) جذب وجدر وجذف وجدم . وهكذا . وكلها معان متقاربة تتقلب معها الالفاظ المتفرعة من مقطع واحد . وهذا هو أكبر أنواع النمو في اللغة ، لأنه أصل نشأتها . »

هذا موقف الأديب البحث ، وقد أثريا في المذهب الثالث من مذاهب المحدثين إلى رأى بعضهم في فعل القطع ، واتخذوه حجة في معارضة فكرة الصلة أو المناسبة .

والذى بهما الآن انما هو تجلبة اسرار النظام اللغوى ، وببإل
أنها تقوم على مطرية المناسبة عند الراقى . وتعتمد على منهجه فى
الاتساع ، والثموم ، وإيمانه بالرباط الذى يجمع ضروب لنظام
اللغوى ويضمهم لسنه وسيطرته . ولابد لنا من الاشارة الى تمدن
العرب اللغوى ، لنذكر علاقة الاسرار به .

تمدن العرب اللغوى :

يرى ارامى أن تمدن العرب اللغوى ، حقيقة لا ريب فيها ، لأن
هناك كمالات فى وضع اللغة واحكامها على سنن نبيا المعنى الالهي ، وفيه
الروعة التى تملك على الاسنان مذاهت حسه . وتنسب فى قلبه ، وفيها
ما صنعه أعقل الحي الذى عول على الحكمة ، والنظرات السامية حتى
ظهر سر ابتداعه ولا يمكن انكار هذا اتمدن عبده لأن اللغة صورة
الاجتماع والعرب : « فى تمدن جاهليتهم أفصحى لا يوارثون أمة من
أمم التاريخ ، بل هم لولا ما سبق فى علم الله من أمر سيكون فيهم ،
وقدر واقع بهم . وثأن فى الحب محبوه لهم . لما عدوا فى الاعتبار
الاجتماعى ان يعدوا موجودات استتبه مهمة كأنهم يقيا مسية من
التاريخ . وقد تقرر عند الحكماء أن غنى اللغة بألفاظها ، واتساع وجوه
التصرف فيه دليل من على هدية أهلها وسعة متقيتهم من ظل الاجتماع
فلا يبقى الا أن يكون للعرب تمدن لغوى خصوصا به من أصل
انفطوره » (١)

ومما يؤكد هذا التمدن أن الاحوال الظاهرة للجماعة انما هى مرآة
اسمى الباطنة فى الافراد ، والاجتماع فى معاش ليس الا مجموع
آثار لعقول وتاريخ التغيرات النفسية . أن وجه المسألة يسود
مسة التمدن ، وألوما تثبت لدى الرافعى أن العرب لا ترى حقيقة
هم ولا يشهد مظهر الا فى اللغة . وحقيقة التمدن تدل على أن تلك
اللغة بحر الحياة . « لذى أصبحت فيه جميع المسامر . وانعت بها

هذا التيار العظمى الذى يدفع بعضه بعضا ، وكأنها هى التى تهذب من نفوسهم وترتها ، وتعديلها وتخلصها برقة أوضاعها وسمو تراكيبها ، حتى ينشأ ناشئهم فى نفسه على ما يرى من أوضاع الكمال » (١) •

والنظام النفسى عامل هام فى إثبات التمدن ، بل هو الأساس الذى يمنح النعمة من رفقتها ، وشروط امتدنى الاجتماعى وهى الحرية والنظام والنمو هى أحسن مميزات اللغة العربية ، « فهى حرة فى أوضاعها بما يطبق الحرية الشخصية والسياسية • منتظمة فى أجزائها بما يمثل نظام القوانين والشرائع • • مامية فى مجموعها بما فيها من ثروة الأوضاع • • » (٢) •

والرائعى ينلو فى الامر حين بقوى (٣) : « فالعرب اذن قوم معنويون • كان تمدنهم معنويا ، وهو جردتهم من مزايا لغتهم ، والقيت فى أفواههم أصول اى لغة من لغات العالم لخرجوا بها حنسا مخمورا فى الاجناس ، ولكانت حريتهم عبثا ، ونظام قبايلهم فسادا • ولصاروا فى الجملة الى حال اشعوب التى لا يدور بها الزمان • • »

وسبق أن ذكرنا رأى البحث اللغوى فى استفضل ، وأومأنا الى اسراف هذا الاديب الباهت فى تعظيم اللغة اسرافا لم يبلغه احد ، ولكننا نلاحظ أن هذا الكلام ناق كل حد فى ابالعة ، وبدأ غريدا فى مسلكه الذى يتجاهل نسق الاعتدال ، ولا يراعى أمر الحقائق اللغوية التى تحتكم الموازنه المصنفه • • ومهما يكن من شىء فإنه يقرر أن من وجوه التمدن العناية بتأليف الحروف ، والاعتصام بعذوبة المطلق ، ومراعاة النسب اللفظى ، واحكام الكلام ، وتوخى روعة الاسلوب ، وغذابة التركيب ، ويقضى بأن هذا مما خص به العرب دون سائر الامم ، ويحرص على ذكر وجه الاستعلال المعنوى الذى يقوم على مراعاة السنن الطبيعية اثباته ، لاهم بفرعون من المعانى فروعا كثيرة بالمطاز

(١) المصدر السابق ص ٢١٥

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٦ — ٢١٧

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٧

والاستعاره ثم يجرون عليها الانفاذ اثنى تناسبها • وهو حريص كل الحريص على تأكيد نظرية انماضية التي تجعل الالفاظ تنزل على حكم العرب في التأليف من العذوبة والمناسبة (١) •

ويرى الاديب اللغوي أن من وجوه التمدن أيضا الحركات التي تخصص المعاني وبعين الاعراض ، وبحكم بأنها من أحصى مميرات السمو العقلي . ويذكر أنواعا من احركات منها الحركات الاعرابية ، التي يقرر أنها في استمييز بين المعنى لا نظير لها ، علا يوجد ذلك في غير لغة العرب • ومنها حركات التنصريف وغيرها مما يشير الى الفروق (٢) •

ومن وجوه التمدن التي تستند عصب المفكر في رأيه تصرف العرب في حروف المعاني • ودلالاتهم بالحرف ، الواحد في الكلمة على المعاني المختلفة كمعاني الهمزة والياء وغيرهما مما يتصرف به مناحي الكلام أما ما يزيد اعجب فهو أن لا يكون بين المعنيين أو المعاني الكثيرة وجوه من التشبه بحيث يتناول في رد معانيها الاصول بعضها الى بعض (٣) •

ويعتبر الرامعي النظم في هذه اللغة هو الصلة بين طريقتي التمدن اللغوي للاديب هما الحرية والنمو (٤) • ويحتفل بأسرار النظام ، منجعل لها دراسة خاصة ، وشرها يحذر عن ادراكه أهميتها ، وعظمتها لا تمثله من الجلال في الدرس ، والتكامل في النسق ، والسيطرة في اللغة •

واحق بأنها تستحق هذه العناية التي تبرز في تاريخ آداب العرب ومنهجها المترابط برهان على أن ارجل له مرسى في البحث اللغوي • وله آراؤه التي تحوّل الوصول الى نسق شامل يعتبر وجهها جديدا في البحث ، ودراسة متعمقة في أسرار اللغة • ووجوه التمدن الهامة •

(١) المصدر نفسه ص ٢١٧ — ٢١٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٣) المصدر نفسه ٢٢٠

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٢ • وعبارة الرامعي هو الصلة بين طريق التمدن اللغوي للاديب هما الحرية والنمو • ولعل المتصوّد بطرق التمدن لأنه ذكر أن شروط التمدن الحرية والنظام والنمو •

أسرار النظام اللغوي :

يرى الراجعي أنه توجد ثلاثة ضروب تكشف أسرار النظام اللغوي وهي :

- ١ — نظام الالفاظ بالمعاني
- ٢ — نظام المعاني بالالفاظ
- ٣ — النظام المطلق ، وهو نظام الثريفة أو الحس النفسى .

وأرى أن الضروب الثلاثة تقوم عدة على نظرية المناسبة ، وهذا يحقق العامل الذى يعطى السبق ترابط ، ويوجه الدرس اللغوى الى منهج شامل له هيئته على أضرب النظام ، واخصاها لما تفرسه وجوه المناسبة ، وقد ذهبنا الى ذلك لان الراجعي يحدد ما يقصده بالنظام اللغوى فيقول (١) : « لا نريد بمعنى النظام هذه الاحكام الظاهرة في اللغة كالاعراب ، والتصريف ، والقواعد اللسانية » من نحو عدم الجمع بين ساكنين ، أو متحركين متضادين . فهذا كله ليس الا اسبابا للنظام الذى ندرجه في هذا الفصل ، وهو يشبه النظام النفسى ، من حيث تعلقه بالحكمة التى تضبط عواطف النفس وخطراتها ، وهكذا يشعر الى أن نظامه يقوم على مراعاة المناسبة . لانه يشبه النظام النفسى من حيث تعلقه بالحكمة ، ولانه يعمل على ضبط عواطف النفس وخطراتها ، وليس أحكاما ظاهرة في اللغة كالاعراب ، والتصريف ، والقواعد اللسانية .

والرجل يود أن يبينه على أن غرضه تحقيق مستوى يأتى بالترباط ويدلنا على أن منهجه هو منهج الشمول الذى يحد في النظام النفسى عايته ، ويجد في الحكمة السر الذى يضع في هذه الضروب ما عرفه من اتفاق أو ما اكتشفه من خصائص . ولا ريب في أنه يرمى الى أن يصبح اللغة وبعض ظواهرها بصيرة عقلية ، ويقصد أن يحملنا على التسليم بأن لحالة النفسية أثرا في معظم ما نراه في الانظمة الثلاثة المتقدمة .

(١) الراجعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٢

ومن الملاحظ أن من الأحكام الظاهرة التي ذكر أنه لا يريد بها التصريف ولكننا نجد أنه بذكر الاستقاق بعد ذلك ، وبين الاستقاق والتصريف تشابك وتلازم وترايط . قال ابن جنى في كتابه المنصف (١) : « وهذا القبول من العلم اعنى التصريف يحتاج اليه جميع أهل العربية لأنه ميراث العربية ، وبه تعرف الأصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه ، ولا يوصل الى معرفة الاستقاق الا به » . وقال ايضا (٢) . « وينبغي أن يعلم أن بين لتصريف والاستقاق نسبا قريبا ، واتصالا شديدا » .

ومن الحروف أن أحدهما طريق لى معرفة الآخر

وموقفه من الاعراب هو نفس موقفه من التصريف . وابن السيد البطليوسى يقول في كتاب الاقتصاب في شرح أدب الكتاب (٣) : « ولعمري أن العرب ربما حاكمت المسمى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع . ويوجد ذلك تارة في صفة الكلمة وتارة في اعرابها » ويبدو أن الراعى يرى أن الاعراب والحركات وموقع الكلمة بين الكلمات الاخرى لا يدخل في رأيه في تحديد المعنى والمفهوم حسب المستوى الذي يقصده . وإنما هذه الامور تحدد صلة الكلمة بالالفاظ المجاورة لها أو عى الاصح تحدد صلة معناها بمعانيها ككونها فاعلا بالمسبة للفعل أو خبرا بالمسبة للمبتدأ ، وهذا يدخل في بحث تركيب الكلام .

ويبدو أنه لا يريد أن يأتى بما هو مبسوط في كتب التصريف وكتب النحو من تلك الأحكام الظاهرة — لأن غرضه هو كشف أسرار المساسة ، وهذه الأحكام في رأيه ليست الا أسبابا للنظام ، وهى ظاهرة ، يعرفها الناس ، وإنما الذى يشبه النظام هو الذى يتجه اليه ابحت والاهتمام .

(١) ج ١ ص ٢ ، ٣ — الطبعة الاولى تحقيق ابراهيم محسنى
وعبد الله أمين نشر الحلبي سنة ١٩٥٤ م

(٢) نفس المصدر

(٣) ص ١٥٧

واعتقد أن نظام القرينة الذي سبق ذكره يحتاج إلى الأسرار والتصرف ، وبعض مجاء به في نظام الالفاظ بالمعاني يعود إلى التصريف ، ويرتبط بأحكامه * . وأما كان الأمر فال قواعد لنحو والتصريف نعم على أدراك الغروق والأسرار التي تكون بين استعمال اللغة واستخداماتها * وإذا كانت الدراسات السوية كلها تركز اهتمامها على المعنى فإنه يأخذ في الأصوات « صورة القيم الخلاقية بين الصوت والصوت ، وفي التشكيل صورة هذه القيم بين الحرف والحرف ، وبين المقطع والمقطع ، وبين النبر والنبر ، وبين النعمة والنعمة * . وأما في الصرف فيبدو في صورتها بين الصيغة والصيغة ، وفي النحو بين الباب والباب » (١) .

ولا ينبغي أن يغيب عنا أن اللغة منظمة عرقية للرمز إلى نشاط المجتمع « وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تتف بارائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المعاني المعبرة عن هذه المعاني ، ثم من طائفة من العلاقات التي تربط ربطا إيجابيا ، والفروق « العجم الخلاقية » التي تربط سلبيا * » (٢) .

واللغة منظمة كبرى مكونة من أنظمة هي النظام الصيغوي ، والنظام الصرفي والنظام المحوي ، وهذه الأنظمة تترايط في مسرح الاستعمال اللغوي فلا يمكن الفصل بينها الاصناعة ولاغراض التحليل فقط (٣) .

(١) د : تمام حسبان : مباحث لنحو في اللغة من ٢٣٢ — ٢٣٣

(٢) د : تمام حسبان : اللغة العربية مبناها وسننها من ٢٤

(٣) نفسه من ٣٧ — ٣٨ ، وانظر من ٣٤ — ٣٧

الفصل الثالث

نظام الانفاذ بالمعنى

نظام الالفاظ بالمعاني

أشرنا الى أن نظرية المفاسدة تتجلى في ثلاثة أصرب تبرز التمدن
النفوى ، وتحمل أسرار النظام .

وأول هذه الاصرب هو نظام ، اللفظ بالمعنى . وهذا النظام
يعنى أن تكون اللفظ وفق المعانى ، أو بعبارة أخرى يقصد منه
اللفظ لمعنيها . و يراد به عند ارفعى مساواة الصبغ الفظلية
للمعاني الموضوعة لها (١) .

وقد جعل هذا الباحث تلك المساوغة تقوم على أمور يرجع
أكثرها الى الاشتقاق ، لاس الاصل في الاشتقاق عده هو المناسبة في
المعنى والمادة . ولكن كيف تتحقق المناسبة المذكورة ؟

انه يقرر انهم جعلوا كل مطلع من المقاطع الثنائية أصلا في
الدلالة ، ثم فرغوا منه بالاستقنا معانيه الحزبية المخطفة التي ترجع
في أصل الدلالة ، اليه . مكان المعانى في رأيه « سلسل مرتبة تنحصر
كل قائمة منها تحت جنس معلوم على ما قرروه في مدعب انشوء
والارتقاء ، ولا يزال هذا التسلسل متحققا في اللغات النامية الباقية
الى اليوم ، وهو أظهر في العربية منه في أخواتها ، حتى ذهب
بعض العلماء الذين استفروا تراكم اللغة الى أن هذا الأص
مستحب في كل تركيب ، بحيث لا ينفو مما يرجعه اليه ، ولو تأويل
من طريق المجاز ، الا ما تحف عن سلسلته لأمر ضررى على أصل
الوضع كأن يكون مبدلا من لفظ آخر أو مغلوبا عه أو داخلا في
تركيب المادة من لغة أخرى » (٢) .

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٢

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦ - ١٧٠ وأطر حاشية الشهاب
الخفيفى المسماة بعناية القضى وكفاية الرافعى على تفسير البشواوى
ص ٢٥٦ و ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

وواضح أن كلامه يؤكد نظرية النسبة ، فهو يحمل كل مقطع من المقاطع الثنائية أصلا في الدلالة ، وبجمل الاستقاف يتولى عملية تفريع المعنى الحزبية المختلفة عنه .

والادب الباحث يرى رأى عدد من مفهاء اللغة قديما وحديث . وهو أن الالفاظ العربية ترجع في مشاهها التاريخي القديم الى أصول ثنائية زيدت حرف ثانيا في مراحل تطورها التاريخي .

وقد جاء هذا الحرف منوعا بل معنى العام الذي تدل عليه تلك الاصول اثنتاثة .

ومثال ذلك قط ، قصع ، قطف ، قفل ، قطم . فالأصل فيه على رأى العائلين بالثنائية هو قط ، والحروف الثلاثة الأخرى وهى (ط ، ع ، ف ، ل ، م) منوعة لمسى القطف ، ومخصصة له . (١)

والأمرية في أن هذا العالم يجد في النظرية الثنائية ما ينفى مع مدعيه ، فأكثر ادين يقولون بالأصل الثنائي للالفاظ العربية ، يقولون : أن هذه الأصوات الناشئة شئت عن حكاية الأصوات الطبيعية المقارنة للمعل أو الحدث ادى تدل عليه تلك الاصول .

ولا حاجة الى إعادة موقفه من حكاية الطبيعة . والمهم أن ايمانه بالثنائية مرز بصورة تدل على أنه من أشد أنصارها .

أما تشبهه بالاثنيان بكثير من الامثلة التي تتفق كلمات كل مجموعة منها في حرفين ، وتختلف في الثالث — فلا يعبر في الحقيقة الا عن أطمئنانه وسعادته بما تحقق لغرضه (٢) . فهذه الأمثلة تثبت المناسبه ، بفضل الحرفين المتعتين ، أما ليطور الذي قد يوصى اليه الحرف انشألت فم يكن له تأثير في معارضة المناسبه أو في نقض الأصل المحتوي المشترك عنده وبمس المفسرين والمحققين عبرت آراؤهم عن

(١) محمد المارث : منه اللغة وخصائص العربية ص ٦٣

(٢) الزايمي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧١ — ١٧٢

تأكيد هذا المنهج الاشتقاقى فى الاعتماد على اتفاق حرفين ، مما سدد مسعيه (١) •

ولعل ائمنه قد راد بترك اسطرية الثنائىة عندما وجد فى بعض المعاجم اللغوية اهتماما بأمر منها فى المنهج والتطبيق • ومعجم الجمهرة وكتاب الفاييس يدعمان عد المضغف الثلاثى من باب الثنائى ، وذلك واضح ، وحين رأى قيام العلماء بصياغة بعض الاسماء والاغمال من حكايات الاصوات ، ثم رأى بعضهم مدافع عنها ، ويؤاثر القول بها بكل ما استطاع (٢) • ولا ارتب فى أنه مأخوذ بما فى الالفاظ من دلالة سحرية ، مؤمن بقيمة الحرف التعبيرية الحامة ، وهو يعتقد أن كل حرف معبر عن غرض ، وأن الكلمة العربية مركبة من مادة صوتية يمكن حل أجزائها الى مجموعة من الاحرف الدوال المعبرة • فكل حرف منها مستقل ببيان معنى خاص ، ما دام مستقل بحدوث صوت معين •

وكل حرف له ظل واتساع • إذ كان كل حرف صدى وإيقاع • ولثبت القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد فى كلمة كائنات هذه القيمة نفسها للصوت المركب ، وهو ثنائى لا أكثر أو ثنائى الحق به حرف أو أكثر أو ثلاثى مجرد ومزید ، أو رباعى منحوت أو خماسى أو سداسى على طريقة العرب مشتق أو مخفص •

ولا شك فى أنه يؤمن بالمناسب بين اللفظ ومدلوله فى حالتى البساطة والتركيب ، وطورى النشأ والتوليد — بعد هذا الايمان بالنسبة وإشارته الواضحة الى ذلك (٣) • ولكن المبحث المنسوى يثبت أن الخوض فى باب الأصل الثنائى صعب يفتاح الى مزيد من النظر الدقيق ، وتقدير ما يقتضيه معد اسعد ، ومراعاة مرور الكلمة

(١) المصدر السابق وانظر الشهاب اخماص حاشيه على تفسير البشايوى ص ٢٥٢ — ٢٥٣
(٢) د : صحى الصالح : دراسات فى منه اللغة ص ١٥٣ وما بعدها
(٣) الرافعى تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧٠ — ١٧١ ، ٢٢٠ •
وراجع أيضا ص ٤٩ وما بعدها •

بمراحل طويلة أكسبتها أشياء جديدة فغيرت معانيها . كما يحتاج الى معجم تاريخي تؤرخ منه الكلمات وفق استعمالها خلال العصور المختلفة (١) .

ولا يكفي اثبات اشائية في قسم كبير من المواد العربية ، بل لابد من استقراء واحصاء ودراسة شاملة حتى نقضي بالحق في هذه المسألة . ولينا مع الرافعي في علوه وقوله بعد ذكر امثلة اشتركت في حرفين واختلفت في الثالث : « ولو استقرت تراكيب اللغة كلها وجدت مواد كل تركيب ترجع الى أصل واحد . ولو تأويلا من طريق المجاز الا ما تخف عن سلسلته لامر طاريء .. » (٢) .

انه يذكر بعد ذلك أن الرواة أغفلوا كل ما يتعلق بالجهات التاريخية في اللغة . وهذا هو السبب في انكسار سلاسل الاستقائي ، وضياح كثير من تلك الانساب .. ولا أدري كيف نحصل من كلمة على صورة صدقة صحيحة للاستقراء أو التطور وحياء التي تحياها المفردات بعد ما صرح به من اعمال الرواة .. وضباع الحقائق ؟

وقبل ذلك لم يكشف الراجعي دليلا أو يحدد شيئا عن هؤلاء الذين استقروا تراكيب اللغة كلها . بل ترك الأمر غامضا ، واكتفى بقوله : « ذهب بعض العلماء .. » (٣) .

والذي نعلمه أن الاب ممرحى الذومكني قد حاول اثبات اشائية بالجوء الى النكات المسامية ، وعالج مواد عربية معينة ، واستطاع أن يثبت اشائية في قسم منها ، ولكنه لم يكن موعفا في انقسم الباقي (٤) .

(١) د : ابراهيم السابرائي : فقه اللغة المقارن ص ١٩١

(٢) الراجعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧٣

(٣) الراجعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧٠

(٤) د : ابراهيم السابرائي : فقه اللغة المقارن ص ١٩١ وانظر

د : صمحي الصالح دراسات في فقه اللغة ص ١٥٣ وما بعدها .

ولا يكفي لاثبت النظرية انشائية أن نسوق عشرات أو مئات تتضح فيها هذه الظاهرة في كلمات لغتنا على حدة أو في كلمات اللغات السامية ، ولا ينبغي أن نهمل رأى الذين خلصوا الى أن انشائية لم تكن سوى مرحلة تاريخية ، وأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي ، ولا بد من معرفة الفرق بين القمة الدائنة والقيمة المكتسبة ، وأثر ذلك في قضية المناسبة (١) .

ويبدو أن في الامر ما يعبر عن اثر عاطفة ، والغلو في دعوى « كل التراكيب .. » .

وابن جني في كتابه الخصائص حرص على التنبيه على أنه لا يدعى للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة ، كما لا يدعى أن الاشتقاق الكبير مستمر في اللغة (٢) .

والعمل الذي قدم به ابن فارس في مقاييس اللغة فيه الرد القوي على الزعم بأن تراكيب اللغة كلها عند الاستقراء تثبت أن مواد كل تركيب ترجع الى أصل واحد . مهذا العمل أرحم مواد بعض التراكيب الى أكثر من أصل ، ووصل الامر أحبانا الى أرحاع مواد التركيب الى ستة أصول (٣) .

ولو نظر الراجعي الى ما صنعه ابن فارس ما ذهب الى الحكم بأن مواد كل تركيب ترجع الى أصل واحد ، ولو تأويلا . لو استقرنا تراكيب اللغة كلها ، ففي الحكم تعميم وشمول لم يؤيده عمل منهجي يمتلك المرهان لقاطع .

إن الاديب الباحث يود أن يعطى امسرة شتاً تدفع اليه العاطفة والمبالغة ، ويذكر أسرافه ابحت والتحقيق ، فلا يكفي لاثبات

(١) د : صحيح الصالح : دراسات في منه اللغة من ١٦٦ — ١٦٩

(٢) ابن جني الخصائص ١٣٨/٢

(٣) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ٣ ص ٢٩٤ — الصاد والياء

والراء وأرحاع بعض المواد الى أكثر من أصل . واضح لامتحان الى تنبيه أو اشارته في هذا المعجم .

بظريته ما أتى به من أمثله في لغة عدد مودها لا ألاحظها يزيد على ثمانين ألف ..

ولم يهتم الرامعي بالفعل بين أنواع الاشتقاق مما أدى إلى العموض واللبس . ومن المعروف أن دراسته من الدراسات التي توجب اوصوح ومحتم لنأي عن الخط والاضطراب حتى يقين الامر .

وجو يتحدث تارة عما يعرف بالاشتقاق الاصغر ، وتارة يشير إلى الاشتقاق الكبير ، وتارة يجعل حكمه شاملا مما دوحى باشاوي .. أما نراه محتفل بذكر المقاطع اللثائية ، وكونها أصلا في الدلالة ثم يتوجه إلى ذكر المناسبة الطبيعية ، ورأي بعض المعترزة فيها .

وعد عرسا ذلك من قبل . ثم ينتقل إلى حديث يجمع عند تأمله ودراسته بين أنواع الاشتقاق دون نفقة واضحة . فيقول : « وأول من امتدح دعوى بأن المعاني سلاسل مرتبة ، وأن الالفاظ المختلفة ترد في الاشتقاق إلى قدر مشترك هو فيسوف العربية أبو الفتح بن جنى .. وكس شبيهه أمو على الفرسى يأنس بهذا الرأي قليلا . أما علماء العربية فقد ذنبوا أن ذلك ليس معتمدا في اللغة ، لأن الحروف قليلة ، وأنواع المعاني المتناهية لا تكاد تنهاى . ولا يكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المساء معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها .. » (١) .

والسلاسل المرتبة تشمل الاشتقاقين . الاصغر والكبير . أما الالفاظ المختلفة فهي تعنى الاشتقاق الكبير لأنه يقوم على المادة دون الهيئة وهو عند الدارسين عبارة عن ارتباط مطلق غير مشيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليها الست وما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهم يتعاير ترتيبها الصوتي (٢) .

(١) الرامعي : تاريخ ادب العرب ج ١ ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) د : صبحي السالحي : دراسات في منه اللغة ص ١٨٦

وابن جنى قد أولع بهذا النوع من الاشتقاق وسماه بالاشتقاق
الأكبر ، وقلنا ان السلائل المرتبة كذلك لانه ذكرها في تناوله المتناطح
الثلاثية واعتبارها أصلاً ثم أشار إليها بعد ذكر المجموعات الثلاثية
التي أتت في حرفين (١) .

والحكم الذي ينفي بعدم الاعتماد في اللغة شبه ابن جنى
العربية وصاحبه الذي قلنا في الزهر هو السيوطي ، ولم ينسبه
هذا العالم إلى غيره (٢) .

ومما يجدر ذكره أنه قرر أن ابن جنى ابتدع القول بأن المعنى
لسلائل مرتبة . وليس ذلك من الصواب في شيء ، فقد سبق ابن
جنى بحوث في الأصول والاشتقاق ، قدم به الخليل بن أحمد
والاصمعي وقطرب وأبو الحسن والأخفش وأبو نصر الباهلي ،
والفضل بن سمة والمبرد وابن دريد والزجاج وابن السراج
وغيرهم (٣) .

وقد بسببت أقوال في الاشتقاق تفيد أن المعاني لسلائل مرتبة
إلى ابن عباس وغيره من اصحابه (٤) .

وامكان الرجعة بالفروع المختلفة مهما تتعدد صيغها إلى أصل
واحد يوحى بالرباط المشترك بينها ، أمر في العربية ذو مال يؤكد
احتفاظ هذه اللغة بأنسابها مثلما يحتفظ العرب بأنسابهم « فالألفاظ
العربية كالعرب أنفسهم تتجمع في قبائل وأسر معروفة الأنساب
وتحس هذه الألفاظ دوماً دليل معناها وأصلها ومبهم سببها » وذلك
في الحروف الثلاثة الأصلية التي تدور مع ما يتولد عنها ويشق منها
من ألفاظ (٥) .

(١) الرافعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٦٩ — ١٧٣

(٢) السيوطي : الزهر ج ١ ص ٢٤٧

(٣) السيوطي : الزهر ج ١ ص ٣٥١

(٤) رسالة تبيين المناسبات بين الأسماء وأسميات . مخطوطة
بدار لكتب برقم ١٩١ لغة شعور ص ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ وغيرها .

(٥) محمد المارك : لغة اللغة منظمة هاجمة دمشق ١٩٦٠ ص ٥٤

ولو قرأ الرافعي كتب الاشتقاق لامن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ لرأى ما قدمه هذا الرجل في المعاني التي تعد سلاسل مرتبة ، ولابن أن اس جنى م يمدع القول بأن المحصى سلاسل مرتبة اد حاول في كتاب الاشتقاق أن يرد أسماء قبائل العرب وعماثرها وأغخاذها وبطونها . وأسماء ساداتها وشيائها وشعرائها ومرسائها وحكمها ، إلى أصول يعويه اشتقت منها هذه الأسماء ويقول اس دريد في مقدمة الاشتقاق (١) « ولم يتعد ذلك إلى اشتقاق أسماء حروف النامى من نبات الأرض نجمها وشجرها وأعشابها . ولا إلى الحماد من صحرها ومحرها وحزنها وسهلها .. »

والاديب الباحث يعلن بعد ذلك أن درسه في الاشتقاق يقصد جهة لتأريخ منه وكونه سبب من أسباب نمو اللغة ، وطريقة من طرق بشأنها ، أما الكلام على عمه وأقسلمه وحدوده ، فهو مسوط في كتب البصر والكتب الأخرى المخرده (٢) . وبص معتقد أن أعمال التمييز بين الأقسام لم يكن عملا مناسب في مجال المناسبة التي أقام درسه عليها ..

واذى مستبينه أن المناسبة إذا كانت قد تحققت عند الرافعي اعتمادا على اشتراط التراكيب في حرمين فصب ، مع الاختلاف في الحرف الثالث مانها بلا ريب تبرر في الاشتقاق الصغير أى بين التراكيب المتحدة المدة ، ففي هذه التراكيب معنى مشترك هو جنس لامواع موضوعاتها . وكذلك تبرز المناسبة في الاشتقاق الكبير الذي ذكرنا معناه حيث ترد الالفاظ المختلفة إلى قدر مشترك .

ومما يتشبه به الرافعي أن حفاء كثير من وجوه الوضع الاشتقاقى وعدم تحقيق التسلل أو عدم تحقيق المعنى المشترك — يرجع إلى مداخله اللغت ، وتقريب النقلة ، وبمو ذلك مما لا يتنظم

(١) ابن دريد : الاشتقاق : المقدمة ص ١ تحقيق عبد السلام هارون وانظر مقدمة مقاييس اللغة — مقدمة التحقيق ص ٢٣ للاستاذ عبد السلام هارون

(٢) الرافعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٧١

به أمر التاريخ الفخفى في هذه اللغة (١) وما تحلف عنده عن سلسلته
نما نطلف لأمر صارى على أصل لوصح (٢) .

ولا ينسى أن يبينها على صرب آخر بحقق المناسبة . فيقول (٣) .
« وكذلك ترى في أكثر صيغ الأمثلة من اسمع والاسم على السواء ،
من المباس ثبتت عليها ثبوتنا بينا كصيعى حبل وتفاع وكوزن فعة
في الاسماء . وغير ذلك مما نهوا على أطراد القياس فيه ، وأحصوا
شواذه » .

ثم يعقب على هذا بقوله . « وهو خارج عن غرضنا في هذا
الكتاب » . أما الشيء الذى نسيه وهو عدم ذكر كلام ابن جنى في
تحقيق رأيه في الفصول التالية (٤) ، لاسا لاحد له شيئا في الاستدقاق
لاكر المائم على التقلب والتقديم والتأخير ، وإنما يجد له بعض
أشياء في غيره .

ويؤكد هذا الاديب الباحث أخيرا بعد ما قدمه في باب الاستدقاق
— بضمنه بطرية المناسبة ، ويدعو الى اكتشاف عن أسرار الوضع ،
وهناك أستاذ احكمة المستكنة في دقائق هذه اللغة العجيبة .

وهو يتق في أن الدراسة والتدبر والتعمد ، وترتيب الصيغ
والاوزان على ما تقتضيه الاعراض ، بحيث يستقر كل مثال من اللغة
في مصابه . ويرد الى حيزه — كميل بلثيت ما يرمى اليه من سيادة
المناسبة ، وبروز الكمال ، والمستوى الذى يوشك أن يصل الى
الاعجاز (٥) .

ولا معدى عن أن نقول ان استعماله الادبى للكلمة وثق بين
الاصوات والمدلولات عنده حتى ذهب الى أن هناك صلة عقلية بين
الاصوات والمدلولات في ألفاظ معينة .

(١) نفس المصدر والصفحة

(٢) نفس المصدر ص ١٧٠ — ١٧١

(٣) نفس المصدر ص ١٧٢

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٧١ وراجع نظام الالفاظ بالمعنى

من ٢٢٣ وما بعدها

(٥) الرامى : تاريخ آداب العرب ١ ص ١٧٤

الامور التي تحقق مساواة الصيغ اللغوية للمعاني :

ذكرنا أن الامور التي تحقق المساواة أو المساوغة يرجع أكثرها إلى باب الاستقاق ، والذي يعنى به أن يفصل تلك الامور ، بعد أن يبيد موقع الراجع في هذا الباب ومما يجدر ذكره أن الأديب الباحث عندما تحدث عن المساوغة ذكر ابن حسي ، واهتم بمبطلته ، وأعاد بكتابه الضمائم ، ومنزلته في الدرس وانتدبه في البحث وتنوته في تناول الاستقاق وايساح المناسبة على المعاني قبله (١) ..

ولعله يريد أن يعبر عن اعتماده عليه ، وسحب اللمتات إلى محوته . والامور التي تحقق المساوغة أو المداوغة في نظام اللفظ بالمعاني هي ما يأتي :

١ — اقتراب الاصول الثلاثية التي فيها العاء والعين متعققتان واللام مختلفة وقد استشهد الراجع بأمثلة على ذلك اعتمادا على البيصوى ، من المفتح . « بالهاء والهم الماثر بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه انظر وهذا التركيب وما يشاركه في العاء والعين نحو حق وغلظ وقليل يدل على الشق والفتح » ..

ومن هذه الأمثلة أن نراكيب اجهزة مع الباء تدل على النفور والبعد والانفصال كالب للسير وابت اليوم تشتد حره فقطع الناس وفصلهم عن أعمالهم وأبد الوحش نفر . وأمر المح قطع شيئا منه . وأمر انطوى وثب وانطق . وأبق العبد مر . وأبد الوحش وانفصل عن الناس وأبه عن الشئ بعد عنه وتبره . وأسى لضيم بفر منه وهكذا .. (٢)

ولم يأت الراجع بأمثلة ابن حسي التي ذكرت في هذا السوع مثل رحو ورخود (٣) .

(١) الراجع : تاريخ أدباء العرب ج ١ ص ٢٢٣

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ — ١٧٢

(٣) ابن جني : الضمائم ج ٢ ص ١٤٥

٢ — الاشتقاق الكبير الذى سمىه ابن جنى الاشتقاق الاكبر وجعته فى باب تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى من التقديم والتأخير على ما يقتضيه تقليب الاصول ..

وسبق أن ذكرنا أن الرافعى جعل ابن جنى هو أول من ابتدع القول بأن المعانى مماثل مرتبة ، وأن الالفاظ المختلفة ترد فى الاشتقاق الى قدر مشترك .. وعبرة الرافعى فى باب الاشتقاق وفى نظام الالفاظ بالمعانى تجعل هذا الاشتقاق من الامور التى تحقق استوفاً ، وتفيد المنسب . يقول هذا المبحث فى النظام الاول (١) « والمراد به مسووقه اصيغ لفظية لمعنى الموضوع لها وقد ألمت بأشياء منه فى باب الاشتقاق وذكرنا ثمت أن لامن جنى صاحب الخصائص كلاماً فى هذا المعنى . وابن جنى هذا هو أول من ناهض هذا المبحث انتقاداً ، وتجلّى بأمره افتتسا . واما كل العلماء فبلسه يستروحون الى أشياء منه عند الضرورة ويتعللون به ، وأكثرهم لزوماً بذلك شيخه أبو على انصارى .. »

ويقول ابن جنى فى باب الاشتقاق الاكبر (٢) : « وهذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا عى رحمه الله — كان يستعين به ويحشد اليه ، مع أعواز الاشتقاق الاصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه ، واما كان يعتاده عند الضرورة ، ويستروح اليه ، ويملك به . واما هذا التقليب لما نحن ، واستراه فقمم أنه لقب مستحسن » .

ولم يذكر لرافعى أمثلة لهذا اسوع ، واكتفى بتلك الإشارة السالفة .

وابن جنى يرى أن تقلب المادة اثنائية (س م ل) : (س م ل) (م س ل) (س ل م) (م ل س) (ل س م) (ل م س) — مهما تقلبت واحتلف ترتيبها الصوتى مان « المعنى الجامع بها المشتمل عليها الاصحاب والملاينة : منها الخوب (السمل) وهو الخلق . وذلك لانه لمس عليه من لومر والرشر ما على الحديد .

(١) الرافعى تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٢

(٢) ابن جنى : الخصائص ج ٢ ص ١٢٢

فلا بد اذا مرت عليه للمس لم يستوقفه عنه جدة المسح ، ولا حسه
المس . والسمل : اى ، لقليل ، كانه شيء قد أحق وشف عن
قوة المضطرب . وجمة المرتكض ، ولذلك قال :

حوضا كأى ماء اذا غسل
من آخر الليل روى زى سمل
وقال آخر :

وراد اسماء المياه السمل
فى أخريات النثر المنعم

ومنها السلامة . وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس
عليه ولا يترس عليها . ومنها السمل والمسك والمسك كله واحد .
وذلك أن الماء لا يجرى الا فى مذهب له وامم مقدر به ، وهو صادف
حاجرا لاعتناقه علم يجد متضربا معه . ومنها الامس والمساء . وذلك
أنه لى عارض انيد شيء حائل بينهما وبين الممس لم يصح هناك لمس ،
منما هو اى ، باليد وبحوه ووصول منها اليه لا حاجز ولا مانع .
ولا بد مع للمس من امرار اليد وتحريكها على الممس ، ولو كان
هنا حائل لاستومت به عنه .

ومنه الملاسة أو لامتسم النساء أى جمعت . وذلك أنه
لا بد هناك من حركات واعتمال ، وهذا واضح . فاما (ل س م) مهمم .
وعلى أنهم قد دلوا : سمعت الريح اذا مرت مرورا سهلا ضعيفا .
واللون أخت اللام ، وسقوى نحو ذلك » .

والاستنقى الكبر مخفى المساوغة أو الملاسة لانه يرتبط ارتباطا
وثيق بمذهب المؤمنين « بدلالة الحرف السحرية . وقيمته التعبيرية
الموجبة عند أولئك الدين مالوا الى الاقتدع بوجود التناسب بين
اللفظ ومدلوله فى حالتى البسطة والتركيب . حتى رأوا اثبات القيمة
التعبيرية للصوت البسيط ، وهو حرف واحد فى كلمة كاثبات هذه
القيمة بنفسه للصوت المركب ، كيفما كانت صورة تركيبه » (١) .

(١) د . صبحى الصالح : دراسات فى لغة العرب ٢٠٤ — ٢٠٥

والحرف عندما يأتي مقدم أو مؤجرا يوحى بمدلوله اذاتى
انفاس ، ويتمتع بالدلالة السحرية ادابية ، ولاصير في تقلب كل
مادة على وجوها المحتملة .

وابن جنى على الرغم مما بدسه في الاشتقاق المذكور مانه
يقول (١) : « وأعلم أنا لا ادعى أن هذا مستمر في جميع اللغة كما
لا ادعى للاشتقاق الاصغر أنه في جميع اللغة ، بل اذا كان ذلك الذي
هو في القسمة مدس هذا أو خمسة متعددا صعبا كان تطبيقي هذا
واحاطته أصعب مذهب وأعز متمسا . بل لو صح من هذا النحو وهذه
الصعقة المادة الواحدة نينقلب على ضروب التقلب كان غريب
معجبا . فكيف به وهو يساوى الاشتقاق الاصغر ، ويجاربه في
المدى الأبعد » .

والحق أن هذا اللون من الاشتقاق لا يطرد ولا يمتد ،
وابن جنى لا ينكر ذلك كما صرح . وكه يوجه الى أن انعام النظر
وملاحظته وترك المضجر يبيى قرب بعض من بعض ، والتأمل يوصل
الى ما يرجى من البحث (٢) .

٣ - « أثبت أن اعرب تعارب حروف الالعاط متى تعاربت
معانيه كقوله تعالى : « أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم
أزاً » أي تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تهرهم هزا والهمزة تحت
الهاء ، فكانهم خصوا هذا المعنى بنهمزة لأنها أقوى من الهاء كما
أن المعنى نفسه أعظم في المومس من امر ، لأنك قد تهر ما لا حراك له ،
كأنزع ونحوه أي يقيق الهز المخرون بالأزعاج خاصا مدى الحياة ،
لانه منعت بالشعور وذلك ما أضفته الهمزة وحدها » (٣) .

والرافعى يابس هذا الامر ثوب العموم ، ويكتفى بذكر مثال
واحد يلتقرب بين بعض الالفاظ التي تقربت في حرف ، واشتركت في
غيره .

(١) ابن جنى 'الخصائص ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩

(٢) المصدر السعق ج ١ ص ١٢ - ١٣

(٣) الرافعى : تزيخ اداب العرب ج ١ ص ٢٢٤

وما جاء به قد نقله من الخصائص لابن جني . وإن كان قد تصرف بعض التصرف (١) . والاثبات المذكور هو من الاشتقاق الأكثر الذي لا يقوم على التثمين والتأخير وتقلب الحروف .. وإنما يقوم على ارتداد بعض « المجموعات الثلاثية الصوتية » ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لاستند ما لأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي ، وأنوع الذي تتدرج تحته . وحينئذ مني وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية عن ترتيبها الأصلي فلا بد أن تفقد الرابطة المعنوية المشتركة سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخرى تقرب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع لصفات » (٢) .

وفكرة المناسبة موجودة فيما جاء به الراعي . فالمثال يوحى بنسبة حروف العربية لمعانيها ، وبذلك على ما جاء في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموجبة ، فصوت لهجرة معبر عن غرض ، ومبين معنى خاصاً ، مما يشير إلى وجود تناسب بين اللفظ ومدلوله عند المؤمنين بذلك .

ولا ريب في أن أس حتى يعول على دراسة لالفاظ والنظر إلى المعنى ويلاحظ الأصوات ودورها .

٤ — « أن هذه المقاربة بين الحروف تنفع فيها المراجعة حتى لي الحروف المعبد . التي لا تتساهل إلا بالتأويل . كقوله : أن تركيب ع ل م في العلامة والعلم . وقالوا مع ذلك بصفة عرماً ، وقطع أعرم إذا كان فيه سواد وبياض ، وإذا وقع ذلك بل أحد اللونين من صاحبه ، وكان كل واحد منهما (علماً) للآخر . وهذا المعنى من غ ر م . ولكنه مما رتب لتركيب علم ، كما ترى » (٣) .

والنص الموحود بالخصائص يقول (٤) . « وقالوا مع ذلك بصفة عرماً ، وقطع أعرم » (بالعين لا بالغين كما ذكر الراجعي) ومعانيه

(١) ابن جني الخصائص ج ٢ ص ١٤٦

(٢) د . صبحي الصالح : دراسات في منه اللغة ص ٢١٠ — ٢١١

(٣) الرامس : تاريخ أدباء العرب ج ١ ص ٢٢٤

(٤) ابن جني : الخصائص ج ٢ ص ١٤٧

بقوله بيضة غرماء وقطع أغرم (باغين) • هو الذى حمله يرى أن المقاربة بين الحروف منع عنها المراعاة حتى في الحروف البعيدة التى لا تتشابه الا بالتأويل • والصواب هو ما ذكره ابن جنى ، لانه لو كان الامر كما ذكر الراجى (أغرم وغرماء باغين) لكن ذلك من الضرب الذى تكون فيه المصارعة في الاصل الواحد بالحرفين • وابن جنى في كتبه الخصائص جعل هذا المثال من الضرب الذى تتقارب فيه الحروف لتقارب المعنى والمصارعة في الاصل اسواحد بالحرف الواحد • وكان من الانسب أن يضع الراجى هذا المثال في الامر الاول كما صنع ابن جنى الا اذا أراد أن يبين لنا أن تقارب الحروف متى تقاربت ممسبها يختلف في هذا المثال عن المثال الذى ذكره قبل وهو (ألم تراء أرسنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أرا) فهذا في معنى تهزهم هذا • وانتشارك في حرف هو الزاى • والمخلقة في غيره • والتقارب في الهمزة والهاء • وفي علم في العلامة والعلم • وفي غرم الاثنى في حرف • والاختلاف في حرفين ••

ولعله أراد أن يوضح أن اشتباهه لا يوجد الا بالتأويل ، والتأويل هو الذى دفعه الى حمل الامر الرابع بخلاف الثالث ، ولكن معظم أمثلة ابن جنى التى ذكرها في باب التصديق فيها وجوه من التأويل •

وقد حكم اراجى على تركب علم وتركب غرم كما ذكر — بأن أحروف بعيدة ، وهذا ليس من اصواب في شيء ، فان ابن جنى قرر أن الراء أخت اللام وربما اعتمد الاديب أن العين بعدة عن العين • وفاته أن العين أخت العين • وابن جنى نفسه حمل الهمزة أخت ابعين ، والعين أقرب الى العين من الهمزة ، فعلى أولى وأقرب • فوصف الحروف في (ع ل م) و (ع ر م) أو (ع ل م) و (ع ر م) ، بأنها بعيدة ، وصف غير صحيح •

• — « أن المقاربة قد تكون بالمصارعة في الاصل الواحد بالحرفين كسطر و سهل (في معاني الصوت) • فالصاد أخت السين ، والهاء أخت الحاء ، و سطر وزجر في الصوت أيضا • فالسين أخت ابراي ، واللام أخت الراء » (١) •

(١) الراجى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٤ • وانظر ابن جنى الخصائص ج ٢ ص ١٤٩ •

وهذا الامر يمكن عدة من باب الاستقاق الاكبر أيضا ، وحذف
الرافعى من كلام ابن جنى بعض الشواهد ، وتصرف بعض
التصرف .

٦ - أن من المضارعة نوعا أحكم من هذا ، وهو المصارعة
بالاصول الثلاثية في الفعل (الفاء والعين واللام) نحو عصر الشيء
وأزله إذا حسسه . قال : والعصر ضرب من الحبس ، والعين أخت
الهمزة ، والصاد أخت الزاء ، وأراء أخت اللام . وبحو الأزم أى
المنع . والعصب أى الشد . ملحعين متقاربين ، والهمزة أخت
العين ، والزاي أخت الصاد ، والميم أخت الباء . وقد أتى بالمثلة من
ذلك ثم قال : وهذا موجود في أكثر الكلام وإنما متى من شيره ، ويبحث
عن مكتونه ، بل من إذا وضع له ، وكشفت عنده حقيقة أطاع طبعه
له ، . وهيهات ذلك مطلبا ، وعز فيهم مذهباً (١) .

والرافعى يقضى بأن المصارعة في هذا الصرب أحكم من الاضرب
السابعة ولكننا نرى أن التصعب بطهر أشد ما يكون في هذا النوع
بعيدا عن الخطق ، فلسى هناك اشتراك في أى حرف ، وإنما هناك
تدرب في المحارج أو تشابه فيها . والاختلاف في حرف واحد هو أكثر
ما يقوم عيه الاستقاق الاكبر .

والحكم الذى أتى به الرافعى عقب هذا الضرب وهو أنه موجود
في أكثر الكلام قد يفيد أنه خاص بالمصارعة في ثلاثة أحرف ، لأنه
وصعه مع هذا النوع وابن جنى أتى بهذا الحكم بعد انتهائه من الحديث
عن أنواع استقاقات ، وفي اعتقادي أنه لم يخص به النوع الثالث ،
بل جعله عام وهو يفصّل التصاقب . يقول ابن جنى (٢) وهذا المنحو
من الصبغة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة . . . ويقول في أول
الباب (٣) : « هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به .

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٥ وانظر أس حنى
الخصائص ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٢ .
(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٥٢
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٥

وأكثر كلام العرب عليه . وإن كان غفلا مسهوا عنه « وهذا يؤكد أن الحكم بالاكتر يتعلق بالتصاعف ، فما جاء في نهاية الباب هو تأكيد لما جاء في أوله ، مع زيادة تدعو إلى إثارته والكشف عن مكنونه وتوضيح السبيل إلى حقيقته .»

٧ — « هو اثبات أن العرب يصورون اللفظ على هيئة المعنى + وهذا مذهب قد نبه عليه الخليل وسيبويه ، قال الخليل كأنهم توهّموا في صوت الحنذب استطالة فقالوا في العبارة عه صر ، وتوهّموا في صوت البازي تفتيعا فقالوا صرصر . وقد سيبويه في المصادر اتى جاءت على فعال (بثلاث حركات) أي تأتي للاضطراب والحركة . نحو الغلين ، مقابلوا بتوالي الحركات في المثال توالي الحركات في الأفعال . قال ابن جني ووجدت أما من هذا الحديث أشياء على سمت ما حدها ومصباح ما مثله . منها أن المصدر ارباعية المضسفة تأتي للتكرار والزعزعة كالملقطة والصلصلة الخ . وأن القلي من المصادر والصفات تأتي للسرعة نحو الجمرى والسوقلى الخ . ومنها أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل نحو كسر وقطع الخ .

وإنما خصوا العين بذلك لأنها أقوى حروف الفعل إذ أشاء قد تحذف نحو عده وزنة . واللام كذلك نحو يد وفم . ولكن فيما تجد احذف في العين فلما كانت الأفعال دبلة المعنى كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به . وكذلك يضعمون العين للمبالغة نحو أسد غشمشم ويوم عصصصون نحو أعشوشب المكان واغدودن الشعر الخ . فلما ومن هذا الباب ما ذكره ابن فارس أنه سمع من يثق به يقول أن العرب تشوه صورة اللفظ وتقبحها لمقابلة مثل ذلك في المعنى كقولهم للبعبد ما بين الطرفين المفرط الطور (طرماح) وإنما أصله من الترح ، وهو البعيد لكنه أسما أفرط طوله سمي طرماحا ومثل ذلك كثير في أبواب الصناعات « (١) .

(١) الرامعي : تلخيص أدب العرب ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ . وانظر كتاب العين للخليل بن أحمد : تحقيق د : عبد الله درويش مطبعة العالبي بغداد ١٩٦٧ ج ١ ص ٦٣ . ٦٤ والفصائل لابن جني ج ٢ ص ١٥٢ وما بعدها .

وقد استخضع الرافعي كلامه من الباب ابدى ذكره ابن حنبل في الحاصلين « باب في امساس الالفاظ ائبده المعنى » (١)

وهذا الباب عد ابن حنبل اعرب من باب تصانف الالفاظ لتصانف المعاني ، وادل على حكمة القديم سبحانه . وتقديست اسماءه . وهو عنده ايضا موضع شريف لطيف حرص ان يدعمه بانته قد به عليه الخليل وسيبويه ، وان الجماعة تنقحه باقبول له والاعتراف بصحته . كما حرص على ان يبين جهده في الاثنان بما جاء على سمع ما جاءه ومنهاج ماضاه .

ومن غير شك ان الرافعي وجد سدا ثويا في اثبت المناسبة بتلك الجهود التي اختلف مستواها ، وعارة سيبويه تركي ما قاله امصار ابداعية ، وامساس الالفاظ اتجاه المعاني فهي تقول . (٢) « ومن المصدر التي جاءت على مثل واحد حين تدربت المعاني قولك المزوان ولمزان والفقران . وانما هذه الاشياء في رعة ابدن واهترازه في ارتفاع . ومثله العسلان واربتان . ومثل هذا الفلجان لانه رعرعه وتحرك . ومثله الفئان لانه تجيش نمسه وتثور . ومثله الخطران واللمعان ، لان هذا اضطراب وتحرك . ومثل ذلك للهبان والوهجان ، لانه تحرك الحروثورة . فانما هو بمنزلة العليان » .

ويلاحظ ان الرافعي نصرف في عبارة ابن حنبل ولم ينفه على ذلك لانه قال (٣) « من المصادر الرباعية المصعقة تأتي للتكرار والزعزعة كاللفظة والصلصلة الخ » .

وعبره ابن حنبل « وذلك انك تجد المصادر الرباعية المصعقة تأتي للتكرير نحو الزعزعة ، والقفلة ، والصلصلة ، والتمعقة ، والمصعقة ، وأجرجرة ، والقرقرة » (٤) .

(١) الجزء الثاني ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) الرافعي تاريخ آداب العرب ص ٢٢٥ .

(٤) ابن حنبل الحاصلين ج ٢ ص ١٥٢ .

وسر اتیان ابن جنی بالمصادر الرباعية المضعفة والنفعی فی المصدر والصفات — أهم جعلوا المثل المكرر للمعنی المكرر ، أعی رب الطفلة والمثل الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت لحركات فيها • ومع یأت الادیب ابیاحث بكل ما ذكره ابن جنی فأخذ من باب الأساس ما أخذ وترك ما ترك • ولعل الذي دفعه إلی هذا — لموص فی بعض صور الأساس ، وما تركه أصنع مما أتى به فی نظام الالفاظ بالمعانی فقد ترك من باب اساس الالفاظ أنباء المعانی أنهم جعلوا (استعمل) فی أكثر الامر للطیب نحو استسقى ، واستنظم ، واستوهب • واستمع واستقدم عمرا • واستصرخ حالدا • يقول ابن حنی : (١) « فرتبت فی هذا آیات احروف علی ترتیب الافعال • وتفسیر ذلك أن الافعال المحدث عنها أنها وقعت من غیر طلب ایما نفجا حروفها الاصول أو ما صارع بأصع الاصول • فلاصول نحو تولهم طعم ، ووهب ، ودخل ، وخرج • وصعد ، ونزل • فهذا احبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت • ولم یکن معها دلالة تدل علی طلب لها ولا اعمال فيها • • وكذلك ما تقدمت الزیادة میه عی سمت الاصل نحو أحسن وأكرم ، وأعطى وأولی • فهذا من طریق الصنعة بوزن الاصل فی نحو دحرج وسرهف وقومى وزوزى • وذلك أنهم جعلوا هذا الکلام عبارات عن هذه المعانی ، فكلما أردادت العبارة شجها بالمعانی كانت أدن علیه ، وأشهد بالغموض منه •

فلما كانت اذا فاجأت الافعال أصول المثل الدالة علیها أو ما جرى أصولها نحو وهب وضح ، وأكرم وأحسن • كذلك اذا أدرت بأنك سمعت فيه وتنبیت بها ، وجب أن تقدم خروجها الاصول فی مثلها الدالة علیها أحرما زائدة علی تلك الاصول تكون كالمقدمة لها • والمؤدية إلیها • وذلك نحو استعمل فجاءت الهمزة والسین والناء زوائد ثم وردت بعدها الاصول الفاء والعین واللام ، فهذا من النظم وفق المعنی الوجود هنك • وذلك أن الطلب للفعل والتمسسه والسعی میه والناتی لوقوعه تقدمه • ثم وقعت الاجابة الیه فتجب الفعل السؤال فيه • وتنتسب لوقوعه • فكلما تبعت

أفعال الاحياء أفعال الطلب كذلك نعت حروف الاصل الحروف الرائدة التي وصفت للاتصاف والمثلية . وذلك نحو استخرج واستقدم واستوهب واستمعح واستعطي واستدنى . فهذا على سمت الصيغة التي تقدمت في رأى الضيف وسيبويه ألا أن هذه أغشى من تلك . غير أنه وإن كتب كذلك فانه منقوطة عنها ومعقودة عنها . » .

وإن جنى في الواقع سعيد بهذا النوع من امسح الالفاظ أنبه المعنى إذ يقول بعد ذلك (١) : « ومن وجه مقالا قل به ، وإن لم يسق اليه غيره . »

فكيف به إذ تبع العلماء فيه ، وتلاههم على تمثيل معنيه « . وجماع الامر أن المناسبة تظهر في الحروف التي تدل على معان خاصة ، كاستي ذكرها ابن جنى ، ويصدرون به الافعال لتقيد المقصود من الفعل من حال إلى حال آخر .

والرافعى في تصوير اللفظ على هيئة المعنى يعمل مذكرا ابن فارس . وما قاله هذا العالم موجود في كتابه أحشبي في باب في زيادات الاسماء (٢) . ونحوه : « سمعت من أتى به قتل تفعل العرب ذلك للتشويه ، يفونون للبعد ما بين الطرفين المفرط الطسوس « طرمح » . وإنما أصله أطرح . وهو البعد . لكنه لما أفرط طوله سمي طرمحا ، فشوه الاسم لما شوهت الصورة . وهذا كلام غير بعيد » .

ويشير ابن فارس بقوله « ذلك » إلى قوله « ومن سنن العرب الزيادة في حروف الاسم ، ويكون ذلك إما للمبالغة . وإما للتشويه والتقبيح » .

ولا يشير أبو منصور الأزهري إلى ذلك التشويه في (طرمح) وإنما يقول (٣) : « ويقال طرمح الرجل بءاء إذا رده . وبه . وسمى

(١) ابن جنى الخصائص ج ٢ ص ١٥٥ .

(١١) ص ٧٠ .

(٢) أبو منصور الأزهري : تهذيب اللغة ج ٥ ص ٣٢٨ .

الطرمح وأنه لطرماح في بني فلان دا كن على الذكر والسبب .
قال أبو رييد . يقال : أمك لطرماح ، واسمك بطرمحان . وذلك إذا طمح
في الأمر .

وامن مارس نفسه يقول في المفاييس (١) : « ومن ذلك طرمح
البناء أطاله . ومنه اسم الطرمح . والاصل فيه الطرح وهو البعيد ،
والطويل وقد قسرناه » .

وفي القاموس : « الطرموح كرمور الطويل ، وكسمنار العالي
النسب المشهور والعامح في الأمر . . والطرمح البعيد المحطو .
والطرمحية التكبر ، وطرمح بناء طوبه » .

وفي نصريف الاسماء للشيخ محمد الخططاوي (٢) : أن الطرمح
الطويل من مزيد الرباعي ، من النوع الذي جاء على ستة أحرف وقبه
هرثن زائدان .

والرغمي يرى أن ذلك كثر في أبواب الصفات ، ثم لا يأتي
بأمثلة مكتفياً بما قاله ابن فارس في الطرمح . وكان ابن السكيت
الطليوسي (٣) يوضح ث الأمر . ويأني لنا بأمثلة في الاقتصاد .
يقول هذا اللعوي : « ولعمري أن احرب ربما حاكت المعنى باللفظ
الذي هو عبارة عنه في بعض المراسم . ويوجد ذلك ثارة في صفة
الكلمة . وثارة في اعرابها . فأما في الصفة فقوبهم للعظيم الحجة
لجبابي . وكان القياس أن يقول لحبي . وللعظم الرقية ريباني .
والقياس رقي . وللعظم الحمة . الحماني . والقياس حمي .
فراؤوا في الالتفات عني ماكن يبغي أن يكون عليه كما رادت المعاني
الواقعة على نظائرها . . » .

ويرى ابن السكيت أن ذلك قياس لا يطرد (٤) .

(١) الجزء الثالث من ١٥٧ .

(٢) ص ٢٢ (الطبعة الخامسة ١٦٥٥ مطبعة وادي الملوك) .

(٣) ابن السكيت الطليوسي : الاقتصاد في شرح أدب الكتاب

ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ .

٨ — « ومن نظم الالفط بالمعنى أنهم يقبلون الالفط بما يشاكل أصواتها من الاحداث فيجعلون كثيرا أصوات لحروف عي سميت الاحداث المعبر عنها كقولهم خضم ونضم ، فالخضم لاكل النشي، الرطب . وانضم لاكل اشيء انصب اليبس . فاختاروا الحاء من أجل رحوتها للرطب ، والضم من أجل صلابتها لليابس فحدوا بمسموع الاصوات على حذر مسموع الاحداث . ومن ذلك التضح للماء الخفيف لرفة ابحاء ، والتضح لما هو أقوى منه . وذلك لغلط الحاء . ومنه أيضا قولهم البعد للقطع طولا . واللفظ له عرسا ، وذلك لأن الفاء أحصر للصوت وأسرع قطع له من الدال محصلوا الطاء لقطع العرس لفرقه وسرعته ، والدال لما طال من الأثر . وهو قطعه ضولا .

والامثلة من ذلك كثيرة في اللغة تبدر من يلتصقها . وقد أتى ابن جني بعده منها ، ونقل سيبوطي في أوائل المزهر عن غيره أشياء أخرى وكلها تدل على أنهم بصطون نظم الالفط المقترنة المتقاربة بالمعنى فيحسون احرف الأضعف عنها والائين والاحفى والأسهل والاهمى لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا . ويحسون الحرف الاقوى والاشد والاطهر والاجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا .

ومن أجمع الامثلة لذلك ما أورده الثعالبي في غقه اللغة قال . إذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو ابريق ، فان أخفاه فهو الهين ، فان أطهره فخرج خفيف فهو الحدين ، فان رد فيه فهو الابين ، فان زاد في ريمه فهو الضيق « (١) »

وبواضح أن هذا يؤكد القيمة التفسيرية للحرف الواحد وهو بسيط يقع في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها . كما يؤكد أن هناك مروق وأنشاهها باختلاف لعرف بصيب بقوة والضعف . أن الحرف وهو جزء من كلمة يقع على صوت معين ثم يوحى بالمعنى

١١ الرامعي : تاريخ آداب العرب ج ١ من ٢٢٦ — ٢٢٧ . وانظر ابن جنى الخماسين ج ٢ من ١٥٧ — ١٦٢ والسيوطي المزهر ج ١ من ٥٠ — ٥٥

المناسب ، وقد مثل الرامعي اعتمادا على ابن جني لما وقع في أول الكلمة وما وقع في آخر الكلمة ، وذكر بعد ذلك أن الأمثلة كثيرة في اللغة تسادر من يلتصقها • ويبدو أن حكمه بأكثرة جاء بناء على ما وجدته في احصائى والزهر ولذليل على ذلك أن سيوطى من ما جاء بالحصائص وهو (١) : «فاما مبدلة الالفاظ فما يشاكل أصواتها من الاحداث غيب عظيم واسع ، ويهيج متلثب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجهلون أصوات الحروف على سمع الاحداث المعبر بها عنها ، فيعدونها بها ويحدثونها عنها • وذلك أكثر مما نغدره وأنصاف ما يستشعره •• » • ويعد أن ذكر أمثلة الباب قال : « وهذا الباب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه » وينصح ابن جني في اخصاص (٢) أن تأتي هذا الامر من بابيه ، ونصلح الفكر لتأوله وتأمله ، ليعطينا مقادته ، ويركب ذروته ، ويجلو بهجته ومحاسنه ، ويوجهنا الى البلى على التناكر واعتدله من الامر المنتشر والمذهب اصعب الموعر حتى لانحرم لدته ، ونسد باب الحظوة به •

واهتم السيوطى بتلك الظاهرة ظهرة مفايلة الالفاظ بما يقابل أصواتها من الاحداث ، وأتى بأمثلة أخرى اعتمادا على كتب الجهمرة لابن دريد ، والابدال لابن السكيت ، والغريب المصنف لأبى عبيد ، وديوان الادب للعربى ، ومفه اللغة للعنابى ، ويقول السيوطى (٣) بعد نقل من الجهمرة : « فانظر الى مذهب مدسبة الالفاظ لمعانيه ، وكيف غاوت العرب فى هذه الالفاظ المقترنة المتقاربة فى المعانى ، فجعلت الحرف الاخسف فيها والالى والاحفى والاسهل والاهمس لما هو أدنى وأمن وأحف عملا أو صوتا ، وجعلت الحرف الاقوى والأشد ولاصهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا •• » •

والرامعى نقل هذا بتصريف •• ولارب أن الفكرة التى تجلت عند أبى جنى أوحى الى بعض الباحثين بنظرية القيمة التعبيرية أو الميابة لحرف فى الالفاظ العربية • وأي ما كان الامر فإن البحث فيما

(١) الزهر ج ١ ص ٥٠ - ٥١ •

(٢) ج ٢ ص ١٦٢ •

(٣) الزهر ج ١ ص ٥٣ •

ببي جرس الالفاظ ومعانيها من مناسبه هو من المباحث اللطيفة في كل
لعه والسبوطى على حق في هذا لاهتمام الذي أعطاه له .

٩ — « أنهم قد يصيغون الى احتقير الحروف تشبيه أصواتها
بالأحداث المعبر عنها وتغذيهم ما يشاهي أو يحدث (المعنى) وتأخير
ما يشاهي آخره . سوما للحروف على سمت المعنى المقصود .
والعرض المطلوب كقولهم شد أحب فالتشبي ما فيها من انفتنى
تشبه بصوت أول انحذاب الحصل قبل استحكام المقعد ثم يليها استحكام
أشد واحذب ، معبر بانزال التنى هي أقوى من التشن لاسما وهي
مدعمة . معى أخرى لصيغتها ، وأدل على المعنى اذى أريد بها .
وكذلك جر لى ، قدموا الجيم لانها حرف شديد . وأول الجر مشقة
على البحر و لجرور حصا . ثم عقبوا ذلك بلاء ، وهي حرف تكرير
وكررهما مع ذلك فى نفسها ، وذلك لآل اشى ، اذا جر على الارض
اضطرب فى غالب الأمر صاعدا عنها ، ومازلا . وتكرر ذلك منه على ما
فيه من التمتعة والقلو . فكانت الرأء لا فيها من التكرير ولانها أيضا
قد كررت فى نفسها أو مع بهذا المعنى من جميع الحروف » (١) .

وقد اكفى الرامى بالاستشهاد بشد . وأما ابن جنى فذكر
بحث وحرر الى حسب شد ، ودرن بين هذا اللون من البعة وبين
ما سبقه ، وقرر أن اللطف فيه أضر . واحكمة أعى وأصع . وبفهم
مما ذكره نعيم هذه النظرة واطراد النون فى التبدل بين كل صوت
فى الكلمة وجزء من أجزاء معناها بحيث أن لمعنى اعام للكلمة ماشى .
عن اجتماع معانى الحروف المركبة لها (٢) .

وبشير هذا اللغوى بعد أن ذكر دلالة أصوات حروف الكلمة
على أجزاء الحدث الذى تدل عليه مستشهدا مما أتى به — الى أنه
قد يرى شىء من هذا النحو لانتقاد ميم رسمه ، ولايتابع على ما
أورده ولذلك يقتضى باسبب ، وقد سبق أن أشرت اليه (٣) .

(١) الرامى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٧ . واطر
الخصائص ١٦٢/٢ — ١٦٣ .
(٢) مجيد المارك : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٦٠ .
(٣) انظر هذا البحث ص ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٢ .

ويتمك صاحب الخصائص مفضية المناسبة مناسبة الالفاظ للمعاني . ويرغم أن تكون هذه المناسبة شيئاً اتفق ، وأما وقع في صورة المقصود من غير أن يعتقد فيبدو تحمسه الشديد ودفاعه عن فكرته بكل ما استطاع ، مستنداً إلى حكمة العرب ، ومثبتاً الله أطالبه . ومرشداً إلى تأييد دواعي النظر والاصناف ، ومؤثراً أعراض دوى الانحصار (١) ولاغرية في ذلك فإنه مؤمن أشد الامن بسوق الحروف على سمت المعنى المقصود ، والعرض المطلوب ، حتى أنه يراه أحياناً أمراً محسوباً محصلاً في شبهة تبقى بعده ، أم أي شك يعرض على مثله ؟ (٢) .

ويأتى الرافعي بعد انتهاء حديثه عن الأمور التي تحقق المساواة . في مقام الالفاظ بالمعاني — مما وصفوه من حكاية الأصوات ، وذلك أنهم يشتقون اللفظ من نفس الصوت القائم بمعناه على جهة احكاميه . وتصور الأشياء بأصواتها . ويجعل هذا مما يلتحق بهذا الباب ، ويقول : (٣) « وهذا النوع يعد أدباء النرسين من مدعات الفرائح . ومما يحرصنا به للعرب قولهم في حكاية صوت مصراعي الباب الكبير إذا أعى جيبو ، وقول الشاعر (جرت الخيل معالت حصفط) » .

وقول الآخر في الابل (تداعين باسم الشيب) يحكي صوت مشارما . وهذا غير الأصوات التي يعبرون بها عن الأحداث وأن كانت مشتقة منها كالعطفة للأصوات المتتبعة في الحرب والقهقهة للاستغراب في الضحك وأمثلة لذلك كثيرة » .

والحق أن ابن جنى أتى بما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها ليدعم ما أورده في باب اساس الالفاظ بأشياء المعاني . ويؤكد أن الله قد ثبت أطالبه ، وأحصف بالحكمة أسبابه ، فهذه الأشياء في نظره تكفى للتنبه على ذلك . وتصلح دليلاً على ما ندى به من الاساس .

(١) ابن جنى الخصائص ج ٢ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) الرافعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٢٨ .

ومما يلفت النظر أن ابن جنى أتى ببسملت وهيلت وحولت وقضى بأن ذلك وأشباهه إنما يرجع إلى اشتقاقه إلى الأصوات .
والأمر أوسع (١) .

وهذه اللفظ من باب النحت . ولم يذكرها ابن فارس في مفاتيحه على الرغم من عديته بهذا النوع من الاشتقاق ونظريته فيه .
وقد أهدى الأدب البحث أمثلة البحت التي ذكرها ابن جنى في باب الأساس .

ولم ينس صاحب الخصائص عند ذكر هذه الأمثلة إلى ظاهرة انحنت أشد صريحة ، وهو بعد في رأي من نظام اللفاظ بالمعنى ، ولما كان الأستاذ محمد المبارك في كتابه مع اللغة وخصائص العربية ، يرى أن طريق انحنت « وهو أديع لفظي ، ودمجها في لفظ واحد — طريق قلما يسلكونه ، وسهح قلما يتبعونه ، وإن جرى به سائهم في من بسمل وحول وعشمى ، وأدعاء أن الرباعي وانغماسي كلاهما يرجع إلى ثلاثين تحت منهما لفظ واحد قد يكون حق ، ولكنه يعود إلى تاريخ اللغة ومراحلها الماضية لا إلى مرحلتها الأخيرة المستقرة أنتى غذا النحت فيها طريق لا يسلكه العرب إلا في النادر من الأحوال » ولست مع الباحث المذكور فلتلست شواهد الكثيرة في مفاتيح اللغة وله صلت الوثيقة أنتى تربطه بالاشتقاق ، وتأكيد أن السواقي والأواسط واللواحق بقايا كلمات قديمة مستعملة تناسب ما ملح في الحرف العرمي من قيمة تعبيرية (٣) ، وأنه من أهم الوسائل في تكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة .

ما يؤخذ على السرافعي :

ولامتنع المحال من شرح تلك الظاهرة التي تعد من أهم الأمور في نظام اللفاظ بالمعنى . وحسبنا أن ما أخذ على السرافعي وأهمه الاستثنائي الكبير ، في تفصيله النظم الأول من أنظمة التمدن .

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) ص ٢٨٨ وأبصر ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٣) أبصر د. صبحي الصالح : دراسات في لغة اللغة ص ٢٧٧

وما يهداه ، ومحمد المبارك مع اللغة وخصائص العربية ص ١٠٤ — ١٠٥

كما يأخذ عليه هذا المصباح الذى سار عليه فى هذا النظام ، فقد ذكر سبعة أمور حاولها بن جنى فى كتابه تتعلق بمعى المؤلف « أى لراعى » والحقيقة أن هذا اللغوى لم يذكر هذه الأمور فحسب فى باب التصائب وباب الأساس بل ذكر أمور أخرى ، ولكن الراعى جأ إلى التثقيت وأصلبه الاضطراب ، فالحديث عن الاشتقاق ثم لا يلبس بالأمور السبعة ومعها ضروب من الاشتقاق . ويعنىها لا بعد منه — يؤدى إلى اللبس ويفقد إلى تعموص ولو راعى بدقة لنبه على أن ابن جنى علق كثيرا من مسائل أو أمور بنظام الانفاظ بالمعنى فى بابين — باب فى تصائب الانفاظ لتصائب المعانى وباب فى أساس الانفاظ أسماء المعانى . وقد عرض فى باب تصائب ألوان الاشتقاق التى تدخل فى نظم الانفاظ بالمعنى .

ونحن قد بذل جهدا كبيرا فى جمع الأمور التى تحقق لمساوقة ورتبها وحسبها فى تسق يجمع الاضطراب وبناء على البس أو الخط والأمران التذان وصعنا هم نقل السبعة التى استخلصها الراعى — أثبتا بهم من باب الاشتقاق ، ولراعى فى هذا الباب اعترفا من الأدلة التى تؤكد المناسبة . واكتفى فى نظامه الأول بالإيحاء إلى أنه ذكر أشياء من المساوقة فى باب الاشتقاق ثم أخذ يذكر الأمور السبعة فى حو يوحى بأن لمساوقة تعتمد عليها ، ولا تتول على غيرها مما أثار شيئا من الغموض والحيرة والخط .

ومن الواضح أن أصار المذهب الثالث فى نظرية المناسبة الذين يرون أن الأمر لا يعدو أن يكون صطلاحا عرفيا جرى عليه الناس فى كلامهم وأنه لا علاقة بين الأصوات والمحلولات إلا بمقدار ما سمح به العرف والاصطلاح — لا يؤيدون الراعى فيما قاله أو انتهى أنه فى نظام الانفاظ بالمعنى من شات المناسبة ، اعتمادا على الأمور السبعة التى نفلها من كتاب الخصائص أو غيرها ولا حاجة بنا إلى أن نعد الأسباب التى يستندون إليها أو الأدلة التى ذكروها . وقد لاحظنا أن نظام الانفاظ بالمعنى يعد فى أكثر أموره دراسة للمعنى من وجهة النظر الاصواتية . فهو يركز اهتمامه على ملاحظة الكلمتين ، فى جو ينأى عن المحازمة والاعتباط . ويفصل الموازنة والتأكيد بأن اللفظ كلما أرداد قربا بالمعنى كان أدل عليه ، وأشهد بالغرض منه

ويمكن القول بأن دراسة ابن جني في الاصوات واهتمامه بالتصنيف الصوتي والتعديلات الصوتية ، كشفت له أسراراً ونبته على أمور .

ويبدو أن ذلك أدى إلى الحسوع لعملية نفسه هي التي تسمى بتداعي المعاني أي أن المعنى حين يحضر في الدهن يدعو إلى ما يشبهه أو يغاربه وهذا قد يحضر في الدهن فكرة الربط بين مجموعة من الالفاظ المتشابهة المتقاربة بمجموعة من المعاني المتشابهة أو المتقاربة ، مما أدى إلى شعوره بوثوق الصلة بين الالفاظ والدلالات ، وتوصله إلى تصليب الالفاظ لتصاعب المعاني ، وتصور نوع من المناسبة بين الاصوات وماتدل عليه .

ولم ينف صاحب الخصائص عند هذا الحد فقد استفاد مما توصل إليه ، واجتهد في عملية الموازنة والتصنيف معتمداً على شدة درايته بالاصوات ، وفوه تعمقه في المعاني . وسعة معرفته بالتأويل مما ساعد على كشف الصروب التي فيها اساس الالفاظ أشياء المعنى .

والرافعي يعنصم بأثر تلك الدراسة الصوتية . ويعتبرها برهاناً على النظرية التي تسيطر على درسه وثبتت التمدن .

ويبدو أن ابن قتيبة قد اهتم بالاسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى ففي هذا الباب ملاحظات وأحكام وفروق بين الالفاظ تثبت الاهتمام بدراسة الصوتية ، وتعين العناية بملاحظته أصالة بين اللفظ والمعنى (١) .

وفي الاقتضاب (٢) قول ابن قتيبة في هذا الباب النسخ أكثر من التصحح ولا يقال من أنصح معيت . وفيه (٣) قوله أيضاً الحضم بالمهم كله والتقصم بأطراف الاسنان .

(١) ابن السكيت البجليوسي : الاقتضاب في شرح الكتاب ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٧ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

وابن السيد البطليوسي يحقق هذا الامر فيقول (١) : « قد قيل ان اخضم اكل ارض وان لتقسم اكل لبابس . وذكر ابن جنى رحمه الله ان العرب اختصت اليابس بالدف ، والرتب بالخاء لان في العف شدة ، وفي الخاء رخاوة ، وذكر أشياء من هذا النحو .

ولعمري ان العرب ربما حككت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع ، ويوجد ذلك تارة في صفة الكلمة ، وتارة في اعرابها . فاما في الصفة فتقولهم لمعظيم الله صفة محيى ، وكان القياس أن يقال محيى ، وللمعظيم الرقة وقباني وأنشاس وقبى ، وللمعظيم أسجة أحماى والقياس جى فزادوا في الالفاظ على ما كان ينبغي أن يكون عليه ، كما زادت المعاني الواقعة على نظائرها . وكذلك يقولون صر الجديب اذا صوت صوتا لا تكبر فيه فاذا كرر الصوت قالوا صرصر . وأما محاكاةهم المعاني بأعراب الكلمة دون صيغها فلما وجدناهم يقولون سعد زيد الجبل ، وضرب زيد بكرا فرفعوا اللفظ كما ارتفع المعنى اواقع تحته . ولكن هذا قياس غير مطرد ألا تراهم قالوا أسد وعكبوت مجعلوا اللفظين مضافين للمعنيين . وقلوا زيد مصروب فرفعوه لفظا وهو مصوب معنى . وقالوا مات زيد وأمات الله زيدا وأحدهما فاعل على الحقيقة ، والاخر فاعل على المجاز . فاذا كان الامر على هذا السبيل كان التشاغل بما تشاغل به ابن جنى عباء لا فائدة فيه . وما قاله ابن السيد لا يمنعنا من القول بأن البحث فيما بين جرس الالفاظ ومعانيها من مناسبه هو من المبحث اللطيفة في كل لغة ، وهو بحث جدير بالمسح ، ولافت للنظر . ولا يمنعنا من تقرير أن من جنى له فضل تجلية هذا البحث بدراسة واسعة ، وكشف أسراره باهتمام بالغ .

والفكرة التي تجلت عنده أوحى الى بعض الباحثين في العمر احدث بنظرية القيمة التعبيرية أو البنائية لصرف في الالفاظ العربية ، وفي بحثنا اشارات قدمنا ما تفيد ذلك .

ومن الثالث أن الراجحى كان متعصبا في نظام الالفاظ بالمعاني لنظرية الحسية لا يريد أن يتصور كلمات جس فيها مناسبة بين اللفظ

والحسنى ، ولقد بذل جهدا في مناصرة نظريته ، ولم يكن على استعداد
للمنازل أو الرجوع عن رأى ارتضاه .

وعندى أن طبيعة نظرية المناسبة هي التي قضت عليه أن يعمل على
أبن جنى ، ولا يبدل جهدا كبيرا في مجال الملاحظة والاستبطان . وهو
لا يريد لنظريته أن تتصدع أو تفقد قوة السيطرة والضببط . واللغة
عند من لا يؤمنون بهذه المناسبة انتهى وصلت الى مستوى الاطراد عند
الرافعى ، والكثرة عند ابن جنى ظاهرة اجتماعية تتماهى مع ما يقرصه
التعسف وانفلو وتجل ابحاث يستسم للملاحظة والوصف والتسجيل
في جو بنائى عن الخضوع لسلطان يجافى منسبر عليه ، وتنج يمتصم
بالاستقراء والتحرى .

وفد اعتمد الاديب في نظامه على الاشتقاق الكبير ، ولا يستطيع
أحد أن يدعى اصراده . فبعض المواد لا يمكن أن يتحقق فيها انتساب ،
وبعض المواد لم يسمع فيها نقليات كتحصت رحله اذا زلفت ، ومن
استمهالاته المجارية دحضت رأيه . ولم يرد تصرف في هذه المادة
بتقديم أو تأخير . ودراسة بعض المواد تثبت التكلفة البعيد في اورد
الى أصل واحد شديد العموم ، وتظهر التعسف بالاكثار من اخراج
الكلام عن ظاهره ، ومجاوزة الحد في اجمع بين صور متعددة ربما
تتلاقى في بعض الاشياء ، ولكنها أيضا تتباين في أشياء (١) .

والمبحث اعلمى المنهجى بكرة الترف العقلى ، أو التزبد العلمى ،
ويرى أن مذهب الترفق في هذا الضرب من الاشتقاق . وعدم المدلعة
مقبول . أما التلطف الذى لا يطاق ، والحروج عن مدلول اللفظ الامنى ،
والتمسك بالتعسف في التعليل والتفسير (٢) — فهو مذهب غير
مقبول .

وسبق أن أشرنا الى قول السيوطى في هذا الاشتقاق الكبير
انه ليس معتمدا في اللغة ، ولا يصح أن يستبط به اشتقاق في لغة

(١) د : صحى لصالح : فراسلت في لغة اللغة ص ٢٠١ .

(٢) انظر : السيوطى المزهري ٣٥٤/١ .

العرب (١) وبقيهم السيوطي ابن جني بأنه توسع في هذا الاشتقاق « بيانا لقوة مساعده ، وردة المختلفات التي قدر مشترك ، مع اعتراجه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك المصباح ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعاني مغيرة للمدر المشترك » (٢) .

والحق أن لكل صورة من صور التخليب مفهوما دقيقا وإيحاء حاسما يرمض للجوء الى الابهام والغموض ، والدعاب الى شدة العموم ، وكراهية اتحديد والتفصيل .

وإذا كان أراغمي يجعل الحرية من أخص شروط النعمان (٣) ، فإن مسلكه في نظام الألفاظ بالمعنى يدل على أنه يؤيد من كبج أعمس الحجة في مضيق . ويؤازر من حبس قواها عن انتقلت والامطلاق بالاستقائي الكبير وما جر من أمور .

وما نود مساندة من بترك الدلول الدقيق ، ويرحب بالمداول العام الذي تحصح لسمائر التخليب وإن أجبر الكلمة على أن تعبر عن معنى غير معناها ، وتوحي بأمر عام ساين مدلولها الذاتي انفاص .

ومن الانصاف أن نذكر أن أراغمي لم يقيم بإبداء رأي أو تحقيق حكم أو إبطال زعم عندما رأى التكلف والتعسف ، وإنما وقف موقف التسليم ، وسيله أطمأن أطمئنانا كاملا الى ما قبل وقبرت عنه بما وجده من الخوضر الطريفة . والملاطحت التي تسبب نزعتة الادبية ، ومسكه في التنعظيم المعوى .

ومن الملاحظ أنه بعد أمثلة لاتفرق بين صوت وصوت كما صنع ابن جني ، فمثلا نجد في أمثال انهمة هـ : أبا وهيا ، وأباك وهياك ، وأتمال السنام وأتمهل إذا أنصب . وأرحت دامتى وهرحتها . وأبرت هـ وهبرت له وأرقت الماء وهرقته (٤) . والمعنى كما هو واضح واحد ، والاختلاف في حرف واحد . والعلاقة بين الحرفين هي التجنيس .

(١) هذا استحدث من ٧٠ والمزهر ٢٤٧/١ .

(٢) السيوطي المزهر ٢٤٧/١ .

(٣) أراغمي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢١٦ .

(٤) السيوطي : المزهر ٤٦٢/١ .

وابن جنى كما سبق جعل الهمزة أقوى من الهاء . وهنا يثبت ما يحالف ذلك مما يدل على عدم اطراد مسألة قوة الحرف وضعفه أو عظمته المعنى وحارثته . ومن المعروف أن لامدال يَحْتَمِلُ كثيراً في لفظيته أن تكونا مترادفتين ، تفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت مل ربما كان أصار تصاقب الالفاظ تتصاحب المعاني فيسرتون هذا المضرب من التردد بين اللفظتين المبعدة وأبدل منها . والا لتصاقبت الالفاظ من غير أن تتصاقب معانيها (١) .

وعلى الرغم مما ذهب إليه ابن جنى في الاشتقاق الأكبر الذي يقوم على الابدال فإنه لم يصنع ما صنعه بعضهم عندما ذهب إلى المقسة بين ترتيب أحراء الحدث ، ورتيب محارح الحروف في الكلمة فكلمة خرج تبدأ من الحلق صاعدة نحو الفم دلالة على الخروج وكلمة دحر على عكسها تبدأ بابدال ومخرجه في أول أسفم ، ثم تأتي الخاء ومخرجه في الحلق . فالفعل ينته من الخارج إلى الداخل (٢) .

ويبدو أنه وجد في هذا علو مغرطاً عند محاولة تصميمه أو تطبيقه على أمثلة أخرى .

وبحق نرى أنه على الرغم من بحوث هذا العالم الكبير ، وما وجدناه من الامثلة التي تدل على اختلاص الصوتي أو التقابل الموسمي في تركيب الكلمات وخروجها ، فإن ذلك لا يكفي لإقامة نظرية عامة أو استنباط قانون عام يشمل الالفاظ العربية ، وإن حاول الاعتصام بحكمة العرب والإيماء إلى أن الأخرى أن يفهم الإنسان نظره . ولا يصف إلى ادعاء البعض فيما عدت أنه أضربه ، وأخصص بالحكمة أسنابه (٣) .

إن الحكم بالمعوم أو الشمول يحتاج إلى توسيع أفق الملاحظة والاستقراء ، وينتطلب الفطنة في التحري .

(١) د : صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٢٤١ .

(٢) محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٦١ .

(٣) ابن جنى الخصائص ١٦٥/٢ .

ولاريب في أن العربية تختلف عن غيرها في قيمة الحرف الدلالية ،
ووظيفته في تكوين المعنى وتحديدده . والتقابل الصوتي أو التوافق
في الجرس قد يشير إلى امتياز به هذه اللغة ، أما الإيحاء الخاص فهو
أن لم يكن بدل دلالة فاعطية على المعنى فقد يدل دلالة اتجاه وإيحاء ،
ويشير في النفس جواً يعي ، لقبول المعنى ويوحه إليه (١) .

ولايمكننا أن ننكر براعة ابن جني واجتهاده في تلك الدراسات
لتي تعد مايا تحليل إنسان أراد هذا العالم أن نسلكه ليرى خصائص
اللسان ، ونعرف مستوى الطرافة في التساؤل والإبداع . انه
كشف أسراراً لميكنر اعظم هذه اللغة الكريمة من أجلها ، ووجه أحياناً
إلى انغلو في الصيغة والحذر (٢) ، وأوماً أحياناً إلى عدم إمكان
تعميم النتائج والاحكام (٣) ، وعام معاً زادت دققة ، وابتعد عن
الاسراف الشديد في ابدلغة والتعميل . فلم يزعم ما زعمه الزجاج « أن
كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، و ن قسمت احدهما عن حروف
الآخرى ، فب احدهما مشتقة من الاخرى ، فقول : الرجل مثلث من
الرجل ، والنور اما سمي نورا لانه ينير الارض ، والثوب اما سمي
ثوباً لانه ناب (أي رجع) لباساً بعد أن كان عزلاً . حسبيه
إله » (٤) .

وأذا كان ارافعى معتمداً عليه في معظم ما أنى به في نظامه الاول
فانه لفت الانتظار إلى مثالية اللغة الرفيعة ، ومفاسمتها العجيبة في رأيه
بمسلك يعبر عن شدة لايمان ، وقوة الاعتزاز .

ومن البارز أن ارافعى يدعم فكرة المثالية اللغوية بكل ما استطاع
وأناصر المثالية يرون أن اللغة تخضع لمنطق السلبم دائماً ، فبعضهم
يقرر أن الاسم يحوى « خلاصة » المعرفة الانسانية لخاصة بالشيء .

(١) محمد المبارك : لغة اللغة وخصائص العربية ص ٢٦١ — ٢٦٢

(٢) ابن جني الخصائص ج ٢ ص ٦١ — ٨٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٦١ وما بعدها وص ١٣٨ — ١٣٩

وانظر ج ١ ص ١٢ .

(٤) السيوطي : المزمهر ج ١ ص ٣٥٤ .

الذى يدل عليه ، وهو رمز لكل المعلومات والتجارب التى يجيب بها
الإنسان عن هذا السؤال الذى لايفتك برأوده « كيف » ؟ (١) .

وبعضهم يقرر أن الشيء إنما يسمى بأهم خصائصه . ومثل
هذا السبب يسمى اسما بالإنسية tischer (مأخوذة من
Tisch بمعنى مائدة) . وهذا يرى أن عمل المفسدات
أهم خصائص المصدر . على الرغم من أن عمل الأبواب أو الحرائق مثلا
أهم من ذلك . والتحقيق يذهب إلى أنه « قد يكون من الصحيح أن عمل
المصدة كان في نظر من ابتكر هذه الكلمة أهم خاصية للمصدر في اللحظة
التي ابتكر فيها كلمته . ولكنه لا يمكن أن تكون أهم خصائصه على
الاطلاق » . أن مايربده الإنسان هو أن يضع اسما مألوفات من أدوات .
وليس من الضروري أن يشير الاسم إلى أهم خصائص المسمى أولا
يشير . وذلك لأن الاستعمال كعمل بأن يربط ما قد يصادف من بسمع
الكلمة لأول مرة من عاربة . ولايهم الاسس كثيرا بل لعله لا يلاحظ
— أن كان الاسم يطبق أو لا يطبق على صفات المسمى . ولكن المهم
هو أن المتكلم يجد اسما يعنى شيئا خاصا . وأن سواء من أناس يدرن
دعسمى به « (٢) وإذا أردنا أن نخضع الاسماء لمصطفى فانت نستخدم
كثيرا منها لايحقق ذلك مايسوره الذى يرجوها هؤلاء ائدين يؤمنون بأن
الاسماء تحتوى خلاصة المعرفة الانسانية الخاصة بالشيء الذى يدل
عليه . والامثلة اننى تعلن الخروج عن المنطق والمناسبة في بعض
الاشياء كثيرة وهي كهيئة بالرد على من مجمدون في الحديث عن مثالية
البيعة . وحسبنا مثال واحد يدعم مثاليته ؛ كلمة خسروات مطبقة مثلا
في تسمية « القلوخية » . وليس من اصح في شيء أن مطلتها على
السماطم والحزر ؛ ولا تطلق على « النطبخ » . وهو أخصر
النون (٣)

(١) أوبو حسبرس : اللغة بين الفرد والمجتمع من ٢٢٢ ترجمة
الدكتور عبد الرحيم محمد أيوب نشر الاتحاد المصرية .

(٢) نفس المرجع والمسلخ .

(٣) المرجع ذاته والصيغة وانظر إبراهيم السابرائي مقه اللغة
المقارن من ١٨٩ — ١٩٠ .

ويؤكد الدين يرفضون المستوى الذى ذهب اليه الرافعى في وجه المثالية ، أن القول بأن بين اللفظ ومدلوله علاقة طبيعية أن لم يكن اللفظ ذات المدلول من اعتقاد الاطفال البدائيين (١) .

وبذكر بعضهم أن اللغة لا يبعد أن تتفق مع أحكام ما يحق اليه من أشياء فما يسمى بالشجرة مثلا كن يمكن أن يسمى بأى لفظ آخر . ولا بدري لم سمي الحجر حجرا ، أو النهر نهرا مهما أجهد الاستقاميون أنفسهم في مثل هذا . هذا الى أن المعاني المشتركة في كل العقول البشرية قد اتخذت لها ألفاظا متباينة مختلفة لا يكاد يمت بعضها الى بعض بصله معقوله مفهومة . بصاف الى كل ما تقدم أن كل اللغات تتضمن كثيرا من الامثلة المشبهة ، والتشواهد الضرجة . وأنها تتضمن أيضا تلك الالفاظ التي يشارك اثنان منها أو أكثر في معنى واحد . وهي المترادفات (٢) .

ويرى فندريس أنه من الحق « الحكم بوجود علامة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالاتها » وقد سحر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأي . غير أنه اعترف بأن بعض الالفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر ، ولكن المرء في رأيه حين يقيم أثلاثا بين اللفظ ومدلوله اما يسير على نهج عادة قديمة جدا حين كانت الالفاظ تعد جزءا لا يتجزأ من الأشياء ، وحين كان الاسم له منزلة الجسد و لروح كما هو الحال عند بعض الامم البدئية . » (٣) .

ويقرر هذا الباحث أن كل كلمة أي كانت توقط دائما في الدهن صورة ما وهي م ترال مستقلة عن المعنى الذى تدل عيه (٤) .

أم دى سوسير فيرى أنه قد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الانسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تقريبا حقيقيا بلا علامات

(١) أونوجسبرسن - اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢٣٤ ترجمة د. عبد الرحمن ايوب .

(٢) د. ابراهيم اتيس : دلالة الالفاظ ص ١٨ — ١٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٨ .

(٤) نفس المصدر والمصنعة .

لعوية أى كلمات المفكر ملا كلمات غائم . وبس في الفكر ما يفرض شكلا معينا لرموز الصورية بهذه الرموز موسوعة وضما اعتباريا . وبسبب وظيفة اللغة في هذا أن تخلق وسط صوتي للتعبير عن الأفكار .

أن العلامات التي تتصف بأنها تحكمية أو بأنه لا باعث طبيعي عليها نكتسب قيمتها عن طريق التبادل (١) .

وجمع الأمر أن الراعي في دراسة اللغة في نظام الالفاظ بمعنى بميل الى أنها تخضع للمنطق السليم دائما وهو قريب في ذلك من المستوى ادى آمنت به المدرسة اللغوية القديمة . ان فكرة المثالية اللغوية تسيطر عليه ، وهو يرى في تلك المثالية ما لا يراه غيره ، فهي التي تهدد النفوس . وترثها ، وتعدها ، وتخلصها ورقة أوضاعها وسحر تراكيبها . وهي في رأيه انتهت الى الكمال ، وعبرت سندها عن التمدن ، وحقيقته فيها متمثلة ، وشروطه في مجموعها متحققة .

والعربي عنده في حكم العرب كلهم باعتد النطرة اللغوية التي يرجع اليها أصل الوضع « لان اللغة مفردات وضما أراد وقد كانت لهم أشياء كأنها مظاهر الطبيعة المسالطة عليهم بمعانيهم المتناقضة ، وصفاتها المتباينة لبلوغها لغتها في ما لو فهم من اللذة والام والنفعة والبضرة ، وهذه يراها كل عربي . ويحدث عنها ، ويصفها على ما يجد في نفسه من أثرها . ملا جرم احتلقت الالفاظ الموضوع لها بحسب ذلك » (٢) .

(١) د . مام حسيني : مناهج البحث في اللغة من ٢٤٤ وما بعدها وانظر د . محمود السمران علم اللغة من ٣٧٣ و ابراهيم ابيس — دلالة الالفاظ من ٧٠ — ٧١ .

(٢) الراعي : تاريخ أدب العرب ج ١ من ١٨٧ — ١٨٨ .

الفصل الرابع

نظام المعاني بالالفاظ

نظام المعاني بالالفاظ

هذا النظام عند ارامى لايقوم على مساوقة على النحو الذى ذكره فى النظام السابق اعتمادا على تصاميم الالفاظ متساوية المعانى أو امساس الالفاظ اشباه المعانى أو غير ذلك .. وانما يقوم على أمر آخر سره الاديب اباحت بقوله : (١) « والالفاظ فى هذا النوع هى التى تسوس المعانى ، وتربها فى مرلها ، وبصعها على أقدرها ، لامن حيث ان اللفظ هو الذى يوحد المعنى هناك ظاهر الاستحالة ، ولكن على أنه هو الذى يخصص المعنى اذا كان جنسا ، وهو الذى يؤكد مبالغة فى تلوين صورته النفسه حتى تنطق أجزاؤه ، وحتى يقوم كل جزء منها فى البيان اللغوى مقام اكل الذى هو مادة الشعور الطبيعى » .

والرافعى يعتمد فى هذا القول على عبارات مجازية ، ويؤثر المبالغة ، ولتحضوع لما تتحه إليه النظرة الادبية ، والتأثر بما فى الالفاظ عنده من أشياء يجد فيها الدقة والحكمة والكمال . فالالفاظ لديمعملك أمر السياسية ، والانزال فى الممارل ، والوضع على الاقدار ، وتمثل المستوى العادر على الاتقان واسمو فى البيان اللغوى .

واللفظ عنده هو الذى يخصص المعنى اذا كان جنسا ، وهو الذى يؤكد .. ولا يوضح به أسرار ذلك من نتركنا أصم المبالغة ، والانراف فى المجاز ، والجنوح الى العموض . ويمضى ليقرر أن للغة عمل نفسى محص ، وفيها حيد ماطلة تشبه ما فى الاسنن برقى مما يسمى بالكمال أو الحباه الروحية المعالية ، حتى تتكافأ لنفس والبعة فى تصور أجزاء المعانى وتصويرها .

أما وجود نظام المعنى بالالفاظ فهو من أخص الدلائل على تمدن اللغة لأن النظام الذى يعين درحات المعانى انما يفصل أجزاء الموجودات على درحات شعور النفس بدوات هذه الأجزاء أو بمفاتها (٢) .

(١) الرافعى : تاريخ آدلب العرب ج ١ ص ٢٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٨

والدليل اننى بقدومه لما أنه أثبت السماء أن أظهر ما يكون
لغير فى ابعث المسحطة اما هو فى أنواع الدلالة المسبوبة فكلما
احتطت اللمعة بملت فيها هذه الانواع ، حتى تتابع بها تلك القلة أحياء
الى أن تتسبه الجماد فى تحرده من الشهور ومعانيه •

ووجدوا من لغات الفدث المتوحشة فى أواسط أفريقيا ما ليس
مها ألفاظ تعبر عن حب ، والمزاجاة . والعبادة . ونحوها من أمهات
المعاني النفسية كأن مادة تلك اللغات من الاحساس الحيوانى
المحض » •

ويدرك لرجل أن ما قدمه يحتاج الى ما يدعمه ، فيأتى بموازنة
فيها استراحة الى الملائمة ، واغراق فى التفصيل ، وعلو فى التنظيم •
« ولعمرو » تعتبر أحكام اللغات نظاما فى أوضاع المعاني وسياستها
« لالفاظ » . وهى من هذا القبيل أعظمها ثروة ، وأبلغها من حقيقة
التميز • بحيث لاتدانيها فى ذلك لغة أخرى كائنة ما كانت • فالعرب
لم يدعوا معنى من المعانى الطبيعية التى تتعلق بالحياة الروحية أو
المادية مما تهبا لهم الا ربوا أجراءه • وأبنا نواعن صفته باللفظ
متشابهة تمنى تلك الأجراء والمصنف على مقاديرها •• ومع نسبة
اليه فى هذا الفصل أن أرقى الأمم مدنية اذا بلغت فيها المعانى
لنفسه مبلغ الهرم • وتعلقت بها الخواطر من كل جهة بحيث تفصل
أجزاء تفصيلا فجهد الأمة عند ذلك أن تحيط المعنى باصطلاحات
عممية ، وتعرف حوادثه على نحو مبرم به حصول العلوم كالحب
مثلا ، فإن مراتبه التى يشير اليها العرب بالالفاظ المتقدمة يشير اليها
غيرهم بتعاريف ، وقصول • واصطلاحات • ثم لاتعدو بعد ذلك كله
ما كان يفهمه العرب منها بركة سماعتهم ، ولطف حواسهم النفسية •
فكانهم لما عدوا الموم جمعوا ألفاظهم فصولا علمية وذلك منتهى
ما يكون من تمدن اللغات •• « (١) »

والالفاظ المتقدمة هى الحب ومراتبه : اسوى • ثم العلاقة ، ثم
الكاف ، ثم العشق ، ثم الشغف وكذلك اللوعة واللاعج ثم الشغف ثم
الجوى ثم اليميم ثم النبل ثم التدليه ثم الهموم (٢) ••

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٩ — ٢٢٠

(٢) المصدر ذاته ص ٢٢٩

وينتهي الاديب الى الدعوة الى تدبر نظام المعاني بالالفاظ لنرى أنه نبتة رويحي صرف بيد أنه ممثل بالالفاظ ، ودرى أيضا « كان لنفس العربي طيفا يحرك اللغة حتى بأفدس الخطرات ، ويكتف لها كل عاطفة دقيقة . ولو احتبأ في أشبه من البطرات » (١) .

وواضح أن ايرافعى جعل كلامه مشوب بتأثير آداب المعية في نفسه ، ولم يقدر الظواهر اللغوية في ضوء الاسس العملية وحدها ، واما من الى ايثار العاطفة المرحطة . ولاد بالمعوص سره ، واتجه الى الاسرام والظلو تارة أخرى ونم يحكم بما يفرسه الاسقراء الدقيق ، وقواعد الدراسة اللغوية الشاملة المحضة .

انه لم يفسر كيف تستطيع الالفاظ أن تقوم بيساسة المعاني ، وازالها في مازيها ، ووضعها على أقدارها ، ولم يكتف حفيقة منهج التنبصص والتاكيد في ضوء الاسس العملية . ولم يبين الحياة الباطنة التي في اللغة والتي تشبه ما في الانسان الراقى مم يسمى بالكمال أو الحياة الروحية لعالية . كما لم يبين شيئا يمكن أن يساعدنا في تحديد مسنوى أو سر الانتباه الروحي الصرف ، واللطف الذي يحرث اللغة ، ويكتف لها كل عاطفة دقيقة .

والذى بلغت اسطر أنه يجس الالفاظ تتسم بالحكمة العفوية ، ويشير الى لطف الحس ، وطفة الادراك ، ويدعونا ذلك الى أن نقرر أن اللغة عند بعض العلماء سواء أكابت الهاما أكلها أم كانت اصطلاحا بشريا ... لأبد منها من وضع يجعل لفظ كذا براء معنى كذا (٢) . وضع واضع أول قدر الحاجة العوبة ، ووضع انكلمات الوافية بها . كما لحظ الاعتبارات الحيوية المختلفة بطريق الحكمة ، وتعرف المستقل ، وإدراك الزيادة التي تحتاج اليها الدنيا ، والقيس الذي يتبع الاحد أو المخالفة .

(١) المصدر ذاته ص ٢٣٠

(٢) السيوطنى : المهرج ١ ص ٣٧ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٣ — وقارن
سليم الخولى مشكلات حياتنا اللغوية ص ٣٦

وفي الخصائص حكمة عن أمي علي الفارسي : « أنهم وزنوا حينئذ أحوالهم . وعرفوا مصائب أمورهم . فعموا أنهم محتاجون إلى عبارات عن أحوالهم . وأنها لا بد لها من الاستاء والأفعال والحروف ، فلا عليهم بأنهم بدعوا ، أما لأنهم ، أم بالعمل أم بالحرف ، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهم جميع . إذ المعاني لا تستغنى عن واحد منها » (١) .

ويأتي ابن جنى بشيء مما تصورته العرب قبل وضعه : ويذكر عنها . وما هو أدل على حكمته وفهمها ظروف الحجة اللغوية . يقول صاحب الخصائص (٢) : « وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما غير كثرة استعمله بما تصورته العرب قبل وضعه . وعلم أنه لا بد من كثرة استعماله ما فاندعوا بتعديده . علم بأن لا بد من كثرة انداعية إلى تعديده . وهذا في معنى كتوله :
رأى الأمر يفضي إلى آخر

فصير آخره أولا
وقد كان أيضا أجاز أن يكون قد كانت مديما معربة . فلما كثرت عبرت فيما بعد . والمول عدي هو الأول . لأنه أدل على حكمته ، وأشهد له بعلمها بمصائب أمرها » .

ولا يترك ابن جنى ذلك إلا بعد أن مثوله بالتفصيل والتعليل وادعم بما يشهد . ثم يقول (٣) : « عهد كنه وما يجري مجراه مما يقول ذكره يشهد لأن كل ما يتوقع إذا ثبت في نفس كونه كنه كانه حاضر مشاهد . فعلى ذلك يكونون مدموا بناء محوكم . وكيف . وحيث ، وقبل . وبعد . عما بأنهم سيسكتون فيما بعد منها . فمجب لذلك تعبيرها » .

والواضع للغة العربية في رأى بعض القدماء نظر إلى ما مضى إليه أبواب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر (٤) .

(١) ابن جنى : الخصائص ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣١ - ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٣ .

(٤) ابن الأثير المثل السائر ص ٩ المطبعة الذهبية ١٣١٢ هـ .

أما اختلاف لغات العرب فسببه اختلاف أنوضع الأول .
 يبطل اس حصى عن الاخفش ما عارته : « وذهب الى أن اختلاف
 لغات العرب إنما منها من قبل أن أول ما وضع فيها وضع على
 خلاف ، وإن كن كل مسوقا على صحة وقيس . ثم أخذوا من بعد
 أشياء كثيرة لحاجة اليها ، غير أنها على قياس ما كان وضع في الاصل
 مختلفا . وإن كان كل واحد أحد امن صحة الفياس خطأ . ويجوز
 أيضا أن يكون الموضوع الأول صرب واحدا ، ثم رأى من جاء من
 بعد أن خالف قياس الأول الى قياس ثل جار في الصحة مجرى
 الأول » (١) .

ويؤيد ابن حصى ما قاله لافش فبقول (٢) : « ولا يبعد عندي
 ما قال من موضعين أحدهما سعة الخفى ، وإذا كان ذلك كذلك
 حازت فيه أوجه لا وجهين اثنين . والآخر أنه كان يجوز أن يبدأ
 الأول بالقياس الذى عدل اليه التالى ، فلا عليك أيهما تقدم ، وأيهما
 تأخر . فهذا طريق انقول على ابتداء بعضها ونهائى بعضها به » .

والاهتمام بأمر الوضع أدى الى لعتاية بعلم يختص به سمي
 عم أنوضع . وهو علم يبحث عن أحوال اللفظ العربى ، من حيث
 ما يعرف به شخصية الوضع وبوعيته ، وخصوصه وعمومه الى غير
 ذلك « قال التاج السبكى في شرح منهاج الميضاوى : الوضع عبارة
 عن تخصيص الشيء بالشئ ، بحيث إذا أطلق الأول فهم منه
 انثلى . قل : وهذا تعريف شديد ، فانك إذا أطلقت قولك
 « قام ربد » فهم منه صدور القيام منه » (٣) .

« وقال أبو حيان في شرح التسهيل العجب ممن يجبر تركيا
 ما في لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب بظن . وهل
 انتركيب العربية الا كالفردات اللغوية ؟ فكما لا يجوز أحداث لفظ
 مفرد ، كذلك لا يجوز في انتركيب ، لأن جميع ذلك أمور وضعية ،
 والامور انوضعية تحتاج الى سماع من أهل ذلك اللسان ، والفرق

(١) ابن جنى الحماص ج ٢ ص ٢٩

(٢) المصدر ذاته ص ٢٩

(٣) السيوطى : المزهج ج ١ ص ٢٨

بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كنيه ،
وموضوع علم اللغة أشياء جريئة ، وقد اشتركا معا في الوصف . .

وقال انزكريسى في البحر المحيط لاختلاف أن انفردت موضوعه
كوصف « لفظ اسير » للحيوان الناطق . وكوصف قدم لحدوث القديم
لرسم مخصوص ، وكوصف « لعل » سترجي ونحوه . واختلفوا في
المركبات نحو « غلام زيد » و « عمرو مصطلق » . فقيل ليست
موضوعه ، ولهذا لم يتكلم أهل اللغة في المركب ولا في تأليفها ،
واسم تكلموا في وصف المفردات ، وماداك الا لان الامر فيها موكل
الى المتكلم بها ، وأحذره فخر الدين الرارى . وهو ظاهر كلام
ابن مالك حيث قد أن دلالة الكلام عقلية لاوصفية . . (١) .

وفيما حكاه ابن ابياز عن شيخه ان الجسم « يصح أن يقال انها
موضوعه باعتبار انها متنوعة على معرفة مفرداتها أسى لانسداد
لا من جهة الوصف . ولأن للفظ المركب أجزاء مادية وجزءا صوريا
وهو التأليف بينهما وكذلك لمعناه أجزاء مادية وجزءا صوريا .
والاجزاء المادية من اللفظ تدل على الاجزاء المادية من المعنى ،
والجزء الصورى منه يدل على الجزء الصورى من المعنى
بالوضع » (٢) .

وعلى الرغم مما قيل في هذا العلم فانه لم يحقق الفوائد
المرجوة ، واهتمت بحوثه بالاتجاهات الفلسفية العقلية . وبحات
الى التكلف ، والاحتمالات الفرصة ، والصور لذهنية الامكانية .
وانتقاسمات والتعريفات والاحتلامات لثى تحول على اعتبارات
نظرية (٣) . فلوضع ينقسم الى شخصى ووعى . والشخصى
هو وضع لفظ بخصوصه كأكمل . . والوعى : وهو وضع لفظ داخل
قاعده كلية كوضع المشتقات ، فهي موضوعة كلها بوضع واحد تحته
جربيات كثيرة . « قال الامام عبد الدين الايجى في رسالة له في
الوضع : لعلنا قد يوضع شخص بعينه ، وقد يوضع له باعتبار

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ — ٤٣

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤

(٣) ابن الصولى : مشكلات حيلنا اللغوية ص ٢٩

أمر عام ، وذلك بأن يعقد أمر مشترك بين مشخصات ، ثم يقال :
 هذا اللفظ موضوع بكل واحد من هذه الشخصات بخصوصه ، بحيث
 لا يفاد ولا يفهم به إلا واحد بخصوصه دون القدر المشترك ، فتعقل
 ذلك المشترك أنه موضوع ، لا أنه الموضوع به ، ملووضع كلي
 والموضوع له مخصص ، وذلك مثل اسم الإشارة ، فإن « هذا »
 مثلا موضوعه ومسماه المشار إليه لمخصص ، بحيث لا يقبل اشركة .
 وما هو من هذا الثقبين لا يفيد استخصص إلا بقريية تميد تعيينه ،
 لاستواء سبعة الوضع الى لسميات ، قال : ثم لفظ مدلوله اما كلي
 أو مشخص ، والاول اما ذات ، وهو اسم الجنس ، أو حدث ، وهو
 المصدر ، أو سبعة بينهم ، وذلك اما أن يكون يعتر من طرف اذات
 وهو المشتق . أو من طرف انحدث وهو الفعل ، والثاني العلم
 ملووضع اما كلي أو مشخص (١) « » .

وقد غلوا ، أبغ في تقسيم لوضع انه اما تحقيقي وام تأويبي
 فالاول ملا بحتاج فيه اللفظ الموضوع اى فريية كوضع الحقائق .
 والثاني ما بحتاج الموضوع فيه الى تعربه كوضع اخبارات والكليات ،
 والوضع التأويبي كنه نوعي وأما الوضع التحقيقي فقد يكون نوعيا
 كوضع المشتقات وقد يكون شحصيا كوضع اعلام الاشخاص (٢) .

وفي ازهر مسائل تتناول اوضع . وتذكر الاختلاف في وضع
 لوضع وغير ذلك مما يؤكد ما ذكرناه (٣) . ويدل على أنه لم يجمع
 الفائدة المرجوة .

وابن جنى يقرر أن اعرب قد أرادت من العك والانعراض
 ما سبحانه اليها وحملناه عليها ، ويرى أنهم يحتضون ، وبقنسون ،
 ولا يفرطون ، ولا يعضون . فيهم لطف انصص وصفائه . ونصاعة
 جوهر الفكر وبضائه ، من كانت اللغة وحيا فهم المصطفون .. ون

(١) السبوطي : الزهر ج ١ ص ٦

(٢) من الجولي : مشكلات حياتنا اللغوية ص ٤٠

(٣) السبوطي الزهر ج ١ ص ٢٨ — ٤٧

كانت شيك اصطالحوا عليه فهو مشخر لهم ومعلم من معالم لشداد
دل على فصلتهم (١) •

وما رأينا من أقوال أبي على الفرسى وأبي الحسن وابن جني
وعبرهم مختلف عن رأى الذين لا يخالعون طبائع الأشياء • ومروى
أنه لآمد من مراعاة لمشوء والارتقاء • وبسبب التكلف والوهم
والمطرات التي تستند إلى الاهتمام • وتعتمد على طبعة صحيحة
تسب إلى العرب مستوى لاحت له من الحكمة التسلمة في تقدير
المطالب الإنسانية اللغوية النامية المنحددة •

والمنهج الاجتماعي لا يقر ما قبل عن صنع النواضع الأول •
ولا يرمى عن هذا المستوى الذي وصل إليه العلماء السابقون في
حديثهم عن أوضاع •

إن المنهج الاجتماعي يقرر أن اللغة ظاهرة اجتماعية ليست
مساغة فرد بعينه أو أمراد بعينهم • وإيت عمل حيل بدائيه •
ولا توجه فيها لعقل لفرد أو الإرادة لفرد • ولا تأثيره عليها •
وطبيعتها لا تخضع إلا لتنتج العمل بجمعي ومقتضيت أسووجد
انجمعي •• ولا مجال لعمل لفرد أو الأفراد فيها إلا ما قد يكون
من تأثير لفسانهم أو شئوبهم لعملية الصوت على نظام اللغوي
الذي أنتج العقل الجماعي (٢) •

وجمع الأمر أن ما يسموه علم أوضاع يقوم على أساس
مناقض لطبيعة اللغة اجتماعيا • وهو عمل صناعي لا لغوي ••
وما يفره من ماء العربية على حطة مطبعية قد وضعت مقدما — ضرب
من العبث الواضح •

والرامي يرى أنه لولا الطرق التي جرت عبرها اللغة في
الوضع ما حطت في التاريخ خطوة واحدة • ويعول في طرق

(١) ابن جني • الخصائص ج ١ ص ٢٢٧ — ٢١٥

(٢) أنظر الحولى • مشكلات حياتنا اللغوية ص ٢٣ — ١١ وأيضاً:
محمود السعمران اللغة والمصنع رأى ومنهج — المطبعة الأهلية بمطاري
١٩٥٨ ص ١٠

الوضع (١) : « وأنت إذا تدبرت لماثور من اللفظ المعة وجدته في الجملة لاجنو من ثلاث اما أن يكون مرتجلا أو مشتقا أو مقولا على وجه من وجوه المجزء . وعده الثلاث هي طرق أوضع انني تقلبت عليها اللغة . وهي تشبه أدوار الخلفة الكاملة فانها ثلاثة أيضا انتركب والقوة والجمال ، فالخاز جمال اللغة ، والاشتقاق قوتها ، والارتجال تركيب الخلفة مبهء . ويبدو أن تحد ذلك كله في لغة من اللغات على مقدار ما تجده في العربية : فلا جرم كنت حرة بأن تكون مناط الاعجب لانها الحلقة اللغوية الكاملة » .

ولم بشر ابراهيمي في نظام المعاني بالالفاظ الى اعنصر التي يتألف منها المعنى ، واكتفى بمعلء الالفاظ الهمنة في سياسة المعنى . وانزلها في منازلها ، ووضعها على أقدارها . ويبدو أنه يريدنا أن نطمئن الى الالفاظ وطاقتها التي لم يفسدها التفسير الذي يضيء للطريق .

ومن المهم أن نشير إلى أن الدارسين قد اختلفوا في تعريف المعنى وفي تحديده بسبب اختلاف المناهج وكثرة المسائلات وعدم الاتفاق على مفهوماتها ، ومن الملاحظ في تمييز وجهات النظر تركيز كل منهج اهتمامه على وجه خاص .

بعض الباحثين يرى أن معنى الكلمة يتألف من اجنماع عدة عناصر بضاف بعضها إلى بعض . ومحدده ما يأتي .

١ - الاصل الاستدقائي أو المادة الاصلية التي يرجع اليها الكلمة وهي تتألف من مجموعة أصوات أو حروف .

٢ - البناء الصرفي أو الصبغة .

٣ - حياة الكلمة ، و لتاريخ الذي تقلبت فيه فحدد استعمالاتها الكثيرة ووجوه معناها أو معانيها المتعددة .

ومن المعروف أن الكلمات يختلف بعضها عن بعض في المعنى تبع لاختلاف حروفها وأصواتها ، وكل تدل صوتي فيها فتبعه تبدل

في المعنى ، وهذا يدل على أن للحروف أو الصوت أثرا في تكوين المعنى وتحديدده .. ولكل لغة طريقتها في تركيب ألفاظها . ولها قوانين يخصص بها هذا التركيب (١) . والاصوات التي تتكون منها الكلمة العربية أنواع ثلاثة .

١ - أحروف انصوتية أو الصائتة .

٢ - حروف المد أو الحروف الهوائية .

٣ - الحركات أو حروف المد انصوتية .

والحروف في العربية ضربان :

أحدهما لتتويع أصول المعاني . وهي الحروف لصائتة .
وثانيهما لتتويع المعنى الواحد على حسب أحواله وملابساته لمفعول والمفعول والصيغة والمسمى والمستقبل وغير ذلك . وهذه هي حروف المد الطويلة والقصيرة (الحركات) . يضاف إليها أحباسا بعض الحروف من مجموعة (سالتنويها) (٢) .

ونريد ذلك توضيحا فنقول : الحروف الصائتة : وهي ما سوى حروف المد من الأحرف الهجائية — هي العماد في تركيب الكلمة وتكوين معناه ، ويمكن القول بأن اتساق عدد من الالفاظ فيها معناه اتفاقها في المفهوم الأصلي ، والخلاف فيها كذلك خلاف فيه بينها (٣) .

أما حروف المد في العربية فهي عنصر من متحول ، ليس من الأجزاء الأساسية في تكوين الأصول الاستقاقية . وقد جعلت تتويع المعنى الأصلي الثابت بثبات الحروف اصائتة في المادة الواحدة ، وتعييها في ذلك حروف أخرى تؤلف معها ما يسمى حروف الزيادة المجموعة في (سالتنويها) (٤) .. والحركات في حقيقتها

(١) محمد المبارك : منه اللغة وخصائص العربية ص ١٧٥

(٢) محمد المبارك . فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٨٠ وراجع

ص ١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٨١ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٨ — ١٨٠ .

حروف مد قصيرة والبناء الصرفي أو الوزن ، وهو ثنائي العنصر التي تكون معنى الكلمة وتحدده — يقتصر من المعنى لكلى جزءا محدودا ، ويكون كالتالي ادى بأحد من ماده المعدر جزء ، يحدد أطرافه ، ويتمين بذلك وظيفه .

وذلك كأن تكون ماده الكلمة الاصلية مؤنثه من (مهم) فبنينا على وزن مدعى فتكون كلمة « هاهم » • أو من (ح ل س) فبنينا على وزن مفعول فتكون « مجلس » • وبذلك تكون كلمة « هاهم » أخذت من ماده (ه م) لمعنى العلم • ومن اقلب الذى صيغت فيه معنى لفاعلية وكذلك مجلس أخذت من جلس المعنى العام للجلوس ومن الصيغة التي وضعت فيها معنى المكانية (١) •

ومن الواضح أن معرفة ماده الكلمة وأصلها الاستدلال والصيغة التي صيغت بها لا تكفى غلبا لتحديد معناها تحديدا تاما دقيقا ، فإن كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الاصلية ، وببيت على أحد الاوزان الصرفية استعملت في مواضع من الكلام وخصصتها الاستعمال بمعان أحص من المعنى العام الذى تدل على مدنها ، وتعدد الاستعمال خلال العصور • وفي مختلف المناسبات ، وشتى البيئات — يتم أكثر من معنى ، ويجتمع لها أكثر من دلالة ، وللمسماة قيمة في تحديد المعانى وفهم الكلام • وأن هذه الاستعمالات التي تستعمل فيها الكلمات ، وهذه المعانى الخاصة المحدودة التي تلازمها في بعض العصور مدة طويلة أو قصيرة والسبب التي تعيش فيها هي التي تكون شخصية الكلمة أو ذاتيتها (٢) •

ومن الباحثين من يرى أن المعنى اللغوي هو الفكرة الواحدة البسيطة التي تثيرها الكلمة في ذهن السامع أو القارىء • • وكذلك العكس المركبة من مجموعة أفكار بسيطة • • ويقرر أن علماء الفلاسفة يفرقون بين المعنى أو الفكرة ، والصورة الادراكية أو المحرك الحسى • • والصورة المتحيلة • • لأن الصورة المدركة أو المدرك

(١) المصدر نفسه ص ١٨١ — ١٨٢ •

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٢ — ١٨٣ •

الحسي — مفيدة بلحالة آتى عليها في الواقع والتحقيقة كما تظهر للحواس ، والفكرة مجردة من هذه القيود . كذلك الصورة التخيلية تعد أقل من الفكرة عادة لأنها تصنع دائما الى أن تكون شبيهة بالأصل في خصائصه العامة لكن ينقصها الجو أو الحالة التي تلازم الفكرة ؛ وفي دراسة التعريف بين الفكرة التي تدل عليها الكلمة أو معنى الكلمة ومجرد الصورة التخيلية — يظهر أن الصورة التخيلية المثارة ليست إلا جزءا فقط من المعنى الذي يفهم في ذهن الفرد عندما يفكر في مدلول الكلمة أو الجملة (١) « فالصورة الذهنية المثارة .. ماهي إلا جزء صغير فقط مما يحدث عندما يفكر الإنسان في معنى أو جملة أو عندما تثير كلمة أو جملة معناها في الذهن ، فتتأرب المرء وخبراته الماضية التي ترتبط بكلمة أو جملة سمعها ليست مجرد سلسلة من المدركات الحسية تنحصر في ذهنه صوراً كما أدركها في الماضي ، وإنما تتأرب في ذهنه معارف لهذه الكلمة أو الجملة هي مزيج من كل ماله صلة بهما من تجاربه الماضية .. فكلمة « بابا » مثلا تعني الباطية الوجدانية التي تربط السامع بأبيه من سرور وسعادة الخ .. فالسرور أو الألم الذي نال السامع في حياته من مدلول الكلمة عامل حيوي في تحديد معنى الكلمة في ذهنه . ولكن ندر أن يظهر هذا الوجدان في الصورة الذهنية . ولعل هذا يوضح الفرق بين معنى الكلمة والصورة الذهنية آتى تثيرها الكلمة .. » (٢) .

أما في دراسة المعنى المعجمي والمعنى الذي في ذهن المتكلم أو السامع فإنا نجد للكلمة مدلولين أحدهما نفسي والثاني واقعي ، والنفسى هو الذي في ذهن المتكلم خيما يطق بالكلمة ؛ وهو معنى خاص بالمتكلم ، معنى شخصي ، معنى ذاتي محدد بما عنده من تجارب ومعرفة بالشيء وخصائصه وملابساته . « وهذا المعنى الخاص لا يمكن نقله بكل خصائصه وملابساته من ذهن المتكلم الى ذهن السامع ، لأنه يمثل جزءا من تجارب المتكلم وحياته ، وجزءا يختلف عما عند أي شخص آخر . والمعنى انفسى معنى ذاتي خاص

(١) د. عبد العزيز عبد المجيد : اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها — دار المعارف — الطبعة الأولى ١٩٥٢ — ص ٢٠ — ٢١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٣ .

مفيد بتجارب الفرد وحياته أما المعنى الواقعي فهو الشيء الخارج عن النفس ، وأخذ به خصائص تميزه عن غيره من الأشياء الواقعية .. وهذه الخصائص يشترك في إدراكها الجميع فهي موضوعية بالنسبة لمتكلم والسامع وليست ذاتية ، وهي مشاعة عند كل من يدركها » (١) +

ويرى بعض علماء النفس أن الكلمة تدل على المدلول الحقيقي الذاتي والمدلول الواقعي الموضوعي . « والمعنى النفسي — بالرغم من طابعه الفردي الخاص له مقابل في الخارج يتصل به هو المعنى الواقعي . فالمعنى الداخلي إذن يشير دائماً إلى مقابل خارجي في الحياة الواقعية . والمعنى الخارجي يحدد دائرة الكلمة المستعملة أو الجملة ويمتعا من تعدد هذه الدائرة ... ويعرف المعنى الخارجي بأنه المعنى المتفق عليه .. وهذا المعنى الخارجي هو الذي تشير إليه كلمات وعباراتنا في حياتنا العملية .. فالمعنى الخارجي محدد واضح المعالم غالباً عند المتكلمين إذا قورر بالمعنى الداخلي الذي يختلف من متكلم لآخر » (٢) .

وفي عناصر المعنى يميز بعض العلماء أربعة عناصر أساسية تكون معنى الكلمة . وهي المدلول عليه ، والشعور الوجداني ، والنغم ، والقصد .

والمدلول عليه هو هذا الشيء المقابل للكلمة في عالم الواقع .. وهو يقابل المعنى الخارجي أو المتفق عليه . أما الشعور الوجداني فيراد به شعور المتكلم نحو هذا الشيء الذي نتكلم به . والعصر الثالث هو عنصر النغم . وهو عنصر واضح في الحديث ، ولا يظهر في الكتابة ، وكثيراً ما كان هو كل شيء في المعنى ، وكان السبب في حسن لفهام أو سوءه .. والعصر الرابع هو القصد ، الذي يحدد أهميته عند بعض الناس الذين يلودور به ، وفي حالات تستدعي تدخله يوضح الفرق . ويميز الأمر (٣) .

(١) المصدر نفسه ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٠ — ٣١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣١ — ٣٣ .

ومن أهم الآراء في دراسة المعنى رأى أولمان Ullmann فقد استطاع أن يخلص إلى تحديد العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فقرر أن المعنى هو العلاقة بين اللفظ والمداول ، وهي علاقة تمكن كل واحد منهما استدعاء الآخر أى أن اسطق استدعى المداول كما أن المداول (أى الصورة الذهنية للشيء) يستدعى اللفظ فحين يفكر انسان فى مصدرة مثلا يطق الكلمة أى كلمة مصدرة ، وسماعه هذه الكلمة سوف يجعله يفكر فى المنصدة وهكذا (١) .

وقد رتب على ذلك أن الكلمات لفظ ومداول ومعنى ، وأن المعنى هو هذه العلاقة ، وقد اعتمد أولمان فى تقرير هذا كله على تلك المحاولة التى قام بها الاستاذان أو حدن وريتشاردز (٢) فى كتابهما معنى المعنى الذى طهر سنة ١٩٢٣ (٣) . وفى رأى حدين العالمين « أن هــث ثلاثة جوانب رئيسية تنظمها أية علاقة رمزية : الجانب الاول : الرمز نفسه symbol . وهو هـا أى فى دراسة اللغة — عبارة عن الكلمة المطبوعة المكونة من مجموعة معينة من الاصوات مثك « مصدرة » .

الجانب الثانى . هو المحتوى الذى يحصر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمة « منصدة » وهذا الجانب سماه أوحدن وريتشاردز بانفكرة thought أما الجانب الثالث فهو الشيء نفسه وهو « المنصدة » فى مثالنا هذا وقد يطلق عليه « المقصود » أو « الشيء المعنى » (٤) .

ونستطيع أن نقول بابهار ان أوحدن وريتشاردز يبرهن المعنى فى عصر ثلاثة أمور والفكرة والمقصود وهو علاقة ذهنية بين

(١) د. كمال بشر : دراسات فى علم اللغة — القسم الثانى من ٦٠ .
(٢) Charles K. Ogden And Ivor A. Richards ' Meaning of Meaning London. 1923 - Thirded New york. Harcourt, Brace. 1936

(٣) د. محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربى من ٢٢٠

(٤) د. كمال بشر ، دراسات فى علم اللغة : القسم الثالث

المقائيل والاحداث من ناحية وبين الرموز أو الكلمات من ناحية أخرى (١) .

وأيا كان الأمر فإن تفسير أوجدن وريينشاردز لمعنى يقوم على أساس ريبسى آلى (٢) . وقد أهم أولمان بالجانبين الأول والثانى ، أما الجانب الثالث وهو الشيء فإنه لم يدخل فى حسبانته ، وأبعد عن الدراسة نهائيا ، لأن طالب اللغة إنما يهتم الكلمات لا الأشياء (٣) . ويلاحظ أن أولمان قد احتار اللفظ بدلا من الرمز ، والمداول بدلا من الفكرة أو الصورة الذهنية ، وجعل فى مقدورهم بعد استبعاد الشيء أن يعرف المعنى بأنه العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمداول ، تلك العلاقة التى تمكن أحدهما من استدعاء الآخر (٤) .

وأذا تسألنا عن العلاقة بين الفكرة والمقصود فإن الجواب يقول أنها « تقع فى مجال علم النفس ، ولايعنى ذلك أن اللغة لم يبق لها دور هام تلعبه فى تكوين محتويات عقلية ، وخصوصا من التجريدات » (٥) .

وتبقى العلاقة بين الرمز والمقصود وهى عند بعض الباحثين اعتبارية منسوبة (٦) .

ومن أهم الآراء أيضا فى المعنى رأى بلومفيلد Bloomfield (١٨٨٧ — ١٩٤٩) وهو من أشهر اللغويين ويعد خير ممثل للاتجاه

- (١) د. تيم حسنان : مباحث البحث فى اللغة ص ٢٥٣ .
 (٢) د. محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقرء العربى ص ٣٢٠ .
 — وانظر حسنان مباحث البحث فى اللغة ص ٢٤٢ — ٢٤٧ .
 (٣) د. كمال بشر : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ص ١٥٩ .
 (٤) راجع التطبيق على رأى أولمان فى المصدر السابق ص ١٦٨ — ١٧٠ .
 (٥) د. تيم حسنان : مباحث البحث فى اللغة ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .
 (٦) نفس المصدر ص ٢٤٩ .

السلوكي في الدراسات اللغوية بمنهجه لدى بعض أن ينعت به بالمنهج الميكانيكي • Mechanistic approach (١)
وهو مؤلف كتاب اللغة أدنى يعتز به الأمريكيون عمدة لهم •

واسهج السلوكي يرى : أن السلوك الانساني يوصف أكمل وصف وأدق من ضربى اعتبار الظواهر الفسيولوجية وغيرها من الظواهر المادية التي تصيب سلوك الافرد ، ولايتأتى عنده دراسة الظواهر الاساسية دراسة علمية الا بهذا الطريق ، ولما كانت اللغة ظاهراً انسانياً فيصدق على دراستها ما يصدق على دراسة سائر انظواهر الاسانسة • (٢)

وبومبيد يدخل في اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام ويعتبرها عسراً لازماً لادراك معنى الكلام هو يرى أن معنى الكلمة يعرف عن طريق أحداث عملية • أى فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها فمعنى الخوج مثلاً في قولى أما جائع يعرف بالتقلص العضلى وما يحدث في المعدة من امرات وما قد يصحب ذلك من عطش (٣) • الخ •

ويرى أيضاً : أن الافكار والتصورات كذلك ينبغى أن يعاد وضعها بالفاظ فيزيقية • وحتى الحب والكراهة وما اليهما ينبغى وضعهما بمثل هذه الطريق • • (٤)

وهو لاينجاهل شخصية المتكلم وشخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام ، فلا بد في تعريف المعنى عنده من مراعاة المتكلم دائماً وكذلك موقف السامع ان كان ذلك يضيف شيئاً جديداً الى الهدف الذى يرمى اليه ، ولذلك يحده يقرر أن معنى الصيغة

(١) د. محمود السمران علم اللغة من ٢٢١ و د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة القسم انقضى من ١٦٢ -
(٢) د. محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقرىء العربى من ٢٢٢
(٣) المصدر نفسه -
(٤) المصدر نفسه •

اللغوية عبارة عن الموقف الذي ينطق به المتكلم تلك الصيغة والاستجابة التي تستدعيها في نفس السامع (١) ونجده يجعل الكلام بديلا من استجابته عضويه لثير معين (٢) .

وجماع الامر أن هناك ثلاثة أشياء لها اعتبارها عنده وهي :

- ١ — الاحداث المعصية المسبقة على الحدث الكلامي .
- ٢ — الكلام .
- ٣ — الاحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي .

وهذا يؤكد أن المعنى اللغوي عنده يتكون من أشياء مهمة يرتبط بها الكلام ، وهذه الأشياء هي مجموع الحوادث السابقة للكلام والتسبب له . ومعنى هذا توجيه اهتمام خاص الى عنصرى الاثارة ورد الفعل أو الاستجابة (٣) .

ويقول الدكتور محمود السحراى (٤) : « ومن طلبة اللغة يعزفنا على وجه الخصوص الحدث الكلامي الذي يبدو حين الشأن في ذاته ، وبكته وسيلة لغيات كبيرة . ونحن نميز اللغة وهي موضوع دراستنا من الاحداث الواقعية أو العملية هذه الاحداث التي ندعوها بالثيرات ورود الافعال » .

ولا ريب في أن منهج بلوغفيل قد تبه اللغويين الى ضرورة ربط المعنى بمجالات غير الكلام ، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة ، وان كان تفسيره للمعنى تفسير ميكانيكي اد أنه يحلل سلوك الانسان وفقا لنظريات المدرسة الميكانيكية في علم النفس (٥) .

-
- (١) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ص ١٦٥ .
 - (٢) د. تاهم حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٢٤٣ .
 - (٣) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ١٦٦ — ١٦٨ .
 - (٤) علم اللغة ص ٣٣٥ — ٣٣٦ وقارن بالمصدر السابق ص ١٦٨ ومناهج البحث في اللغة ص ٤٧ .
 - (٥) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة : القسم الثاني ص ١٧٠ — ١٧١ .

ولا يمكن في دراسة المعنى أن يهمل رأي ميرث Firth لانه مؤسس المدرسة الانجليزية الحديثة في الدرس اللغوي ، وله منزلته في البحث . والمعنى اللغوي عنده يختلف تعلم الاختلاف عن المعنى بالمفهوم الذي خضره كل من أولسان وبلومفيلد وغيرهما . ان المعنى عند الاستد غيرت كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، وأهم عناصر هذا الكل هي وظائف الصيغة — الوظيفة الصوتية ، ثم المورفولوجية والنحوية والصرفية والوظيفية الدلالية لـ « سياق أفعال » .

ولكن وظيفة من هذه الوظائف سهجها الذي يراعى عند دراستها (١) . وميرث يوجهنا الى تحليلات عملية ويقصد أن نتجه المستويات المختلفة الى شرح الحقائق اللغوية . وكل فروع علم اللغة بما توجه لدراسة المعنى وتختص بالنظر فيه ، ولكن التحليلات اللغوية كلها ليس المعنى . ولا هي دراسة المعنى فلا بد للوصول الى المعنى من اربط بين النتائج التي توصل اليها التحليلات جميعا ربطا يدخل في اعتباره سائر عناصر سياق الحال (٢) . ولا بد من مراعاة أن الوظائف اللغوية تقتضي مراحل وخطوات ، كما توجه مراعاة الاسس الرئيسية الثلاثة وهي :

أولا : وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسميه ميرث بالمقام مع ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر أو ظروف وملابسات وقت الكلام الفعلي .

ثانيا : وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس .

ثالثا : النظر الى الكلام اللغوي على أنه مكون من أحداث . وعده الأحداث معقدة مركبة ، ليس من السهل دراستها وتحليلها دفعة واحدة ، بل يجب تشقيقتها والنظر اليها على مراحل .

(١) د. محمود السعمران : علم اللغة من ٢٤٠ وقرار بنهاج البحث في اللغة من ٢٦٦ .
(٢) د. محمود السعمران : علم اللغة من ٢٤٠ .

ثم توجب بعد ذلك النظر الى الشخص المتكلم في الموقف الحاصل بوصفه كلاً بدون تفريق بين جسمه وعقله (١) .

وحسبنا هذه الآراء التي تمش أهم المناهج في دراسة المعنى أما الرافعي فهو يؤكد أن أسفة عمل نفسي محض (٢) . ويبدو أنه يظن أنه لاصومية في تحديد المعنى لأن هناك قبل بطق الكلمات عملية تحدث في نفس المتكلم ، تلك هي ما يسمونها بالفكر ، الإدراك ، الصورة الذهنية ، الشعور ، الرغبة . أو نحو ذلك . كما يظن أن السامع أيضا عندما يستمع لموجات الصوتية المبعثة من المتكلم يتعرض لعملية عملية معادلة أو متبادلة مع تلك التي تعرض لها المتكلم . واللغة عنده بناء على ذلك وسيلة التعبير عن الأفكار والشعور والرغبات .

لقد نما إرأفعي منحى نفسيا صرفا ، يجعلها عملا نفسيا محضاً ، ومن ثم نجده يستخدم الفاظا يستخدمها علماء النفس ، وهي بعلم النفس أولى منها بعلم اللغة مثل الصورة النفسية ، والشعور الطبيعي ، وشعور النفس ، والحياة الروحية العالية ، والمعنى النفسية والاحساس ، وإعاطفة . ولطف الحواس النفسية ، وأحاسيس الخطرات . (٣) .

ونجده مؤمنا أشد الإيمان بأن الاحساس اما هو البعثة النفسية الكاملة (٤) ، ، والكلمة في الحقيقة الوصية إنما هي صوت النفس لأنها تلجس قطعة من المعنى فتختص به على وجه من المناسبة قد لحظته النفس فيها من أصل أو وضع حين فصلت الكلمة على هذا التركيب . وصوت انفس أول الاصوات الثلاثة التي لأبد منها في تركيب النمسق البليغ حتى يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الالفاظ ومعانيها ، وبين هذه المعنى ومورها النسبة فيجري

(١) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة : القسم الثاني ص ١٧٥

(٢) الرافعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٤) الرافعي : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : الطبعة الثانية

في النفس مجرى الإرادة ويذهب مذهب العاطفة . وينزل منزلة
اعلم إبعث على كنهها . فان البين لا يؤلف أصواتا لرياضة الصدر
بها . وصلاية الخلق عينا . وبكتها صورة نفسية في الطبيعة ، وصور
طبيعة في النفس ، غادا لم يكن حيا ناطقا يمح بعصه معضا ، وم
بكن بتركيبه وظيفه نظمه كأنما يحفل من معده للنفس مادة الإرادة
أو الفكر لم يجد شيئا ، وانقطع به عرصه . واستهلكه انصراف
النفس عنه ، وصرب معدية كأن ليس بها أصول فيها . وكأنها مادة
جوده أو روح مادة ميتة بل هو ربما سئل الى منزلة الإشارة التي
هي اشارة الأولى مذ كان الانصار يتكلم بحواسه . والنبي هي أضعف
الكلام وأخفاه وأثدده استبسا في مذهب المعاني النفسية . . أما
الاصوات الثلاثة استى أوامنا اليه فهي .

١ — صوت النفس ، وهو الصوت الموسيقى الذي يكون من
تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها . ومواقع ذلك من تركيب
الكلام ونظمه على طريقة منساقه ، وعلى بعد متساو بحيث تكون
الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله الى النفس ان وثق بعدها هذا
المعنى قطع به .

٢ — صوت العقل ، وهو الصوت المعنوي الذي يكون من
لطائف التركيب في جملة الكلام . ومن انوجوه اليازية اننى يداور
به المعنى حتى لا يخطئ ، طريق النفس من أى الجهات انتهى اليها .

٣ — صوت الحس ، وهو أبلعين شأنا لا يكون الا من دقة
انتصور المعنوي ، والابداع في تلوين الخصب . ومجذبة النفس
مره ، وموادعتها مره . واستيلائه على محصه مما يورد عليها من
وجوه البيان أو يسوق اليها من طرائف المعنى . . (١) »

أما الجملة فهي « مظهر الكلام وهي الصورة النفسية للتأليف
الطبيعي اد بحيل بها اللسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة الى
معان يصورها في نفسه . أو تصفها حتى ترى النفس هذه المادة
أصورة وتحصها على حين تد لا يراها انتكلم اندى أهدفها لكلامه
غرضاً ولكنه بالكلام كأنه يراها . . (٢) »

(١) المصدر السابق ص ٢٢٩ — ٢٣١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٨ .

وكل ما ذكرناه يبرر اعتصم الرافعي بنظرية المناسبة ، وقد تمسك بها في النظام السابق ، وجعلها تسيطر وتوجه ، ونفعل كل ما يثبت وجهها . وهو هنا في نظام المعنى بالالفاظ يحرص على أن يؤكد سيطرتها ، ويثبت تمسكها الشامل ، ووجودها النوى .

ويمتدح أن نقرر أن جعله اللغة نظاما نفسيا محصا يفيد صقبا ، وإيمانه القوى بتكامل المس والامة في تصور أجزاء المعنى وتصويرها برهان واضح على تثبته بها ، وذهابه الى أن هذا النظام بفصل أجزاء الموجودات على درجات شعور أنفس بدوات هذه الأجزاء أو بصفاتهما — لا يقر الا سبيل المناسبة ، ولا يخفض الا لـ تفرضه أو تشيـ إليه . وأرجل يعلن إيمانه واعتصمه موضح شديد عدمه يقول (١) « ثم أنت اذ تدبرت هذا النوع رأيته انبها روحيا صرف بيد أنه ممثل بالالفاظ ، ورأيت فيما ترى كأن لنفس العربي طيفا يحرك اللغة حتى يأنفاس الخطرات ، ويكشف لها كل عاطفة دقيقة . ولو اختلعت في أشعة من المنظرات » .

وفي مجلد آخر يزيد موقفه وصوحا فيقول (٢) « وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته هو مسبب في توزيع الصوت بما يخرج فيه مدا أو غنة أو ليلا أو شدة ، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتبعه على تقدير تناسب ما في النفس من أصولها » .

إن اللغة عنده صورة من لروح تمتزج بالشفعية حتى لتجس أن ألفاظ كل انسان ملاي معليه هو ، ومثقلة بخواجه ، وهي تكشف الاتصال الوثيق بالعاطفة ، وتلك نظرة أدبية مفعمة بمشابة متميرة ، واعتزاز شديد بدور الالفاظ ..

وفي رأيه « أن المعنى الواحد يعبر عنه بالفاظ لايجزىء واحد منها في موضعه عن الآخر ن أريد به شرط الفصاحة ، لأن لكل لفظ صوتا وبما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو

(١) الرافعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٠ .
(٢) الرافعي : أمجاز القرآن والطلاعة النبوية ص ٢٢٤ .

فيه وادى تساق له الجملة ، وربما اختلف وكان غيره بذلك
أنتبه •• « (١) »

وفي رأيه أيضا أن « البذات وإن اختلفت في اللص والاستعمال
إلا أنها تتفق في المعنى الذي من أجله صار العرب جميعا يحشعون
للمصاحبة من أى قبيل جاءتهم وهذا يسمى هو مصاحبة اشتراك في
أحرف الكلمة الواحدة ثم ملاءمتها للكلمة التي بارأها . ثم اتساق
الكلام كله على هذا الوجه حتى يكون كالنغم الذي يصب في الأذن
صبا شجري أضعه في النغم مجرى أفواه لأن جمته مفرغة على
تناسب واحد « (٢) » وادى يههما هو الضمات اللغوية ومومها
مما خاله . ومن الضروري أن يبحث عن هذه الضمات في اللغة نفسها
وعن طريقها . وأن ينأى عن المائنة والمغو •

وبذا كان الراقعي يدعونا إلى فهم اللغة على المصح السذي
اضمان اليه مصح يرى أن الفرق كبير بين ما صنعه وما صممه أولما •
فالأخير قد بسط المصح المنطاسي الذي ارضاه الاستاذان أوحص
ورببته ردر كما أثريا . وقرب إلى فهمها مشكلة المص ، ومكتبا إلى
حد كبير من ابوقوف على عصر الموضوع ، كما حدد مصطلحاته .
وبين أساس دراسته . ولم يصل إلى المستوى الذي وصل اليه
الراقعي في القطع برأيه ورعص ماسواه •

وعلى الرغم من أن الاديب لناحت لم يعبر مذهبه ، ولحا إلى
العموم إلا أنها تستطيع أن نقول أنه لاينظر إلى الالفاظ على أنها
مجرد رموز ، فقد ارتبطت بنفسه ارتباطا وثيقا ، وأصبح من الصعب
أن يتصور أى نوع من التمييز بعير هذه الالفاظ ، ويؤكد ذلك أنه
يرى حركة النفس هي المعاني القائمة بالفكر (٣) •

وهو لا يؤمن بأن الالفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة
الرموز على الدلالات ، وكل لفظ يصلح أن يتخذ لتعبير عن أى معنى

(١) الراقعي : اعجاز القرآن والبلغة السوية ص ٢٣٦ •

(٢) المصدر نفسه ص ٥٤ — ٥٥ •

(٣) الراقعي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٥٥ •

من المعنى .. وبما على ذلك يمكن أن نقرر أنه ينظر الى اللفظ
التي اكتسبت مع الزمن صفة ليست في غيرها من الرموز الاصطلاحية ،
وأصبح يؤمن بأن الاسم واجب للمعنى . ونحن نرى « أن لكل كلمة
من الكلمات مضمونا منطقيا ومضمونا أو ارتباطا نفسيا . والمضمون
المنطقي وهو المعنى الذي ينص عليه القاموس في الاغلب يكون
الاشترك في فهمه واحدا أو شديد التقارب ، ولكن المضمون أو
الارتباط النفسى يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا ، ولا يمنع
هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللمعة في قائمة كبيرة من
أحياءاته ، ومما يرتبط به من ظلال المعاني . ونحن لانستعمل الكلمة
بمعناها المنطقي مفصلا عن مضمونها النفسى ، ولا بهذا مفصلا
عن ذلك . ان الكلمة عندما تصدر عدا أو عندما تصل الى أسماعنا
تتضمن هذا وذلك » (١) .

واذا كان اللفظي يقصد في عملية تسمى درجات المعاني وتفصيل
أجزاء الموجودات على درجات شعور النفس بدوات هذه الأجزاء
أو بصفتها — أن يتم التطابق انتماء في جملة التجارب وتفصيلات
الحياة — فمن هذا أمر مستحيل ، فالتكوين النفسى يختلف ، وفهم
هذا للكلمة ستلونه أحياءات وظلال من لمعاني غير الأحياءات وظلال
المعاني التي تلون فهم الثانى لنفس الكلمة . كما أن الاستجابة عند
سماع نفس الكلمة لاتتأى بالتطابق .

ولاندري ما موقف النظم اندى يعين أو يفصل من الخلاغات
القردية والارتباطات المختلفة ، وبعض هذه الارتباطات يظل شديد
الخصوصية ونحن لانستطيع أن نخلص كلامنا من كل ارتباط نفسى ،
وإذا حاولنا ذلك فإنا لانجح كل النجاح . ان الرموز الرياضضية
أجرده مثلا يظل لها أيقاع صوتى ، ويثير هذا الأيقاع احساسات
فى نفس هذا ، ويثير غيرها فى نفس ذلك . وقد يثير ذلك الأيقاع
احساسات مختلفة باختلاف السامعين أو القائلين وهكذا (٢) .

(١) د. محمود السمرالى : علم اللغة مقدمة للدارى العربى
ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

إن المعنى عند الأديب الباحث في صورته لنفسه تنطق
أجزاءه حتى يقوم كل جزء منها في البيان اللغوي مقام الكل الذي هو
مادة الشعور الطبيعي والالفاظ كما فكروا تسوس المعاني وتترلها
في منازلها وتضعها على أقدارها وفي اللغة حياة بالغة • وهذا يدل
دلالة واضحة على التأثير بما توحى به نزعة الأدبية وحياته الخصب •
ومن المعلوم أن الكلام « ليس مجرد اصدار أعضاء من الجسم
الانسانى لاصوات معينة • أن هذه الاصوات توجه الى أذن ،
والسامع تقوم في ذهنه عمليات عقلية متعددة حتى تتحول الاصوات
الى دلالات •

والمتكلم نفسه قبل أن يشرع في الكلام وأثناء الكلام وبعده
أحياناً أن كان ينتظر اجابة مثلاً — تقوم في نفسه سلسلة من العمليات
العقلية أو النفسية • ففهم الكلمات وبعض ما يتعلق بها من حيث
تكوينها وسماعها مرتبط بسلسلة من العمليات العقلية • ومن هذا،
ومن كثير غير هذا كان ارتباط علم اللغة بعلم النفس ، أن علم
اللغة يستمين بحقائق توصل اليها علم النفس العام ، كما أنه يستمين
بحقائق توصلت اليها علوم ودراسات آخر — ولكن ليس معنى هذا
أنه يتخذ مناهج علم النفس ووسائل مناهج له ووسائل • كما أنه
لايتخذ مناهج علم آخر ووسائله « (١) •

ويعتبر يرى أن أصل اللغة من الناحية النفسية يتلخص في خلق
قيمة للرموز ، وهذا ما يفرق بين لغة الانسان ولغة الحيوان • ويؤكد
أننا إذا بحثنا عن التحقيق التام للغة في فرد فسوف لانجده ، وكثير
هؤلاء الذين يتكلمون الفرنسية ، ولكن ليس هناك متكلم واحد
مالفرنسية يستطيع أن يؤدي وظيفة القاعدة والمثال للأخرين فاللغة
الفرنسية لاتوجد في اللغة التي يتكلمها أى كائن انساني بمفرده •
ويمكن أن يقال باختصار أن اللغة شكل لغوي مثالي • يفرض على
الافراد في الجماعة الواحدة • وأعم تعريف للغة هو أنها نظام
من العلامات •• ويعتمد بالعلامات هذه الرموز التي تستخدم في
خلق اتصال بين شخص وآخر « (٢) •

(١) المصدر نفسه ص ٧٦ — ٧٧ •

(٢) د. تمام حسني : مناهج البحث في اللغة ص ٥٠ — ٥١ •

وعند مندریس أن « العری لاساسی بین اسعه المعطمة واللغة العقلية اما بتوضیح فی ترکیب الجملة بهذا الفرق یدر جذا حیث نقارن لغة اکتانة بلغة اکتلام » (١) ، واما یکون الفرق فی ترکیب الجملة فی نظره فی اختیار المفردات ، وفی طريقة ترتیب الکلمات فی الجملة (٢) .

أما والتر ف — غارثبورج Walter V. Wartburg
الاستاذ بجامعة یال بسویبرا ، فیفر فی موضوع العلاقة بین الكلمة واصورة أن کل مجموعة معیة من الاصوات بقابلها حالة وعی أو ادراک خاصة . متندا تسمع الكلمة تنبعث الصورة حالا فی العقل وعی العکس من هذا اذا ابعتت الصورة فی العن فانها تثر اکتمة ولو لم تطفها أعضاء النطق . وهكذا فیه یرتبط کل مجموعة من الاصوات ، عند النطق بها ، وعند السامع ایهة جمیعا ، تصور عوی . ولكن اللغة قائمة فی کل انسان عی أنها استعداد . وهذا الاستعداد دو وجهین : استعداد للتعبیر عن النفس بطريقة مفهومة ، واستعداد لفهم ما يحدث عن اسماع وهكذا . فاللغة لا یظهر منها الا جوانب ، شئی لا یتکسب وجودا حقیقیا مجسما بصورة فیزیقیة ، الا عن طریق الکلام . أي أنه فی کل کلام نطقه أو سمعه لا یرجع الی مرتبة الواقع المأموس الا جزء ضئیل مقط من ذلك کل الذي یكون حقا قدرة للفرد علی الکلام (٣) .

واللغة من حیث حقیقتها « تتصل کم قال والتر غارثبورج بالعناصر = المکونات الاساسية الاربعة للانسان ألا وهی : المیدان الفیزیکی والمیدان العنوی . والمیدان النفسی والمیدان الروحی . واللغة من حیث وظیفتها تحمل هذه الاربعة جمیعا عی أن شعلون فیما بیهاتعود فعلا . وهذه الصفة المعقدة التي تتصف بها أظواهر المعویة تجعل

(١) نفسه ص ٥١ وانظر د. محمود السعراي علم اللغة ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

(٢) د. تلم حسن : مناهج البحث فی اللغة ص ٥١ .

(٣) د. محمود السعراي : علم اللغة مقدمة للقرایء العربی هاشم ص ٧٦ — ٧٧ .

التحديد الدقيق للطواهر التي يشتعل بها علم اللغة أمرا بالغ الصعوبة » (١) .

وبعض الباحثين يقرر أن اللغة حانيا اجتماعيا وآخر نفسيا ، ولذلك يستعان في دراستها بعلم الاجتماع لأن اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الطواهر الاجتماعية ، كما يستعان في دراستها بعلم النفس منه بدرسها على أنها حادثة نفسية (٢) .

ويقرر بعض الدارسين أن اللغة « أداة مركبة معقدة فهي ذات خواص كثيرة ، وتتألف من عناصر متعددة ، وتأخذ خلال الزمن أشكالا مختلفة تتنوع وتتعدد بتعدد البيئات والمجتمعات والبطاقات . فهي تتألف من حوادث صوتية يبحثها علم الفيزيولوجيا ، وعلم الفيزياء ، ونفسية يبحثها علم النفس ، واجتماعية يبحثها علم الاجتماع ، وتاريخية يسردها علم التاريخ ويسجلها ، وجغرافية فيبحث علم الجغرافيا اللغوي في توزيعها في القارات والمناطق والاقليم . وهي كذلك تتألف من عناصر هي الاصوات والالفاظ المفردة باعتبار مادتها وصيغتها ومعناها والتراكيب . وهذه العناصر جميعها كثيرا ما تتبدل وتتطور خلال الزمن ، وكثيرا ما تتغير بتغير الاقاليم والمهن والطبقات » (٣) .

ويؤكد بعض الباحثين المتخصصين أن دراسة اللغة على أساس من علم النفس دراسة قاصرة غير سليمة ، ودراسة على أساس رياضي أو آلي يؤدي الى النتائج المرجوة . ولكن لابد من فلسفة عامة تقوم عليها دراسة اللغة ، ويقصد بالفلسفة هنا مجموعة من المبادئ أو الاصول أو الاسس مستمدة من موضوع الدراسة وهو اسفة . ولابد من تحديد أكثر من مستوى للدراسة (٤) .

وبرى دى سوسير أنه : « تشتمل دراسة اللغة على ناحيتين احدهما جوهرية موضوعها اللغة المعينة التي هي اجتماعية في جوهرها ومستقلة عن الفرد وهذه الناحية نفسية فحسب . أما

(١) نفس المصدر ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) محمد المبارك : منه اللغة وخصائص العربية ص ١٩ .

(٣) محمد المبارك : منه اللغة وخصائص العربية ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) د. محمود السمران : علم اللغة ص ٨١ - ٨٢ .

الأخرى فتتاول أدوار الفردى للغة باعتبارها موضوعا لها ، أو بعبارة أخرى الكلام المكون من أصوات وهذه نفسية وعصوية مع » (١) .

ويقرر دى سوسير أن اللغة المعينة مسجومة في تجانسا ، فهي نظام من العلامات التي ترتبط بمعانيها ارتباطا اعتباطيا ، وتعتبر هي ومعانيها على التسوي وعن مدركات نفسية (٢) .

واللغة المعينة في نظره حرة من الوعي الجمعي أو العقلي الجمعي ، وهذا العقل الجمعي إنما يوصف به الكائن الاجتماعي الذي قال به دوركايم وهذا الكائن الاجتماعي هو مخصص للمجتمع . . . فهي إذا نظام جرامايطيقي يوجد تقريبا في جميع العقول . . . وذلك لأن اللغة المعينة لا يمكن أن تكون كاملة في ذهن أي فرد بعينه بل لا تكتمل إلا في الوعي العام .

ويرى دى سوسير أن هذا الوعي الجمعي ربما كان له وجود نفسي . . . وهو بذلك قد بانح في إعطاء اللغة كل هذه الصفة اذهنية يجعلها نتيجة الحكمة الجمعية ، وحرمان اللغة من عنصرها الفردى ، وأشي بمايتشافي مع فكرة اعتبار متكلم بلهجة ما لبتحد موضوعا لدراسة هذه اللهجة (٣) .

أما جيسبرسن فيرى أن اللغة في جوهرها نشاط انساني ومجهود فردى للشخص الذي يفهم بها أو يتصل بشخص آخر على الأقل . . . ويقرر أن النظر إلى اللغة باعتبارها العقلي أي كوسيلة من وسائل الاتصال ونقل الأفكار لا يجعلنا أبدا ندنو من الفهم انشام لطبيعتها (٤) . وبين الدكتور صمود السمراني « أن لنظرية الكلاسيكية في اللغة تقوم على أساس منطقي أو رياضي أو نفسي أو آلي يؤدي إلى اعتبار اللغة مرآة ينعكس عليها الفكر أو أدبه

(١) د. تامل حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٤ .

(٣) د. تامل حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ .

(٤) نفسه ص ٤٩ .

عاكسه للفكر أو مستودعا للفكر المعكس أو وسبه لتخصيم الفكر أو التعبير عنه أى أشباه هذا . أى أن وظيفة اللغة عند أصحاب هذه النظرية هى الفهم أو توصيل الفكر أو التعبير عن الفكر ، ولكن هذه النظرية لاتمكن من تحليل جميع أشكال السوك الكلامي . فليس ثمة توصيل للفكر فى أنواع كثيرة من الوظائف الكلامية « (١) » وما قاله هذا البحث صحيح ، أمأ قول جيفونز وهو عالم أنجيزى فى المخطو والاققتصاد من أن اللغة نخدم ثلاثة أغراض لأنها عنده وسيلة للتوصيل ، ومساعد ميكانيكى للتفكير . ووسيلة للتسجيل فيمكن الرد عليه بما قاله الدكتور محمود السمران (٢) .

والنظر الى اللغة على أنها وظيفة اجتماعية هو الادق والاصح . لان الاهداف ، فكرة الثلاثة شطبي على المفكرين محسب . وعندهم فى أعماق حالاتهم ، دراسية فقط (٣) . ويمال أن عميقى المفكرين شكوا من اللغة التقليدية قد عومتهم أحيانا عن العوض على الأفكار فهي بمفرداتها وصفتها الثابتة ترغم المفكر على أن يسير على السبل المألوفة ، وأن يفكر كما فكر الآخرون من قبل (٤) .

وهذا من يرى أن تقدير اللغويين لوظيفة اللغة الاجتماعية لانعازمى وما ذهب اليه المناطقة القدماء منهم والمحدثون من أن اللغة فى مجالها الاجتماعى تخدم ، لاعراض الثلاثة التى حددها جيمور . ويعبر أن الفيلسوف برتراندرسل يقول . ان اللغة وظيفتين جوهرين هما التعبير والتوصيل . وأذا كان جيجرس يدفع هذا الرأى ويذهب به وسط مؤمنا بأن اللغة وظيفة اجتماعية فإن هؤلاء

(١) د. محمود السمران : علم اللغة ص ٨٤ - ٨٥ وانظر لبعض المؤلف اللغة والمجتمع ص ٤ - ٥ .

(٢) وانظر اللغة والمجتمع للدكتور السمران هليش ص ٥ - ٦ وانظر ص ١٠ وانظر د. كمال بشر : نصبا لوعية دار الطباعة القومية ١٩٦٢ ص ١٧ - ١٨ .

(٣) د. تمام حسنى . مناهج البحث فى اللغة ص ٤٢ واللغة والمجتمع للدكتور محمود السمران ص ١٠ وتاليا لغويته للدكتور كمال بشر ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) د. تمام حسنى : مناهج البحث فى اللغة ص ٤٢ .

لا ينكرون الجانب الاجتماعي والسلوكي في حياة اللغة سواء أكانت لغة طفل يعبر بها عن رغباته وحاجاته أم لغة عالم أو فيلسوف ارتقت معه لغته فأصبحت تؤدي دورا آخر بالانضمام إلى دورها الاجتماعي (١) .

ولا يتسع المجال لتناول النظرية الكلاسيكية بتفصيل أكثر ونقد أوسع وأشمل وصحبنا ذلك .

ونمضي في طريقنا لنوضح أهم الآراء في اللغة فتقول : يقول هارولد باير : « أن هذا الشيء المركب غير المتجانس الذي نسميه للغة يشتمل في الحقيقة على ناحيتين : أولا حاصل جمع أصوال انشطار الذهنى واعصوى الذى يقوم به شخص حين ينقل لشخص آخر . . ادراكا ما (فكرة أو رأيا أو عاطفة) . وهذا هو الكلام . ثانيا : حاصل جمع أوصاع متعارف عليها منظمة ومقبولة من الجماعة الاجتماعية التى تستعمل اتاحة الاولى لتتضمن الوضوح المتبادل بين أفراد هذه الجماعة وهذه هى اللغة . فالناحية الاولى طائفة من النشاطات الشخصية ، والثانية طائفة من أوضاع التعارف . . ونظرية الكلام من دراسة علم النفس وتطبيقه من عمل المدكلم ، ونظرية اللغة من دراسة علم اللغة . ونطبق اللغة يقوم به هؤلاء الذين يعملون ويترسون كودها بأنفسهم . وكلما نجحنا في نقل مدركاتنا فنحن مطبق الكلام وكلما حللنا طريقة تعبيرية سجاح أو شرحها أو كوننا جملة أجنبية بالطريقة التركيبية الخالصة فنحن نطسق اللغة » (٢) .

أما سامير غبرى أن اللغة طريقة انسانية غير عوزية لنقل الافكار والمواظف والرغبات بواسطة مظام من الرموز التى تستعمل بحسب الارادة (٣) .

(١) د. السيد احمد خليل : اللغة بين الادب والتشريع ص ٢٣ — ٢٤

(٢) د. تمام حسان : مباحث البحث في اللغة ص ٤٤ — ٤٥ .

(٣) د. محمود السمرالى : علم اللغة ص ٥٩ هـ : تمام حسان : مباحث البحث في اللغة ص ٥٥ .

« وجوهر اللغة يتلخص في أنها تخصص رموزاً حوتية للعتامر المختلفة لتجارب . وهذه الرموز يجب أن تكون مفهومة بحسب التعارف لا بحسب الطبع ، ولا المنطق . أى أن العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها علامة اعتباطية غير مسببة » (١) .

ونجده بنوميلد الى توضيح الصفاتى الكلامية في ذلك انفسهم للنفس الاسسية . وهو مع ذلك يحذر البلاط من الاعتماد على نظرية من نظريات علم النفس (٢) .

ومن علماء من يعتبر أن للنفس نظاماً مختلف عن نظام المادة المعنوسة المحسوسة في كنهه ، ويمت الى عالم آخر غير عالم المادة الماثونة لنا . فهو غير خاضع للتجربة . والملاحظة بواسطة الحواس . ولاشك أن كل مقدمات في هذا النظام نفسى تؤدي حتما الى نتائج معينة . فليست تسبح النفوس على غير هدى أو دون نظام وان كنا لانزال نحده . ولاشك على أسرارها . ملو أنا نعرف تفاصيل هذا النظام النفسى لا يمكن استئذ بدتحة الكلام في كل مرة متم منها الفظن بفلك الاصوات اللغوية (٣) .

ومن العلماء من يرى أن انضمام الاسسى حمار شديد التعقيد ، ويوجه الى أن أصحاب علم النفس يكتفون بسوع من التجربة الخارجية حين شق عليهم ملاحظة ما يجرى في داخل الجهاز الانساسى ، وقبعوا بملاحظة الأثر التى تترتب على تلك العمليات الداخلية لعالمهم يهتدون الى شىء من أسرارهم وفعيده . وقد أدى ذلك الى اكتشافهم بأن يقال أن الناس في مجموعهم يتصرفون تصرفاً معيناً حين يسمعون جملة معينة دون تخصيص مرد معين مثل هذا الحكم . ان النسيابة توجه الى اعطام الاعمال الذى ينتظم كل الافراد ، والذى جرت به اسعادة في بيئة لغوية معينة (٤) .

(١) د . تمام حصار : منابع البحث في اللغة من ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ — وانظر من ٤٥ — ٤٩ .

(٣) د . ابراهيم تيس : دلالة الالفاظ ص ٥٧ .

(٤) نفس المصدر من ٥٨ — ٦١ .

وص الباحثين من لاحظ أن الظواهر اللغوية تعتمد في أدائها على ظواهر نفسية ، وتأثرها بها لا يقل عن ارتباطها بالظواهر الاجتماعية . فالحدث اللغوي أو العبارة يستدعي أموراً منها الباعث على التعبير والتفكير فيه وتكوين الفكرة وإيضاحها أو غموضها ، وارتباط هذه الأشياء بمثل الإنسان وجدانه ، وتذكره ووجدانه ، وغير ذلك من الظواهر النفسية . هذا الارتباط يظهر أثره في تغير اللفاظ ورتبي العبارة أو انحطاطها ، ومطابقتها للمعنى أو انحرافها عنه . كذلك تعاوت السامعين في فهم العبارات تبعاً لتفاوت مداركهم قوة وضعفاً ، هذه الملاحظات وأشباهها دفعت العلماء إلى بحث العلاقة بين الظواهر النوعية والظواهر النفسية ، وكان من نتيجة هذه البحوث علم النفس النموسي (١) .

وشتى الآراء التي ذكرناها لم تذهب إلى المستوى الذي ذهب إليه الراغب في اعتبار اللغة عملاً نفسياً محضاً ، وفيما ذكره في التمين والتفصيل ، وتكافؤ النفس واللغة ولا ترتاب في أن الرجل يمثل نظرة أدبية ، ورؤية نفسية خالصة . وعالم اللغة يهيم للصقلى اللغوية ، وسبق أن ذكرنا أن الاسم ليس واجماً للمعنى (٢) .

ولا نتك في أن اللفاظ اصطليها الإنسان للتعبير عما يخطر في ذهنه عم أنها اكتسبت مع الزمن صفة ليست في غيرها من الرموز الاصطلاحية .

والأديب يربط بين اللفاظ والمعاني ، وإذا أردنا المصوب والدقة فن أنربط الحقيقي لا يكون إلا بين أنشيء وصورته الذهنية أي أن اللفظ شيء أجبى عهما اتخذ دليلاً عليهما ، أو رمزاً لهما ، ولكنه اكتسب مع الزمن صلة نحت به فوق اعتباره مجرد رمز من الرموز (٣) .

(١) د. علي عبد الواحد وافي : علم اللغة الطبيعية الثانية ص ١٠ .

(٢) انظر هذا البحث ص (٤١ ، ٤٨) .

(٣) د. إبراهيم أنيس : دلالة اللفاظ ص ١٠٢ .

ومن الملاحظ أنه ينسب للألفاظ ما ليس لها في الحقيقة ، وهو بما يؤمن به من كمال اللغة ، وما يمتار به العرب من رقة الشئاعل ولطف الحواس النفسية ، وتمعن مستواهم اللغوى الذى جعل ألفاظهم فصولا علمية لانه يرى أن اللغة تصور ألفاظها الحقيقة كما هى وكما يريد المتكلم ، ويتصورها — يؤمن بأن الكلمات مصقولة تدير الانطباعات الدقيقة من وحداننا الفكرى ، وتعتبر التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرن ، وعندما تدل على الشئ المقصود نفسه كما هو فى الواقع أو فى تصور المتكلم نفسه — لاندس بعض الحب بيننا وبيننا فتحبها عنا (١) .

ان الانتباه الروحى ممثل بالعاطة وهى تكشف كل شئ . والوافعى يؤكد ذلك كله بوضوح وإيمان عميق حين يقول : (٢) « ومعا لاتقضى منه عجب فى تتنع فلسفه هذه اللغة العربية العجبية أننا نرى أكثر الفاعلها كاللثامه لانتقمه شئ من دقائق المعنى فى أصل وعلمها على حين لايفهم علمؤها من هذه الألفاظ الامعس ما تدس عليه كأنها منزله تنزيلا ممن يعلم السر ، وقد نبهنا الى هذا فى كتابنا (تاريخ آداب العرب) وأقمنا فيه واستوفينا هناك من فلسفته ، وجاء القرآن الكريم من هذا بالمعادب اتى تموت العقل . حتى ان أكثر ألفاظه لتكاد تكون محتومة نزلت كذلك لتفص العلوم والفلسفه حواتمها فى عصور آتية لاريب فيها . وكلمة التوليد اتى سم يفهم منها العلماء الا اخذ معنى من معنى غيره بطريقة من طرق الاحد التى أشيروا اليها فى كتب الادب هى الكلمة التى لايفرج عنها شئ من أسرار البوغ ولاتجد ما يسد فى ذلك مسدها أو يحيط أحاطتها ، ولاتنظر فى لغة من اللغات ما يشبهها فى هذه الدلالة ، واستيعابها كل أسرار المعنى اذ هى ملفطها نص على حياة الكون فى الذهن الانسانى وأنه يتخذ وسيلة لابداع معانيه ، كما يتخذ سر الحياه بطن الام وسيلة لابداع موجوداته ، وأن المعانى تتلاقح فيلد بعضها بعضا فى أسلوب من الحياه ، وأن هذه هى وحدها الطريقة لتطور الفكر ، واخراج سلالات من المعانى بعضها

(١) محمد ايبارك : لغة اللغة وخسائس العربية من ٢٠٥ .

(٢) وحى القلم : الطبعة الثالثة من ٢٦٩ — ٢٧٠ .

أجمل من بعض كما يكون مثل ذلك في السبل بوسائل التضييع من الدماء المخطفة ، وأن النشوء لمس شئنا الا التركيب العصى اخص في الذهن . . »

ومن الحق أن يقول ما يجد اختلافات شاسعة لدى الأفراد بين ما يشير اليه هذا اللفظ أو داك في الواقع الفعلي وبين ما يمكن أن يعبروا به عن انطباعاتهم . زاء اللفظ المعين ، فاللفظ تحمل مصامين بالنسبة الى الامراد تختلف وتبين نوع الخبرة المكتسبة (١) .

ومما يلزم مراعاة أن المتكلم في أى لغة من اللغات لا يستطيع أن ينقل الى مخاطبه الصورة الحقيقية التي يريد نقلها ، والاخبار عنها بجميع دقائقها وجوهراتها وذلك لأن اللغة انما تقدم به الفاظا تدل على عموميات وكميات وأنواع وأجناس . وفي كل لغة قدر من التجريد ، وضرب من التصنيف لا بد من ملاحظته ، والتجريد يؤكد أن اللفظ لغة معاهيم مجردة جرده أصحاب اللغة من الواقع ، ويفهم ذلك اذا اعتبرنا أن كل لفظ تدخل تحته أفراد كثيرة . ويسمى كل واحد منها بذلك اللفظ « ويبقى اللفظ مشاعا بينها ، فنبلا لانطباق على كل واحد منها دون تخصيص » فكل كلمة شجرة مثلا تطبق على كل شجرة أيا كان نوعها وأنى كانت بمعنى أش جردنا من أفراد الشجر الكثير المتنوعة في أشكالها وألوانها وأطوالها وصفاتها صورة مشتركة بينها ، وأطلقنا على هذه الصورة المتخيلة المجردة كلمة شجرة « (٢) .

أما التصنيف فنفهمه اذا عرفنا أن تسمية الاشياء ووضع الالفاظ للدلالة عليها في كل لغة من اللغات نوع من تصنيف الموجودات « فبدخل تحت لفظ الشجرة والدار والحجر والمشي والقطع واصوت وسائر الالفاظ الدالة على شيء مادي أو فعل — أفراد كثيرة لاتخصى ، وليست هي متماثلة متطابقة . وكذلك يدخل تحت كل لفظ من الحب والمغص والحزن والغضب والنشوة حالات كثيرة جدا مختلف بعضها

(١) د. نوال محمد مطية : علم النفس اللغوي . نشر مكتبة الانجلو المصرية — الطبعة الاولى ١٩٧٥ ص ٨ .

(٢) محمد المنارك : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

عن بعض . ولكن اللغة جميعها تحت عنوان واحد . وجعلتها نوعاً
يسمى باسم واحد « (١) » .

ولاجدب في أن اللغة أهدر لوسائل التي عرفت الاسمية في
تاريخها الطويل لتعبير عن الأفكار . والانفعالات . والحواسف ، وهي
على قدرتها تنقصها الدقة أحيانا . ذلك لأن الطمة اللغوية عند
المستعملين لها تحفظ من شخص الى آخر (٢) يقول Potter

« أن المعرفة قدره ولكن انقدرة على اختيار الكلمات التي تؤدي بها
هذه المرحلة أموى وأعظم سواء أكانت هذه الكلمات أريد بها الاقتناع
أم الاخبار أم الاثارة » (٣) .

ويبدو أن الراغمى لم يراع المروق التي يبيب ، ولم ينظر الى
مانعحر عنه اللغة . ومن المهم أن يكون في الاعتبار أن أى لغة تعجز
عن التعبير بكاف عن آرائنا ومشاعرنا « فالمروق بينها كثيرة لاتكاد
تلمس متفطرنا اللغة مثلاً أن يعبر بلفظ الحب أو البغض عن آلاف
من ضروب الحب والبغض كلها مختلفة ، وكذلك الحال في موضوع
الامنا ملائذ (٤) » .

ولا يجب أن يغيب عنا أن الكلمة غير مستقلة تختزن من
انطباعات البشر كل ما هو ثابت ومشترك ، أى غير شخصى ، وتسحق
أو تطفى على الاقل الانطباعات الشخصية والعابرة من وجداننا
افكرى (٥) . « والالفاظ عدا الاعلام تدل كلها على أنواع . والكلمة
وهى لاتسجل من الشيء المسمى لا وظيفته الاكثر اشتراكا ووجهه
المبتذل - تندس بينه وبينها . . وليست الاشياء الخارجية وحدها هي
التي نفلت ما ، بل حالاتنا اسمية الخاصة بنا في أخس ما فيها ،
وأكثره شخصية ومن نحياء حياة أبداع . نحن لانتقط من مشاعرنا

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) د . السيد احمد خليل : اللغة بين الادب والتشريع ص ٢٢ .

(٣) Potter : Our Own language P 2 - 3

(٤) محمد المارك : لغة اللغة وحساس العربية ص ٢٠٤ .

(٥) نفسه ص ٢٠٤ .

الاجتماعي غير الشخصي ذلك احدى استطاعت اللغة تسجيله لمرء واحدة
نهضة لانه واحد بالنسبة الى جميع الناس في الاحوال نفسها « (١) » .

والترسمية النحوية ليست الا تصوير ، لبعض جوانب المعنى أو
بعض صفاته أو أجزائه أو أبرز أعماله * « والكلمة ليست تعريفا
لنفسه » ، ولا تحديدا لكنهه ، ولا وصفا محيطا بجملته وأجزائه ، فقد
يكون اللفظ في أصل معناه أوسع من المعنى ، وهو العاكس * وإنما يأتي
التخصيص من الاصطلاح والتواضع * .

لفظ اجدن من مادة جدن . وهي مادة تفيد الستر ، وسمى
الجدن كذلك لانه مستور في بطن أمه ، وليس استر هو الصفة الجامعة
المسماة للجدن ، وإنما هي احدى صفاته ، ويشاركه فيها موجودات
أخرى أيضا * ويمكنك أن تقول مثل هذا انقوى في سائر الالفاظ
المحتفظة بمعناها الأصلية ، والموضوعة لدنولات معنة مثل الحديثة
والحمل والسيارة والطريق والزكاة والربا « (٢) » .

ولكلمة تاريخ طوي يفي الداتة . ويكون لها تصورا خاصا
عد كل مرد * والتقدير الحقيقي لمعرفة الانسان بعالم المتكلم مسدر
ضئيل جدا ، والمواقف غير محدده تحديدا واصحا ، أما وجهات النظر
فهي مختلف في عملية التعديد وكذلك تختلف مزاج المتكلم وحالته
الفسية والثقافية ، وتختلف العوامل الوراثية ، وقد تستعمل الالفاظ
في غير المواقف انى اعتاد أكثر الناس استعمالها فيها * وهناك
صعوبات أخرى يجب مراعاتها (٣) * .

وفي ضوء ذلك يظن بعض الناس أن المعاني مكانها العقل
أو الذهن وهذا يصعب الوصول الى المعاني العقلية أو المعنى
المختزنة في الذهن أو يستحيل أحسابا الوصول اليها * .

(١) نفسه ص ٢٠٤ .

(٢) نفسه ص ١٩٦ .

(٣) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة القسم الثاني
ص ١٦٣ - ١٦٤ .

والطواهر المعنوية عند بعضهم يجب ألا يعتمد في تفسيرها وتحليلها على أسس عقلية أو ذهنية ، وإنما يجب الاعتماد على الحقائق اللغوية (١) . ويرى بومفيد أن معرفة معنى اللفظ أو العبارة أو تحديده تحديداً عميقاً دقيقاً يحتاج إلى معرفة أشياء ليست في مقدورنا ولا نستطيع الوصول إليها بحسب إمكاناتنا الحالية . وي ذلك يقول ، (٢) « أن تقديم تعريف علمي لمعنى كل صيغة في لغة ما يوجب علباً أن نكون عارفين تماماً بكل شيء في عالم المتكلم بهذه اللغة . ولكن القدرة الحقيقية لمعرفة الإنسان بهذا العالم قدر ضئيل جداً . قد نكون لدينا المقدرة على تحديد معنى كلمة من الكلمات تحديداً علمياً وذلك عندما يكون هذا المعنى محتصاً بأشياء لنا معرفة علمية بها . أنه من الممكن مثلاً تعريف أسماء المعادن عن طريق الانجاء إلى أساليب الكيمياء أو علم المعادن كأن نقول مثلاً ان المعنى اعمادي للكلمة « ملح » هو كلوريد ايصوديوم . وكذلك يمكننا أن نعرف أسماء السمات والحيوان عن طريق الاصطلاحات المستعملة في علم النبات والحيوان . ولكن ليست لدينا طرق دقيقة لتحديد معاني كلمات كثيرة أخرى ككلمة حب أو كراهية التي تتصل بمواقف غير محددة تحديداً واضحاً . وهذه المواقف وأمثالها تشكل الغالبية العظمى من مواقف الكلام الانساني » .

وبندرج بلو مفيد في حديثه فائلاً (٣) « وعلى مرص قدرتنا على تحديد معاني بعض الكلمات عن طريق استخدام المصطلحات العلمية المتفق عليها في بعض العلوم فسوف تقابلنا صعوبات جمة في التطويق .. » .

ونص نؤيده في أنه من الصعب الوقوف على معاني الالفاظ وقوم دقيقاً بمثل كل ما يقصده مستوى النهج التالي ؛ ولكن لا يرى اخراج العقل والفكر من الدراسة ، إذ لا يمكن أن تخرج الدوافع

(١) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) المصدر ذاته ص ١٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٢ — ١٦٤ .

الاسمية كالجواهرات والحاجات والسرعات والانساني والطبيعية الاجتماعية وفي كلامه ما ينضم اعترافا بإمكان دخول العناصر الدهنية أو العقلية في المسائل النفوسية ، وإن كان يصح بعدم الالتجاء إليها بصورتها ، ويتهرب هو نفسه من انحرافها (١) .

ومن الواضح أن ادلالة أمر فردى لا تكاد تتحد فيه الاذهان بل تتباين تباينا كبيرا ، وإن كان اللغوي لا يقف أمام الدلالات العقلية مكتوف اليدين بل يحاول تحديثها (٢) .

والراعي لا يرى أن تحديد معنى أمر على جانب كبير من الصعوبة ، ولا يظن أن الخلاف على معنى اللفظ ، وما صنعتته المناهج الكثيرة في التفسير ، وكذلك لم يراع أنه على الرغم من مراعاة إحقة الكلمة فإن انزعاج يحدث والخلاف يكثر ، وأن هناك لغات لها طبيعة خاصة تحول على الألوان والخلل المختلفة التي تثيرها الكلمات وهناك استعمالات يومية لللفظ وأبداءات وارتباطات تنبع عن الحياة المشتركة .

وفي كلامه ما يدل على اعتياده في المستوى الذي تصل إليه الالفاظ في ميساة المعاني ونزالتها في منازلها ووضعها على أقدارها — على المعنى القاموسي أو المعنى المنجمي ، فقد أشار إلى اعتياده على كتاب الثعالبي (٣) .

والكلمة لها غير المعنى القاموسي اسام ، فالمعنى المذكور ليس كل شيء في ادراك معنى الكلام ، فثمة عنصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى ، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام كشمسية المنكلم ، وشخصية المخاطب ، وما بينهما من علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملاسبات وظروف ذات صلة به كالجو مثلا ، أو الحالة السياسية . ومن حضور غير المنكلم وغير المخاطب وعلاقتهم بهما (٤) .

(١) المصدر نفسه ص ١٧١ .

(٢) د. إبراهيم أنيس دلالة الالفاظ ص ١٠٤ .

(٣) الراعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٢٠ .

(٤) د. محمود السمران : علم اللغة ص ٢٨٨ بقصره وسير .

والمعجم لا يستطيع أن يحصر جميع استعارات التي تقع فيها كل عبارة . وكل كلمة من كلمات المعاني وعباراتها . أنه قد يأتي بأدوات من دلالات الكلمة أو استعارتها ، ولكن تحديد معنى الكلام يحتاج إلى مقاييس وأدوات أخرى غير مجرد استطر في القاموس . والكثير من العلامات والمشتقات والألآام مرجعه أسا لايعرب معنى ما يقوله أو ما يقال لنا أو ما نسمعه أو نقرؤه (١) .

ولا يفر لراعي الآالاسس الذي يسير عليه وهو العمل النفسي المحض . والتكافؤ الذي يؤدي إلى أن تقوم النفس بالنصور ، وتقوم أسفا بالتصوير .

ومن حقا أن نسأل كيف يقوم العمل النفسي المحض ببقاء اللفظ الواحد على معنيين متناقضين ؟ ! وما موقف إنكفؤ هنا ؟

والرجل يعب التصاد إذا صحت فيه أسحة ، وبهض به الدليل ، وغير ذلك بعد عده عبنا « لآ فيه من لتبس أطراف الكلام ، ورجوع بعضه عى بعض بالنقص ، وإن أصحبت من القرية بما يوضح شؤيله ، ويعين حجة الخطاب غيه . وذلك ما لايمكن أن معز غيه على العربية . وهي بخصائصها وسن أهنها فى الوصع وتصرف تعتبر كالعقل المدرك فى جمجمة اللغات » (٢) .

وهو بذكر المذهب فى التصاد : ولكنه يشعر بأن هك ما لاينفى مع آرائه فعود إلى ذكر رأيه فيه . ويضعف موقفه ، ويهاجم مسقه . ثم يجد نفسه مضطرا للاعتراف به . وإقرار ما جاء منه لعباك مسماة وبس حكمه فى وجهه . يقول فى تاريخه (٣) : « وأذى عدما فى ذلك أن التصاد لبس فديما فى اللغة . ولا هو من بس الوصع عد العرب لأنه لايمكن أنه أسحة للتسبة . وليس فى كل مورد من ألفظه لفظه واحدة تقمقر إليها الةمة . فلايد أن يكون أصله حادث فى

(١) المصدر السابق ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٢) الراعى تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) نفسه ص ١٩٥ — ١٩٧ وأنظر الامداد فى دائره المعارف

المجلد الثانى العدد (٥) يونيه ١٩٣٦ ص ٢٩٦ — ٣٠٠ .

زمن البهضة التي تقدمت الاسلام حين اختلطت اقبائله . وانصرف العرب الى زينة المنطق ، والتملح في انكلام ، فهو تفنن تدخله بعض القبائل في لغتها ، وتتوسع به لاحدى المناسبات المرهونة بأوقاتها ثم يبرغون به ويمضون عليه في استعير فيثبت في ميراث القبيلة من اللغة .

ومما يرجح ذلك أن الالفاظ التي يتحقق فيها معنى التصاد الطبيعي قليلة كاسدفة للضوء والظلام ، والصريم لليل والنهار ، والجون للابيض والاسود ، والسحود للاتضاء والانتصاب ، ونحوها . وقليل منها مسوب للقبائل التي استعملته على وجهيه . أما أكثر ما يحدونه من الاعداد فمفلمه حادث في الاسلام اقتضاء تصرمم في اللغة على ضروب من الاثارة والايجاز فهو تفنن محض ، لا يرجع الى الوضع الواحد ولا المتعدد بل يكاد يمد نوعا من البديع أو الصناعات اللفظية ... وهو صرح أن التصاد قديم في اللغة ، وأنه ثابت في أصل الوضع لفسد هذا الوضع ، ولبطلت حكمته ثم لابد أن يكون من أثر ذلك شيء كثير في مقول اللغة . وهو خلاف الواقع ، حتى أن العلماء كانوا يتميزون من هذا النوع بمعرفة اللفظ محدودة .. أما الالفاظ التي رويت من هذا الباب ونسبها لقبائل مسماة بعد حرصنا على جمعها أتباعا لطريقتنا التي نهوناها في هذا التاريخ لأنها نرى في مثل ذلك أشباحا للمعاني التاريخية التي ذهبت في آفاقها ، والشبح لم يفصل معاني جسمه ، ولم يضبط أجزائه ، فلا أقل من أن يمين موقعه ، ويظهر منه صورة مبهمه وذلك فتح عظيم في مثل هذا التاريخ المستعلق بابه . المضروب على الغيب حجابيه .. »

ومن الغرب أن اترافعى مقر المشترك ، ومعترف بأنه وجه من وجوه الوضع . والمضاد نوع من المشترك (١) . وهو يرغب اعتباره من الوضع ، يقول ألكيا (٢) : « المشترك يقع على شئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين . فما يقع على اصدقاء كالجون ، وچل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين » .

(١) السيوطي المزهري ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢) نفس المصدر والصيغة .

وقال ابن فارس في فقه اللغة (١) : « من سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للأسود ، والجون للأبيض . قال : وأنكر ناس هذا المذهب ، وأن العرب تأتى باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رَووا أن العرب تسمى السيف مهندا ، والفرس طرفا هم الذين رَووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد .. »

ويعول الرامعي في المشترك (٢) . « وهذا بلائسك في أن مائة من تعدد الوضع ، وتباين ألفاظ ، لأن الالفاظ هتاهية ، والمعاني لا تنهاى ، فإذا ورعت هذه على تلك لزم الاشتراك ، واحتصاص اللفظ الواحد بمسعين أو أكثر .. » ثم يقول (٣) : « لا جرم أن الاشتراك وجه من وجوه الوضع في اللغة . فإن أكثره راجع إلى الاشتقاق والمجاز كما يقلل معنى من المعنى ، ومعنى إذا كثرت ما شئت . وكما يغلوا من أسماء الطير لاجز . الفرس نسموا العظم الذى فى أعلى رأسه بالهامة ، وهو اسم طائر . وسما دماغه الفرج . والجدة التى تغطى الدماغ بالنعامة . والعظم الذى تنبت عليه الناصية بالعصفور الخ وهى عشرون اسما .. »

وواضح أن هذا الكلام ثبت التناقض . وليس معه في ذهانه إلى أن التضاد ليس قديما في اللغة ولا هو من سنن الوضع عند العرب لأنه لا تنص إليه الحاجة الطبيعية ، وليس في كل ما ورد من ألفاظه لفظة واحدة تفتقر إليها اللغة .. ثم قوله : « ولو صح أن لتضاد قد تم في اللغة ، وأنه ثابت في أصل الوضع لتفسد هذا الوضع ، وبطلت حكمته .. »

فالحق أن الاضداد يجب النظر إليها نظرة دقيقة تحدد المستوى ، وتكشف العمق لذى يحيط بسرهما . أن تلك النظرة ترفض النهج الذى فهمه الرافعي وغيره ذلك النهج الذى يحتم تعيين أحد المسمين دون الآخر لأنه لو تعين أحدهما دون الآخر لكاد ذلك احتلالا بالنظم

(١) نسي المصدر ٢٨٧/١ — ٢٨٨ واس مارس السامعي ص ٦٦ .

(٢) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) نفس المصنوع ص ١٩١ .

الذى من طبيعته أن ينتضى تعيين وترثيا ، ولكن ما يدل عليه من
لمح خاص أوى (١) .

والنظرة الدقيقة تمهم الاضداد باعتبار انظر إليها على أنها
لفظ الجامع للموقف لاجمع للقدر المشترك . بمعنى أن المصدية هي
تعمير عن دفاع خوافى العوائق قبولاً ورفضاً ، وصراع عوامص المداء
سلباً وإيجاب ، ونفاج تكثيف التجارب بقيا وإثباتاً ، وتعبير عن تردد
خوالج الصدر سعة وضيق وتأزم عوارض النفس خوفاً وأمناً .
وتحير كوامن الاساس بأسا وأملا حيث تتكافأ أدلة المعقول ، ويتفاوت
وجيب القلوب . حقائق موائل للماديين ثوابت للإعلان (٢) .

ونستطيع أن نقول : أن الاضداد لون من ألوان اللغة له مستواه
الذى لا يتناقى مع الحكمة والانتقار ، وما ينبغي أن يكون عليه أمر
الواضع الواحد ، ما القدر المشترك الذى يؤديه يحمل الغرض ، وموجي
بالمعنى ، وأن اللغة تضع الشيء المدسب في مكانه المدسب حتى أنه
لا يمكننا وضع شيء آخر مكان هذا الذى يسمى بالمقتصد . فما القرء
بالحيض وما القرء بالظهر (٣) .

يقول الراغب في المفردات (٤) . «ويسمى انفرء اسماً للظهر مجرداً
ولا للنقص مجرداً بدلالة أن الظاهر التى لم ترأثر الدم لا يقبل لها
دات قرء وكذا الحائض انتهى استمرار بها الدم والنفساء لا يقال لها
ذلك » ، وفسر فوه تعالى « والمطلقات بتزويج بأفسهن ثلاثة مروه »
٣٢٨ م البقرة بثلاثة دخول من أظهر في الحيض (٥) . وأسرى ذلك
البقى ، المحالطة ، والمنرة لا تدرى المرأة فيها من أمر استبائها
شيئاً ، ومن ثم كان تفسير هذه المسألة ظنياً ، وعملية التربص دابة على
أن الموقف قد ينهم حتى قيل « منى حصل طر زوال الحيض وجب
الغسل » . أن الظاهر محفوظ بعهدم أتأكد من حاتم

(١) د. محمد بدرى عبد الجليل — المجاز وأثره في الدرس اللغوى
ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٢) نفسه ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٣) نفسه ص ٢٠٣ .

(٤) ص ٤١١ .

(٥) نفسه ص ٤١١ .

المشربة معمول (١) •• ويمكن استخدام تلك البطوة الدقيقة في تفسير أمثلة التصاد وكشف أسرار هذه الظاهرة • وحسبنا هذا
اقبال (٢) •

و هو فهم الراعى وغيره المستوى الذى تسعى اليه الاضداد في الحقيقة لادرك أنها تخارب تبعث • وتقضى على التباس الكلام • ورجوع بعضه على بعض بالنقص • أن التصاد إذا فهم مستواء • ودرست حدوده • ومدد ربما يمثله من حدود لا مندوحة عن تقديرها ورعايتها — أكثر دليل على أنه عقل مدرك أعراض الدلالة • وأهداف اللفظ • صاحب تاريخ آداب العرب تسرع في الحكم بأن التصاد ليس قديما في اللغة • ولا هو من سنن ابيهم عند العرب • لأن العلماء ذكروا شواهد من القرآن • مثل قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » • وقول الله تعالى : « وأسروا النجاة لما رأوا العذاب » وقوله عز وجل • « ما أنا بمصرحكم وما أنتم بمصرحي » وقوله : « وما يكون إذا ذهب متضامًا مثل أن من يقدر عليه » •

كما ذكروا شواهد أخرى عنها السيوطي في المزهري (٣) عن أبي سعيد في الغريب المصنف • وابن دريد في الجوهري • وغيرهما من العلماء الذين يقول عليهم في بدرس المعوى • ومن المعروف أنه ألف في الاضداد جماعة من أئمة اللغة منهم قطرب • والتوزي • وأبو بكر ابن الأبررى • وأبو البركات بن الأبررى وابن السكهان • والصغاني (٤) • ومن الواضح أن تعدد معاني اللفظ ظاهرة لغوية تحدثها في جميع اللغات الشائعة (٥) • وأن كل كلمة تأخذ تأثير معانيها المتضاد (٦) •

(١) د. محمد بدرى عبد الجليل : المجاز وأثره في الدرس اللغوي ص ٢٠٢ •

(٢) انظر ايشة اخرى في : محمد بدرى • المجاز وأثره في الدرس اللغوي ص ٢٠٣ وما بعدها •

(٣) ج ١ ص ٣٨٩ وما بعدها •

(٤) السيوطي المزمع ج ١ ص ٣٩٧ •

(٥) محمد المبارك : منه اللغة وخصلتها الغربية ص ١٩٩ ود. محمود السمران : علم اللغة ص ٣١٠ — ٣١١ •

(٦) د. محمود السمران : علم اللغة ص ٣١١ •

ومن الواجب بعد هذا كله أن سنهي إلى أن النحويين المختلفين يهتمون بملامحات العربية التي تربط بين المبني والمعنى ، ويعرفون أن منطق اللمعة ومقولاتها يختلفان عن منطق الفكر ومقولاته ، حيث تعتبر النمطية الصبغة التي لانحصار لفكر وانما تنحصر لمقتضيات الرمز العرفي الاعتباري ، وغلة علماء النفس في رأيهم ترى المعنى غير عرفي ولا اجتماعي ، ولكنه خاصص لتكوين النفسى للفرد (١) .

والمعنى في نظر الدراسات السعوية الحديثة مدى من أصداء الاعتراف باللمعة كظاهرة اجتماعية ، ونشئة لتشابك العوامل المختلفة في إطار سياق الثقافة الشعبية (٢) ، والرافعى صرح بأن اللغة بنت الاجتماع ، ثم ذكر بعد ذلك أنها عمل نفسى محض ، وفي مسوء ما ذكرناه نحدد بم يسر على مسجع واحد ، ونحن نتصك بأن اللغة لاتكون الا اجتماعية ، وهى حجاز رمزى عرفى ، وظيفتها تحققى الوجود الاجتماعى لفرد نفسه (٣) .

نخصيص المعنى اذا كان جنسنا وناكيده :

يرى الرافعى أن نظام المعانى بالانفاظ يعتمد على استخصيص المؤكد ، فاللغة لا يوجد المعنى ، وذلك مظهر الاستحالة ولكه يحصمه اذا كان جنب ويؤكدده مبالغة في تلوين صورته انفسية حتى ينطق أجزؤه وحتى يقوم كل جزء منها في البيان اللغوى بمقام الكل لذى هو مادة الشعور الطبعى (٤) . وعمنه لتخصيص الدقيقه في هذا النظام تمتد لتشمل أمردا وأجزاء أو معانى ، وترمى إلى ترتيب لأجزاء وابابة الصفات بالفاظ متباينة تعين الأجزاء أو الصفات على مقاديرها . كما ترمى إلى تأكيد المعنى بالمداغة في تلوين صورته النفسية .

ومن الواضح أن التخصيص يقوم على تعيين درجات المعنى وتقسيل أجزاء أوجودات على درجات شعور النفس بذوات هذه

(١) د. سام حسبان : اللغة العربية معابها ومباها ص ٢٥ — ٢٧ .

(٢) نفسية ص ٢٨ .

(٣) نفسية ص ٣٤ .

(٤) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٨ .

الاجزاء أو مصفاتهما . وهذا يبين أنه في نظم المعاني بالالفاظ ليس صريحا يرتبط بكلمة واحدة كانت عامة ثم حصصت هي نفسها ، فهذا اللون ابدى تنتقل فيه الكلمة عينها من العموم الى الخصوص — لون آخر ليس فيه تأكيد المعنى مبالغة في تلوين صورته النفسية ، وليس له اجراء تنطلق ولا عمد له في الترتيب أو الابانة . ان هذا الضرب يقتصر معنى العام على بعض أفراده ، ويصحب شموله . أو يقصد ظاهرة التعر نحو التخصص التي كثيرا ما تحدث في اللغات بأن تخصص اللفظ كالمعنى يستعمل كل منها للدلالة على طبعة عامة من الاشياء بيد كل منها على حالة أو حالات خاصة . وهكذا يمتدح مجال الافراد الذي كانت تصدق عليه أولا — ككلمة انكسار في العربية كان من معانيها الثمار كلها ثم خصص هذا المعنى للدلالة على أنواع معينة من اشجار كالتفاح والصب والامور والخوخ (١) . وكلمة السبت مائة في اللغة الدهر ثم خصص في الاستعمال هذه بأحد أيام الاسبوع . وهو فرد من أفراد الدهر . ولفظ الصحابة وهو يعنى الصفة مطلقا وقد خصص بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . ولفظ الكفر ومعناه الستر والانكار وحسن بانكار الدين ، ولفظ التوبة الرجوع وخس بارحوع عن اذنب (٢) .

وهناك أنواع أخرى من التخصص لم يشر اليها الراجعي ، مثل التخصص الذي يقع نتيجة الحذف كحذف المضاف اليه ، أو اصفة ، ومثاله لفظ الدنيا . والاصل الحياة الدنيا ، وانجاءه والاصل المدرسة الجامعة ، والعملية أي الجراحية ، وانكساف . أي مكشوف البصر ، والمحروم أي من المال (٣) . ومثل التخصص بقرينة استعمال اللفظ في سياق معين من الكلام ، وبحسب بيئة المتكلم أو المخاطب أو مناسبة الكلام كلمط موسم بانسبة للزروع أو الرعاة أو الصناع أو اباعة (٤) .

(١) د. محمود السمران : علم اللغة ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) السموطي . الزهر هـ ١ ص ٤٢٧ . محمد المبارك فقه اللغة

وحصلص العربية ص ٢١٩ .

(٣) محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) نفسه ص ٢٢٠ .

ومثل التخصيص بالحرف المعين اذ كان يعين على تمييز المعنى .
 معنى مادة الجر مثلا الحرف الصوتي هو الراء والحجيم المعين ،
 وأوتر الحجيم لم فيه من الجهد والشدّة والقلقلة — وهو ابدال من
 أحد اراء الثلاثة ، عند من يرى تكرار المقطع واتصاله وكالحجيم
 اللهاء في طن ، والقاف في غاق . وهذا عند من يرى أن الصوت
 الاصلى يثبت عليه مقطع واحد بسيط ، راء أو سين أو صاد أو غير
 ذلك وهذا المقطع في أغلب الامر يتكرر ويتصل ، ولما أريد محاكاته
 في اللسان السامي اقتصر منه على ثلاثة أحرف طبيعية في هذا
 السلس تميل الى هذا ، انتدر من الحروف ، ولكمهم ابدلوا من أحد
 الحروف حرفا آخر دفعا لنقل لتكرار ، وليكون اللفظ في صورة
 مركب من حرفين . وقد يتقدم حرف البدل وقد يتأخر وقد يكون
 التبعين بحرفين كما في رشف (١) .

ومما يجدر ذكره أن « تخصيص العام لا يشرح اللفظ اعمام عن
 دلالاته على العموم بل هو الاصل في دلالاته . والتخصيص هو
 المحتاح الى القرينة ، فحيث لا توجد القرينة فاللفظ العام حقيقة
 في العموم » (٢) .

ومما يجب مراعاته في التخصيص هو هذا التميز الذي نلاحظه
 في دراسته ، وذلك الهم الذي يستخدمه في تقرير المناسبة ، وذلك
 المخافة التي تشهد بالنعطة ، وترتبط بنسق شامل .

فلم يذكر الراقص مثل هذه الامثلة السابقة وانما أتى بأمثلة
 أخرى تبرر اختصاص المؤكد وفسفته مثل قوله (٣) : « غاؤل معاني
 الحياة الروحية الحب وهذه مراتبه عندهم . الهوى ، ثم العلاقة
 وهي الحب المتأزم للقلب . ثم انكف وهو شدة الحب . ثم العشق
 وهو سم لما فصل عن المتدار الذي اسمه الحب . ثم الشغف وهو
 احراق الحب للقلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة والالعاج فان

(١) عبد الله العزاري فقه اللغة ص ١٣٠ — ١٣١ وانظر د. ابراهيم
 المسبراني فقه اللغة ص ١١٥ وما بعدها

(٢) عبد الوهاب حنط : مقال الاصطلاحات الفقهية مجلة مجمع
 اللغة — الجزء السابع ١٩٥٢م ص ٢٣٦ .

(٣) الراسي : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٩ .

تلك حرفة الهوى ، وهذا هو الهوى المحرق . ثم التشف وهو أن يبلغ الحب ضعف القلب وهي حلة دونه . ثم لحوى وهو الهوى الباطن . ثم التيم وهو أن يستعبده الحب . ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى . ثم التخليه وهو ذهاب العمل من الهوى . ثم الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لا يستقر وذلك لغلبة الهوى عليه ومنه رحل هائم .

والاديب يرى أن مثل هذا المال للتخصيص يصور دقائق الاشياء ، ويبرز جوابيه الخاصة المتميزة وصفاتها المتفردة وذاتيتها ، ويعبر عن أنواع العواطف والمشاعر وغيرها في أقصى صفتها ، ومختلف درجاتها وألوانها ومرونتها وأجوائها المحددة مما يدل على بلوغ المستوى القوى في التمييز . والقضاء على الابهام والغموض ، بامراز الخصائص المميزة والمروق الفاصلة .

ويؤكد الرامسى أن العرب لم يدعوا معنى من المعاني الطبيعية التي تتعلق بالحياة الروحية أو البدنية مما تهيأ لهم إلا رنوا أجزاءه وأبأنوا عن صفته بالفاظ متمايزة تعبر تلك الاجزاء والصفات على مقاديرها وهو يرى أن ذلك يشهد للعربية بالعظمة والتفوق والسمو في أوضاع المعاني وسياستها بالالفاظ ، لانه يحرك اللمعة حتى يأنمس الحطرات ، ويكشف كل عاطفه دقيقه ولو اختبأت في أشعه من النظرات ، فدوره كبير في حقيقة التمدن وعظمة الثروة ، وما يسمى بالكمال أو الحياة الروحية العالية (١) .

ويصرح الاديب الباحث بأنه قد اعتمد في شرحه نظام المعنى بالالفاظ على كتاب فقه اللغة للثعالبى ، واستفاد من الامثلة التي ذكرها (٢) .

بقول صاحب تاريخ آداب العرب (٣) : « وعلى أكثر هذا النوع من نظام المعاني بالالفاظ بنى الثعالبى كتابه فقه اللغة ، وهو أشهر

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٣٠ .

(٣) الرامسى تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٠ .

من أن يبه عليه ، ولذا أوجرنا في أمثته اكتفاء بالدلالة على مطلبها ،
واحققة تنهس بها انكسرة اواحدة ، و لحق أن الثعالبي حشد تحت كل
نوع من أنواع الموجودات ، وكل ضرب من صروب الأشياء والنبات
والحيوان والآلات والمرافق وصانها عددا كبيرا من المفردات
المختلفة في معاني ودلالاتها ، ول كنلها أنما ألفاظ كثيرة وتعابير
للأحساسات والمشاعر وغير ذلك مما يدل على أنه قد قدم الكثير في
باب التفصيل الذي عسى به الرافعي .

ولا يحسن الأدب أنه قد اعتمد أيضا في نظام المعاني بالألفاظ
على ما ذكره السبوطي فهو يقول (١) : « ومن معنى الحياة البدنية
أصول المعاش الطبيعية التي هي قوام أمرهم ، كاللبن ، فإن له نحو
سبعين اسما باعتبار اختلاف أحواله وقد ذكرها السبوطي كلها في
المزهر (٢) . وكذلك الفيل ، والابل ، والشاة . ثم صفاتها وتسمية
أجزائها ، ونحو ذلك مما نكتفى لتبهرته بالإشارة إليه » . وليس معنى
هذا المصح أننا نحتاج إلى الألفاظ الخاصة الدقيقة ، ولانحتاج إلى
المعاني العامة أو المعنى إذا كان حسا . وإنما المقصود أننا نحتاج
إلى التفصيل إلى حسب غيره . ولا تستغنى عن استعمال اللفظ
العام والخاص كل في موضعه اللائق به ، ومكانه المناسب له .

والمثال الذي استشهد به الرافعي يؤكد الحاجه إلى الاثنين ،
لأنه ذكر لفظ العام أو لفظ المعنى إذا كان جنس ثم ذكر الألفاظ
التي عبرت عن مراتب التفصيل واتكامل يحتم ذلك حتى تتكافأ
النفس واللفظ في تصور أجزاء المعنى وتصويرها .

والأدب يهتم بعملية التفصيل اهتماما واضحا ، ولكن
بجاء إلى العو والإسراف حين يقرر أن مراتب الحب التي يمررها
التفصيل ، والتي يشير إليها العرب بالألفاظ التي ذكرناها في المثال
الذي أتى به « يشير إليها غيرهم بمتعاريف وفصول واصطلاحات ثم
لأنعدو بعد ذلك كله ما كان يفهمه العرب منها بركة شمائلهم ،
ولطف حواسهم النفسية ، فكانهم لمسا عدوا العلوم جعلوا ألفاظهم

(١) نفسه ص ٢٢٦ — ٢٣٠ .

(٢) انظر الجزء الأول ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

مصولاً علمية ، وذلك منتهى ما يكون من تمدن اللغات (١) ، ان الكلام المذكور يعطى الالفاظ قدرات ومستويات تجعلها فصولاً عملية ، وأدلة على التمدن ، فقد حددت المراتب ، وصنعت ما صنعت في رأيه دون وضعها في جمل أو عبارات أو اطار معين ، وأصبحت رمزا للكمال والتمدن .

ونحن نحلفه . لانه قد غنت أننا حين معبر عن المعاني نمسطر اى التخصى عن قدر ما منها ، وسردك أن الكثير منها لا يستطيع المتلفظ أن يصمه الى عبارته . ويختلف هذا امدى تنوعا لعوامل شتى يحكمها ما بسبب للمجتمع والبيئة والطائفة ، وما قيل من عبارات في مظان أخرى . وكل ذلك يضاف اليه ما حوله من قرائن حاكمة (٢) .

ولابد من تقدير حكم اسيافى ، ومراعاة منهج الاطر ، وملاحظة حق الاعتدال وعدم اهدار أثر الرص في المعنى . ولابد من تذكر أن الدلائل اللفظية لاتكون منطقية (٣) .

ونظرة الراقعى تجعل الالفاظ تكشف المركز والهامش أى تكشف الدلالة اركزية التى تعد المشترك الذى بسطه اللغوى في معجمه ، ويصمه بالدلالة اركزية . لجعل بين الناس ، ويساعد على تعاونهم . ويؤدى الى نوع من الفهم التقريبي الذى يكتمون به في حبتهم ، وفضاء مصالحهم ، وتكشف العروق التى تلون الدلالات سون خاص في ذهن كل منهم ، ونعسر ظلالا لانتختلف باختلاف الافراد وتجاربهم وأمرجنتهم وتركيب أحسامهم وما ورنوه عن آباءهم وأجدادهم ، وفي ذلك مما يسمى بالدلالة الهامشية (٤) ويبدو أنه يصر على ما تقرصه النظرة الواحدة . وتجري على أن هناك مطلقة بين ما يدور في جلد المتكلم . وما يدور في خلد السامع بين

(١) الراقعى . تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) د. محمد بدرى عبد الجليل : المحار واثره في الدرس اللغوى

ص ٥٢ .

(٣) ابرازى أساسى التدسس ص ٢٢٢ واس الحورى نقد العلم

ص ٤٥ .

(٤) د. ابراهيم تيسى : دلالة الالفاظ ص ١٠٦ — ١٠٧ .

مستوى المتكلم ومستوى السامع . ويظهر أن ما يفهمه السامع هو ما يقصده المتكلم .

والواقع يقرر أن الناس ليسوا بوحشية أعمى الألفاظ ، وإنما يعتقد أنها تملك أقدرات وتغطي الظلال التي تثير الفروق ، وتجهل أثر لبيدات المختلفة ، والتجارب المتباينة ، واحوادث الكثيرة ، والتقامت المتعددة وغيرها .

ولا ريب في أن الدلالة الهامشية تسيطر على أذهان بعض الناس ، وأحيانا تفشل في أداء مهمتها ، فقد تسمى الأشياء بغير أسمائها أو يزداد أو ينقص من دلالاتها . وسواء أكانت تلك الدلالة الهامشية سببها الهوى والغرض أو عن عقيدة وأيمان فهي تشمل اتصالا وثيقا بما يسمى عند علماء النفس بالعاطفة .

ومن المعروف أن الدلالات المركبة لا يقع بها الأدباء والشعراء والدلالات الهامشية في أي لغة من اللغات مسألة فردية شخصية لا تكاد تعرض لها المعاجم أو تعنى بها (١) .

ومما يدل على أن الراجع ينظر إلى الناس نظرة واحدة ، ويجرى على أن هناك مطابقة بين المتكلم والسامع أنه يرى أن رقة الشمائل ولطف الحواس تفهم من الألفاظ المستوى الحقيقي من التخصيص والتمدد الذي وصل إلى المنتهى دون اعتبار لأمر البيئة الحاضرة والقاتل وما حوله من تجربة ومعارف وحاصلات وملابس ودون تقدير لأمر السامع الذي يصنف أحيانا ما يفيد دلالة معينة لا تنصرف إليها معاني الألفاظ .

ولا أدري كيف تستطيع رقة الشمائل أو لطف الحواس أنكار تأثير الألفاظ بالأرمان والاحداث والتطورات أو تجاهل أن للدلالات لا يمكن أن تنقاد كاملة ما دامت هناك خلفيات واعتبارات ؟

(١) د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ١١٦ — ١١٨ .

ولا نستطيع أن نقول : أن الفاظ الزمان ، والحيز ، والنفس ، والكرم ، والنزوم ، ونحوها تعد فصولا علمية لأن هذه الالفاظ استقرت مدلولاتها فعولت الائمة في تحديدها على البصيرة ، وقالت فيها بالتقريب والاحتمال (١) .

والرافعى يلوذ بالحياة الباطنة التي تشبه ما في الانسان الراقى مما يسمى بالكمال أو الحياة الروحية العالية ، والامر في الفصول العلمية أمر ضوابط وقواعد وصامج واضحة ، لا أمر صالفة وغلو واههام .

وهو يدرس الكلمة المفردة ، ولا يصيب حساب التطور النغوى الذي لا يقف عند الالفاظ وحدها ، بل يشمل جوانب اللغة وأصولها من اللفظة المفردة الى التركيب ، وما بينهما من قواعد النحو والصرف .

والمصول العلمية يمكن أن تقل في تحديد معنى المعاني . مثل معنى الملح أو السكر عند دارس الكيمياء ، وهو يعرف كيف تتكون ، ومعهم تتكون . ويؤلف لنا معادة كيميائية ، تعد في الحقيقة التعريف الصحيح الدقيق لهذا الشيء المألوف لد جميعا (٢) .

والاديب يقول رآيه اشخصى متأثرا معيقرية الالفاظ وسحرها وجلالها وكماله ويحب على أن أرقى الامم مدينة « اذا بلغت فيها المعاني النسبة مبلغ الهرم . وتمعت بها الحواضر من كل جهة بحيث تعمل أجزاءها تمصلا فجهد الامة عند ذلك أن تحيط المعنى باصطلاحات علمية ، وتعرف حوادثه على نحو ما تعرف به فصول العلوم . كالحب مثلا من مراتبه التي يشير اليها العرب بالانفاظ المتقدمة يشير اليها غيرهم بتعاريف وفصول واصطلاحات .. » (٣) .

(٢) انظر المبرورسدى : مسائل دوى التميز في لطائف الكتاب العزيز ج ٢ ص ٤١٦ .

(١) د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ص ١٦٣ .

(٢) الرافعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٣٠ .

ونحن ننبه على عدم إمكان تحديد الدلالات المجردة كالحب والكره والمساعدة وغير ذلك أنتحديد الذى يشير اى معنى الى مستواه الدقيق بموازاته العالية فليست لدينا طرق دقيقة لتحديد معنى الكلمات المذكورة لانها تتمثل بمواقف غير محددة تحديدا واضحا ، وهذه المواقف تشكل الغالبية المطلقة من مواقف الكلام الانسانى . وسبق أن ذكرنا رأى بلو فيلد فى تحديد معانى بعض الكلمات ، وأشارته الى الصعوبات الجمة التى فى الطريق .

ومما يجب مراعاته أن الاصطلاحات العلمية تشير الى التغيرات التى يواقعها المجتمع ، وتؤكد التطور فى التعليم ، كما تعبر عن تجدد الحياة ونمائها ، والاختلاف فى المذهب والمنهج والثقافة وغيرها . ومراتب الحب التى أتى بها فى مثله — لم تمثل المستوى الذى تمثله المصطلحات العلمية المتفق عليها فى بعض العلوم ، فليس فيها رأى قطيع أو اتساق لاحتتمل انقراض أو الطعن أو غير ذلك . انها فى الحقيقة لم تبلغ درجة الاحكام أو منزلة الاتقان والكمال فى التخصيص كما ظن الرافعى . والتحقق يثبت أنها ليست فصولا علمية على النحو الذى ذكره لما فصلناه . ولهذا الامور أيضا :

١ — أن هذى الالفاظ اتى بعدها الرافعى تشير الى مراتب الحب لايمكن أن تحقق المستوى الذى يحيط المعنى تلك الالفاظ الفاضلة القائمة التى تصح ما تصحبه التماريف والعصول والاصطلاحات لان ما ذكر فى كل منها ليس هو كل شىء فى ادراك المعنى ، وهذه الالفاظ يمكن اعتبارها كالجس لذى تدين مراتبه هذا كل الحب جنسا فان الهوى جس . وكذا العشق (١) ، وغيره . أن كل لفظ متنوع وبتعدد . وعلمية التخصيص ليست القول الفصل كما ظن الرافعى .

٢ — أخذ الرافعى بما قاله الشعابى فى مراتب الحب (٢) ، ولم يتم بتحقيق النسق الذى نقله ولو حتى هذى الالفاظ لوحد أن المعاجم

(١) انظر الفيروزىدى : بصارى قوى التمييز و طلق الكتاب العزيز ج ٥ ص ٣٥٩ الذمرة ١٩٧٠ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
(٢) الثعاللى : فقه اللغة ص ٨٤ القاهرة مطبعة المحر ١٢٨٤ هـ

لاسم بصورد الترتيب كما جاء . وفيها ما يدل على تساوى بعض الالفاظ مما يدل على أن الالتزام بهذا الترتيب لا يفرصه الا ما جاء به الثعالبي . فأول معنى الحياة الروحية الحب وهذه مراتبه الهوى ثم العلاقة ثم الكف ثم العشق اسح . ويرى الجوهرى فى المصاح أن هذا الشيء أهوى الى من كذا أى أحب الى . . وهوى بالكسر يهوى هوى أى أحب .

وفى القاموس أن الهوى : العشق يكون فى الخير والشر . وعيه وهويه كرميه فهو هو أهبه . وهذا واضح فى تساوى الهوى والحب : والهوى والعشق وان جاء فى مثل الرامعى ما يوهى بغير ذلك . وفى المسائر يقول الفيروز ابادى (١) الهوى مثل النفس الى الشهوة . . وهيل الهوى العشق ويكون فى الخير والشر . والهوى أيضا ارادة النفس . والهوى المصه . وواضح أن ذلك لا يفرص صورة ترتيب المراتب . ولا يعترف بالفصول العلمية التى يفصدها الرامعى . فلاختلاف بارز . والعشق فى القاموس عجب المحب بمحبوبه أو افراط الحب . ويكون فى عدم وفى دغاره أو عصى احسن عن ادراك عيوبه أو مرض وسواس بجلبه الى نفسه بتسليط مكره على استحسان بعض الصور . وفى القاموس أن الكف بالكسر الرجز العائس . وفى مادة عشى ذكر الفيروز ابادى أن تعشقه تكلفه .

وبقول الجوهرى فى علق : وقد علقها بالكسر وعلق حبها بقلبها أى هويها . ويذكر قبل ذلك أن العلق الهوى يقال مظهرة من ذى علق ثم يقرر فيما بعد هذا وذاك أن العلاقة بالفتح علاقة الفصومة وعلاقة الحب . والجوى عنده . الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن . وهبما نقله الرامعى : الهوى الباطن . والجوى قريب فى الحقيقة من الضعف واللوعة واللاعج . ولكن الثعالبي أخشه ، وتبعه الرامعى . والأمثلة أدنى ذكرناها هي حر رد على مسألة المراتب ، وقضية الفصول العلمية .

٣ يقول اميروزابادي في الصفة والمحبة (١) : « ولا محمد المحبة
بعد ، اوضح منها » ، والحدود لا تريد ما الاخفاء وخفاء ، فبجدها وجودها ،
ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة ، وانما يتكلم الناس في
اسمها وموجباتها وعلاماتها وشواهدا وثمراتها وأحكامها .
الحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة « وهذا الكلام لا يعرض
سمرتب ، وأما بسمه على ما مزيد الحناء والجفاء . ويحدد الجواب
أخى بفناؤها الناس » .

(١) المحبة الجزء ٢ ص ٤١٦ .

الفصل الخامس

نظام القرينة

نظام القرينة

وهو نظام يعوم على الاتساع والتفنن . واطلاق الكلام اطلاق غير مفيد بما تقدمه سواء ، ولا يمنع لطريق غيره من سائر الكلام ، اعتمادا على المحة الدالة . والاشارة التي تقع موقع الوحي . وعلى أصعب أثر يشير الى وجه الكلام ومذهبه ، ويهتدي الى طريق .
يعنى فيه (١) *

ويرى الرامعى أنه نظام بدیع ، لأنه في ظاهره سوع من موشى . ويشير الى أنهم يفردون به . ولا يوجد أنقليل منه في لغة غيرهم الا حيث نصيب أدلة لبوغ في أنسر الشعر . ومأنور المنور . أما عماء العربية سموه سحر العرب ، وعقد انعمى على أمثله من القسم الثاني من كتابه فقه اللغة وسماء سر العربية (٢) *

وفي رأى الاديب الباحث « ان هذا النوع لم يكن في اللغة الا بعد أن امصرف العرب الى صنعه الكلام . وهذبوا حواشيه ، ومنعوا العادة في تنسيق الشعر وحادثه . وذلك قبل الاسلام بما لا يتجاوز مئة سنة على الأكثر . لان التنقن في العبارات لاياتى الا من كمال صنعة الالفاظ . ولأن ما عرف لعرب من ذلك قليل في جنب ما أتى به القرآن الكريم .. » (٣) *

وما جاء في نظام القرينة بعيد اختلاعه عن النظامين السابقين اختلافا بينا ، فهما لا يحتجان الى اقربة . ومن المعروف أن الكلام داخل مجتمعه ليس في حاجة الى قرائن ، أما خارج مجتمعه فهو محتاج اليها لمعرفة المراد *

(١) الرامعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢١ .
(٢) النعماني ' فقه اللغة - القاهرة - مطبعة الحجر ١٢٨٢ هـ -
القسم الثاني ص ١٥٣ وما بعدها وانظر ابن فارس . الصحاح ص ١٦١
وما بعدها . والسيوطى المهرج ج ١ ص ٢٢١ وما بعدها .
(٣) الرامعى : تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢١ .

وعطية الاطلاق غير المقيد بنظام ، والحرص على عدم اتباع طريق غيره من سائر الكلام — تؤكد الخروج ، وتدل على مستوى آخر ليس فيه الموازنة التي وجدناها . وما صنعتها الاصوات من دلالات لها تأثيرها الكبير ، وليس فيه لاداء اليسير الذي يصل الى الالف من اقرب طريق واقصر سبيل متبعا للنسق المالكوف ، وليس قائما على تخصيص المعنى اذا كان جنسا . وتأكيده ملاحظة في تلويح صورته النفسية .. وانما فيه قدرة على الانشاع بصروب لهب شأنها ، واستقال عن المعنى الظاهر لاهداث ملاحظة تنير المعاني واختلاها ، ومسايرة ألوان ما يحترع ، والوهاء بمطالب الفكر ، وحق التطور .. وفيه موانع مصلحية لما أريد صرعه عن ظاهره ، لفطية أو عطية ، وأمر تشير الى المطلوب ، وتقدم العون كي تكتف سر الاطلاق غير المقيد ، ومحالفة سائر الكلام .

ويؤكد ابن قتيبة أن افئنان المتكلم أو الخطيب وخروجه عن شيء الى شيء أحسن من اقتصره في المقام على من واحد (١) .

وقد ذكر الراجعي أن العلماء سموا هذا النظام سفن العرب . وهذا التعبير نَحَدَه في الصلحي عندما يذكر ابن فارس أمثلة منه ، كما مجده في أبواب كثيرة (٢) . وفي المُرْهَر نَحَدَه هذا التعبير ، وما قاله ابن فارس . وأن حذف السيوطي بعض الشواهد والامثلة وغيرها (٣) . والراجعي يسير في كثير مما جاء به في نظام القرينة على نسق السيوطي ، وأن حذف بعض السنن . وثبه على بعض مصادره ، وزاد أشياء لم تأت في المُرْهَر . ولكنه لم يشر الى ابن قتيبة وابن فارس .

واسحق أن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) هو صاحب الفصل في جمع الكثير مما ذكره من سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة ، والقيام بدراسته وتوجيهه ، وجسه بمثل طرق القول وما أخذه . ويدخل

(١) اس قتيبة . بأويل بشكل القرار — شرح ومحقق السيد احمد

سفر — نشر دار احباء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي من ١٨٢ .

(٢) الصلحي من ١٦٦ وما بعدها .

(٣) السيوطي : المُرْهَر ج ١ من ٣٣١ — ٢٤٠ .

في المحازات • يقول هذا العالم (١) • وتلعب المحازات في الكلام •
ومعاً طري القول وماأخذ • ففها الاستعارة ، والمثيل ، والمثل ،
والتقديم والتأخير ، والحذف ، وانكرار ، والاختفاء والظهور •
والتعويض ، والافصاح ، والكتاية والابضاح ، ومحاسبة الواحد
مخاطبة الجمع • والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب
الاثنين ، والمعد بلفظ الخصوص لمعى العموم • ويلفظ العموم
لمعى الخصوص • مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجز • • ويك
هذه المذاهب نزل القرآن • • »

وأعتقد أن ابن مارس أخذ الكثير من السس التي جاءت في
الصحابي من ابن قتيبة ، واننع براء الرجل على انغم من النقد
اشديد الذي وجهه اليه • والانكار الذي حكم به على اطلامته
وبعض ما يرويه (٢) •

وذا تأملت السس التي جاءت في نصاحي • والاموات التي
تبين طرق القول وماأخذ أو توضح المذاهب ، فانك تجد اعتماداً على
ما قاله ابن قتيبة في أبوابه (٣) • مما يرمى إلى أنه هو أول من أحاط
بها احاطة حسنة ، وأعطى درسها حق من العناية ، وفطن لوجوه منها
تشهد بعظمته المتميز في تفسيرها •

ولا نذكر فصل سيبويه لأنه ذكر بعض من العرب التي يتحقق
عنها نظام الفرسية ، وعبر عن الأساليب المحاربة بلفظ الانتساع (٤) •
ويعد منه قول الله تعالى : « ول مكر الليل والنهار » ٣٣ ك سباً ٣٤ •
مالميل والنهار لايمكران ولكن افكر فيهما (٥) • وسما من العرب
من يقول من يوثق به اجتمعت أهل لمامة لأنه يقوى في كلامه اهتمت
انيمامه ، سنى أهل اليمامة مأث اسم في المخط اد جعله في اللفظ

(١) ابن قتيبة • تويل مشكل القرآن ص ١٥ — ١٦ •

(٢) ابن مارس : النصاحي ص ١٧٠ •

(٣) انظر نصاحي ص ١٦٩ وما بعدها • ومارس يتولى مشكل
القرآن ص ٢١١ وراجع أبواب المحز ص ١٠٢ — ٢٢٩ و هذا المصدر
وسن ابن مارس أو أبوابه •

(٤) د. محمد مري عند الحيل المحز واثرد في الدرس اللغوي
ص ١٢ •

(٥) سيبويه : الكتاب طبعه هارون ه ١ ص ١٧٦ •

البسمة . * مترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سماع الكلام (١) .
ومن مظاهر الترسد ما جاء في كتابه عن باب حذف منه فعل لكثرة
في كلامهم حتى صار بصرته المثل (٢) . * ومن ما يكون فيه المصدر حينا
لبسة الكلام والاختصار (٣) . * ويجب ما ينصب فيه المصدر كان فيه
الآلف واللام أو لم يكن منه على صير الفعل المترك أظهاره . لأنه
محير في الاختصار والاستقصاء بدلا من الحذف والمعل ، كما كن الحذر
بدلا من الحذر في الامر . ثم ذكر قول الحنفية :

ترتفع ما رتعت حتى اذا اذكرت

فانما هي اقوال وادبر

مجعلها لامدني ولاخير ، حذر على سماع الكلام . كقولك
هناك صائم ولبك قائم (٤) .

« ولاحظ ذي سيوية ايضا هتروا البسمة بالاختصار والاختصار
محدث عن باب : استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاستعمال
في الكلام . والاختصار والاختصار (٥) . * وعد منه قوله تعالى جده
« واسأل اقرية التي كنا معه والغير ابنى أعطى معه » ٨٢ ث موسى
١٢ (٦) . * فيقول : « انما يريد أهل اعرية اختصار . وعمل الفعل
في اعرية كما كان عاملا في الالف بولكان ها ها » (٧) . * وجعل من
ممنعت احذف كثره الاستعمال (٨) .

وما ذكره بسيوية كان له اثره في ابن غنيمة وغيره . وبعض
ابواب المجاز في تأويل مشكل القرآن يدل على ذلك . وان كان لاس

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٣٦ - ٣٣٧ وانظر ابن حنبل في الخصائص

٢/٢٠٣ . وثنا على المدرس : لجهة تحقيق على السجدي بسند

و د . عبد العظيم الجار و د . عبد الصالح شلمي ، الجزء الاول ص ١٧-١٨

(٥) المصدر نفسه ص ٢١١ . ٢١٦ . ٢٢٢ . ٢٢٩ . ٣٢٧ .

(٦) د . محمد بنري عبد الحليل المحسن واثره في المدرس

الحموي ص ٤٤ .

(٧) سيوية : انكتب . ضعه مازرو ج ١ ص ٢١٧ .

(٨) المصدر نفسه ص ٢٢٤ وانظر : محمد بنري عبد الجليل

الحزب واثره ص ٤١ .

قريبة فضله فيما ذكروه من سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة ، ومكانته التي يستحقها . . ونظام القرينة هو أسوجه أسألت من وجوه نظرية المناسبة . وهذا الوجه يعتبر القرينة هي التي تصنع المناسبة ، لأن الكلام أطلق إطلاقاً غير مفيد بنظام . ولا يتيح طريق غيره من سائر الكلام . والأمر أمر التوسع ، والتفنن ، والتصرف ، والصنعة ، والنمو . . وقد ذكر أن الانتقال عن المعنى الظاهر غرضه ملاحقة التفسير ، ومسأله ما يخترع ، والوفاء بحق التطور ، والقيام بمطالب الفكر . وهذا يدعم نظرية المناسبة .

والغزالي (٥٥٥ هـ) يذكر أن النص أن لا يحتمل كفى معرفة اللغة . « وأن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ » والقرينة لما لفظ مكتشف كتأوله تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » ١٤١ م الآعام ٦ ، والحق هو العشر . وأما الحالة على دليل العقل كقوله تعالى « والسموات مطويات بيمينه ٦٧ ك الزمر ٣٩ ، وقوله عليه السلام : « قلب المؤمن بين أصبغ من أصبغ الرحمن » .

وأما قرائن أحوال من أشارت ورموز وحركات وسوابق ولواحي لا تدخل تحت الحصر والنخمين . يختص بدركها المشهد لها فيقلها المشاهدون من الصعبة إلى التابعين بالفاظ مريحة أو من قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علم ضروريا مفهم المراد ، أو توضح ظنا ، وكل ما ليس له عبارة موضوعه في اللغة فتتبع في القرائن » (١) .

سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة :

حشد الرامعي في نظام القرينة معتمدا على السيوطي وغيره — هذه السنن التي يتحقق فيها النظام المذكور ، وهي :

١ — « مخالفة ظاهر اللفظ كتأويلهم عند المدح قائله الله ما أشعره ، فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه ، وكذلك قوبهم

(١) المزالي : المسمى من علم الأصول الطبعة الأولى المطبعة الأميرية بولاق ١٣٢٢ هـ ج ١ ص ٣٣٩ .

هلبته أمه وتكلمته * وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرض في رمية
أو في فعل يعطه » (١) *

وفي تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أمثلة أخرى وشواهد في
باب مخالفة ظاهر اللفظ معده بعضها تعرض لنقض ما قبل فيه (٢) ،
وبعضها لم يكن إلا حجة قوية في دعم ما يقولونه في مخالفة ظاهر
اللفظ شرحه المعونون وأهصوا بأمره ومن الحجة قول ابن قتيبة (٣) :
«ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة عقرى حلقى * أى عقرها
الله وأصابها بوجع في حلقها » * وفي توصيح ذلك أب في « حديث
النبي صلى الله عليه وسلم حين قيل له يوم النفر في أمر صفية * أنها
هائض فتدل : « عقرى حلقى * ما أراها إلا هائضت » * قال
أبو عبيد * معنى عقرى عقرها الله * وحلقى * حلقها * فقوله عقرها
يعنى عقر جسدها * وحلقها أصابها الله بوجع في حلقها * قال
أبو عبيد * أصحبت الحديث يروونه « عقرى حلقى » * وأما هو
« عقرها حلقا » * قال : وهذا على مذهب العرب في الدعاء على
الشيء من غير إرادته لوقوعه ، لا يراد به النوع .. (٤) » *

ولا يستطيع أحد أن ينكر جهد ابن قتيبة والاعتماد على كثير
مما جاء به على الرغم مما وجه إليه أحيد *

٣ - « انحذف والاحتصار » * فيقولون والله أفعل ذلك ،
ويريدون لا أفعل ، محذوفون حرف النون (٥) « ويتحدث الراجعي عن
حذف الحرف أيضا قبل آخر سنه * فيقول : (٦) « ومن سنهم
العجبية حذف الحرف ، وهو مقدر لصحة معنى الكلام ، فيسقطون

- (١) الراجعي : تاريخ آداب العرب ٢٣١ - ٢٣٢ وانظر ابن قتيبة
تأويل مشكل القرآن ص ٢١٤ والساجي ص ١٦٦ والمزهر ج ١ ص ٢٣١
(٢) ابن فارس الصحاح ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٤ .
(٤) أبو منصور الأزهري - تهذيب اللغة : تحقيق عبد السلام
هارون ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ .
(٥) الراجعي تاريخ آداب العرب ص ٢٣٢ .
(٦) نفس المصدر ص ٢٣٤ .

أوسيط نفعا • كقولہ تعالیٰ . « إنما دلكم الشيطان يخوف أولياءه » ،
 أى يخوفكم بأوليائه • ومثله كثير فى كلامهم • • ولو جعل هذا فى
 الحذف والاختصار كان أنسب وأفضل ، لأن التثنية والاصطرب
 يجب أنفى عنه فى بحث الأسرار وتخليبه الغرينة وذكره بعد كثير من
 استن المحظفة لا بعد من ارتباط أو الناول الدقيق وكمل الصيغة ،
 ويذكر الراضى الأصمار فى موضع آخر على أنه من السنين فيقول (١) :
 « وصها الأصمار للأسماء ولامعا والحرور كقولهم : ألا يا أسمى أى
 يا عده • وغولهم أثعلب وتصرأى أترى ثعلبا وتقر • وقول
 معصهم (ألا أيها ، لراحرى أشهد سوغى) ، يريد أن أشهد
 الوعى » • وعد فعل ما فعله السيوطى ، وسار على نهجه فى هذا (٢) •
 وكان من لوازم أن يضع ذلك فى الحذف والاختصار • وصنيع ابن
 قتيبة أحسن وأدق وأنسب لأنه أنى بأمانة للاصمير فى باب الحذف
 والاختصار • يقول هذا العالم فى الباب المذكور (٣) : « ومن ذلك
 أن تجمع الفعل على شيئين وهو لاحدهما ، وتصر للآخر معله
 كقولہ سبحانه « يملؤف عليهم وأدا مملؤفون بأرباب وأبارب وكاس
 من معين (الوامعة) • ثم قال . وفلاكة مما يتحمرون ولحم طير
 مما يشتهون وحرور عين » • والماكة واللحم والحرور العين لا يظاف
 بها • وإنما أراد ويؤنون بلحم طير • ومعه قوله « فأجمعوا أمركم
 وشركاءكم » (يونس ٧١) أى وادعوا شركاءكم • • ويذكر
 أمثلة أخرى ثم يقول (٤) « وتند بسكل الكلام ويعمم بالاختصار
 والأصمار • • وهذا قول العرب • وهو يبعد لأن العرب إنما تحذف
 من الكلام ما يدل عليه ما يظهر ، وليس فى ظاهر هذا الكلام على
 هذا التأويل — دليل على باطله • •

وما جاء به الراضى بحتاج إلى توصيح حتى ينجلى أمر
 القصة ، ولذا يقول ابن السرى فى حذف حرف التثنية اختصارا هو
 الاعتماد على دليل أو قرينه ، وشروط جواز حذف حرف التثنية
 مطلق ثلاثة •

(١) المصدر السابق ٢٢٤ .

(٢) المزهر ح ١ ص ٣٣٧ .

(٣) ابن قتيبة : تأويل بسكل القرآن ص ١٦٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٩ .

الاول أن يكون هذا الحرف « لا » دون سائر أخوانه من حروف
النفي .

اثناسي : أن يكون المنفي به مضارعا كما في الآية (قالوا لله
تفتنننا تذكر يومنصف) وكما في قول امرئ القيس :

مفلت بمن الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لذيك وأوصالي

وقول عمر من أبي ربيعة المخزومي :

ناله آسى حـ

حياتنا أو أمنا

الثالث : أن يكون ذلك في القسم كما في الأمثلة السابقة (١) .
وقد شد الهدف بدون القسم كقول جندب بن زهير :

وأبرح ما أدام الله مومي
بحمد الله متطعا مجيدا

أي لا أبرح متطعا مجيدا . أي صاحب بطق وحواد ما أدام
الله مومي ومثل هذا البيت قول خليفة بن مرار

تملك نسم ما خبيت بها لك حتى تكونه (٢) .

والعرب تحذف أحيانا لا النافية في جواب القسم مع ملاحظتها
وتقديرها في المعنى لأن اللبس حينئذ بين المنفي والموجب مأمو .
أد لو كان الجواب غير مسمى في المعنى والتقدير لوجب أن يكون
المصرع مؤكدا بأنالام والنون معا جريا على الاعلى والاسوى في
جواب القسم عند المصريين . وبأحدهما عند كثرة الكوفيين وقد جاء
في أمالي أبي اسحاق الرحاجي . قوله : والعرب تصمر لا النافية في جواب
القسم مع ملاحظتها في المعنى ، لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع

(١) محمد محي الدين عبد المهيد : مجلة الجليل بتحقيق شرح
ابن عقيل مع كتاب شرح ابن عقيل دار الفكر ١٩٧٢ م ١ ص ٢٦٥ .
(٢) شرح ابن عقيل ١ ص ٢٦٣ — ٢٦٥ ومجلة الطليل بتحقيق
شرح ابن عقيل هامش ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

ملروم ابوجب اللام والنون كقولك : والله لاخرجن + قد الله مر وحل
تالله تفتؤ تذكر يوسف « (١) » .

ويقوب ابن هشام في حذف لا النافية غيرها (٢) : « مطرد
ذلك في جواب القسم إذا كان المضي مضارعاً نحو تالله تفتؤ تذكر
يوسف + . ويقال مع الماسمي كقوله :

فان شئت آليت بين المقام والركن والحجر الاسود
نسبتك مادام عظمي معي أمد به أمد السرمد
ويسهله تقدم لا على انقسم كقوله : فلا والله بادئ الحى قومي
وسمع بدون القسم كقوله :

وغولى اذا ما أطلقوا عن بعيرهم
يلاقوسه حتى يؤوب المنخل « .

وقد أشار الراجسي الى الفريسة في قوله تعالى : (اما ذلکم
للشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم بأوليائه + والامر فيها واضح .

أما قولهم ألا يا سلمى + فهو من حذف الكلام بجملته مثله
مثل « يايب قومي يعلمون » اذا قيل انه على حذف المنادى أى
يا هؤلاء + . وقد انه من حذف الكلام بجملته بعد حروف النداء لانه
هدف ادعرو المبادى (٣) .

وعد قيل ان « يا » في المثال الذي جاء به الراجسي يجوز أن
تكون حرف تنبيه مؤكدا للاستفتاح ، وعلى ذلك فلا حذف ، ويرى
بعضهم أنه لايجسن اذا اعتبرنا الأحرف تنبيه أن تكون « يا » حرف

(١) عباس حسن : النحو الواقي : الطبعة الخامسة دار المعارف
سنة ١٩٧٥ — الجزء الأول هاشى ٢١ من ٥٦٣ وانظر الرمحرى
الكشاف ١ من ٣٩٨ (الآية ٨٥ سورة يوسف) .
(٢) محسن اللبيب : الطبعة الاولى المطبعة الازهرية سنة ١٣١٧هـ
ج ٢ من ١٥٥ وانظر محمد بن حسن الرضى شرح الكافية ج ٢ من ٢٢٧ .
(٣) الشيخ محمد الامير : حاشية هاشى محسن اللبيب — الطبعة
الاولى بالمطبعة الازهرية ١٣١٧هـ ج ٢ من ١٥٩ .

تنبيه ، لان من قواعدهم المقررة أنه لايتوالى حرفان بمعنى واحد لعدم توكيد (١) .

وأما مثال اصمار الحرف في قول بعضهم (ألا ايهذا الزاجري أشهد الوغى) (٢) . يريد أن أشهد الوغى ، فقد جاء في الزهر نقلا عن ابن فارس (٣) .

والرفع هو الأشهر في هذا المثال ، ولكن روى أشهد بالنصب مثل قوله تعالى « قل أفسر الله تأمروني أعبد » قراءة الحسن . ومثل نسمع بالمعدي حير من أن تراه . وحذف الحرف في الأمثلة السابقة شاذ ، لانه في غير مواضع اصمار أن جوازا ووجوبا . والأمثلة كلها مسموعة لأبجوز القياس عليها عند البصريين . وذهب الكوفيون الى جواز القياس عليها . ويرى بعض النحاة أن الذى حس النصب هو وجود أن في المعطوف وهو أن أحضر . ورواه الرفع هي رواية البصريين (٤) .

ولم يشر الرافعى الى الحذف الشاذ في بعض الأمثلة أتى ذكرها ، ونقل ما أتى به السيوطى ، والتحقيق يفرض مراعاة كل ما قيل ، وملاحظة كل الوجوه ، حتى لا يظن أنه ليس هناك الا الوجه الذى ذكره سبيلا الى التمكن اللغوى .

وابن جنى يجعل الحذف من شجاعة العربية . ويقرر أن العرب قد حذفت الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة . وليس شيء من ذلك الا عن دليل عليه . والا كل فيه صرب من تكليف علم النحيب

(١) محمد يحيى الدين عبد الحميد : بحثة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل - مع كتاب ابن عقيل ج ١ ص ٢٦٧ .
(٢) من مطبوعة طرمة بن الصد - وفي رواية أحضر الوغى . . وأن أشهد اللذات هل أنت مخلصى ؟ وفي رواية أخرى : ألا ايهذا اللانى أن أشهد الوغى . . وأن أحضر اللذات هل أنت مخلصى ؟ (انظر هامش ص ١٠٤ من كتاب الصالحى لابن فارس) وانظر امالى ابن الشجرى ج ١ ص ٨٢ (الطبعة الاولى في مطبعة دائره المعارف لعنايته جدير آناد الدكن ١٣٤٩ هـ) .

(٣) السيوطى المزهر ج ١ ص ٣٢٧ وابن فارس الصالحى ص ١٩٧
(٤) صد السيج شيبانة مراسلت في النحو : الطبعة الاولى ١٩٦٢ دار الانوار ص ١٠٧ - ١٠٨ .

في معرفته (١) . ويمكننا أن نقول في الحذف ان العرب أكثروا من حذف ما تقوم عليه العربية . وباستقراء مواضع الحذف يتقرر أصل يمكن اطراحه ، وهو صحة الحذف لدليل (٢) . وبذلك اثار التخفيف ، والتفة بفهم الخطيب .

٣ « ذكر الواحد والمراد الجمع كقوله تعالى (هؤلاء ضفى) وقوله (ما هم عدوى) والمراد اجماعه . وذكر اجمع والمراد واحد أو اثنان كقوله : (ان يعب عن طائفة) وهو يريد واحدا . وقولاه .. (فقد صفت قلوبكم) وهما فلان . ومنها صفة اجمع بصفة الواحد كقوله تعالى (ولما أتتكم بعد ذلك ظفر) . وصفة الواحد أو الاثنان بصفة اجمع كقول العرب ثوب اهدام وجاء انشاء وقميصي اخلاق » (٣) .

وقد وضع ابن قتيبة هذا كله في باب مخالفة ظاهر اللفظ معه ، (٤) ولكن الراجح أثر ما صمعه السيوطي (٥) .

ويرى ابن فارس أنه ان عبر عن واحد بلفظ جماعة ، وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز (٦) ، ولا ريب في أن ذلك تشاع .

ومن المهم أن نشير الى أن المناسبة ثابتة ، وان بدت مخالفة ظاهر اللفظ معناه فالواحد في المثال الاول يعد منسبا لأن أصل الضيف مصدر ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامه كلامهم (٧) . يقول الرازي الاصفهسي (٨) : « ورحل عدل يقال في

(١) الخصائص ج ٢ ص ٢٦٠ وانظر الحذف وانواعه ص ٣٦٠ — ٣٨١ .

(٢) انظر ابن هشام معنى اللبيب ج ٢ ص ١٤٢ الحذف . والثعلبي لغة اللغة ص ١٦٢ — ١٦٣ طبعة الحجر ١٢٨٤ هـ وابن السجري الامالي ١/٣١٩ وما بعدها ، ٢/٢ وما بعدها .

(٣) الرامعي : تاريخ أدباء العرب ص ٢٢٢ .

(٤) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٢١٨ — ٢٢١ .

(٥) المرمره ١ ص ٢٢٢ .

(٦) الصاحبي ص ١٦٠ .

(٧) الرازي الاصفهسي : المردات ص ٣٠٢ .

(٨) نفس المصدر ص ٢٢٨ .

الواحد والجمع . قال الشاعر فهم رضاوهم عدل (١) . وأصله مصدر كقوله : وأشهدوا ذوي عدل حكم أي عدالة » . فالمصدرية هي التي أعطت وجهها المناسبة وأما عدو في المثال الثاني فإن ابن سيده يقول (٢) « وأعدو ضد الصديق يكون للواحد والاثنين والجمع والأشياء والذكر بلفظ واحد . وفي التنزيل (سهم عدولي) » .

قال مسبوته عدو وصف ولكنه صارح الاسم . وقد يثنى . وجمع ، ويؤنث والجمع أعداء » وانضمضرى يرى أن « العدو والصديق بحثان في معنى الوحدة والجماعة » قال .

وقوم على ذوي مشرته
أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى « وهم لكم عدو » ثمها باصدر للموازنة كاقبوق والولوع والحنين والنصيل » (٣) . « ويذكر العيونى بى أن « أنه يستوى في العدو الواحد والجمع والذكر والأنثى » ومد يثنى ، وجمع . ويؤنث في بعض المصنفات » (٤) .

أما محمد بن حسن الرضى فيرى أنه قد يقع المفرد موضع الجمع كقوله تعالى « ويكونون عليهم صدا » . وقوله . « وهم لكم عدو » . وذلك يجعلهم كذات واحدة في الاجتماع والترادف كقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون كمن واحد » (٥) .

وأما قوله في ذكر الجمع والمراد واحد « أن يبع عن طائفة » . فإن الرابع الأصحهاى يقول (٦) : « والطائفة إذا أريد بها الجمع » .

(١) انظر ابن قتيبة : ناول بشكل القرآن ص ٢٢٠ واس حى الخصائص ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) المحكم : تحقيق عبد السناجر قراح للجزء الثاني ص ٢٢٩ .

(٣) الكشف طبعة ١٢٨١ هـ دار المطبعة بولاق ج ٢ ص ١١١ (مسورة الشجر) .

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ٤ ص ٣١ تحقيق محمد عى النجار القاهرة ١٩٦٩ . المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية .

(٥) الرضى : شرح الكافية ج ٢ ص ١٩٧ .

(٦) المرادات ص ٣١٥ .

فيجمع طائف • وإذا أريد بها الواحد فيصح أنه يكون جمعا ويكنى به عن الواحد • ويصح أن محط كراوية وعلامة • ونحو ذلك • وقوله تعالى : « فلولاً مقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » • قال بعضهم : قد يقع ذلك على واحد فصاعدا ، وعلى ذلك قوله « وإن طائفتان من المؤمنين — اذ همت طائفتان منكم » • والامر أصبح واضحا ويزيده وضوحا قول اللسان (١) : « واطائفة من الشيء جزء منه »، يولى التوفيل العريض : « وليشهد عدايتهم طائفة من المؤمنين »، فكل مجاهد لاطائفة الرجل الواحد إلى الألف • وقتل الرجل لواحد فما فوقه • وروى عنه أيضا أنه قال أقله رجل • وقال عطاء أقله رجلان يقال طائفة من الناس ، وطائفة من الليل • وفي الحديث « لأثرال طائفة من أمتي على الحق » • الطائفة أجماعة من الناس ، وتقع على الواحد كأنه أراد بسا طائفة • وسئل اسحق بن راهويه عنه فقل الطائفة دون لالف • • • ويقول ابن قتيبة (٢) « وقال قتادة في قوله تعالى (إن نعت عن طائفة منكم معذب طائفة) التوبة (٦٦) : كل رجل من القوم لأيمانهم على أقاويلهم في النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسير معانيها لهم فسماء الله طائفة وهو واحد » •

وفي العمل على لمسى ذكر ابن حنبل أمثلة في الواحد والجماعة منها قوله تعالى : « على من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » • « فأفرد على لفظ من ثم جمع من بعد • وقتل عبيد : فالتقطبيات قل الذنوب •

وانما القطبية ماء واحد معروف • وقال الفرزدق :
فيليت دارى بالمدينة أصبحت
بأجفار فلجج أو سيف الكواظم
يريد الجفر وكلمة • • • (٣) •

(١) لسلس العرب لابن منظور طبعة مصورة عن طبعة مولاي :
ترائنا نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ج ١١ ص ١٢٠

(٢) نوايل مشكل القرآن ص ٢١٨ •

(٣) ابن جني الخصائص ج ٢ ص ٤١٩ — ٤٢٠ •

وأما قوله تعالى : « فقد صفت قلوبكما » • وهما قلبان فهو من ذكر الجمع والفراد اثنان • وأما عبر بالجمع مع أن المراد التثنية • لأن التثنية في الحقيقة جمع لغوى (١) • ولأنه مما لا يقع فيه لس ولا اشكال • فمن المعلوم ألا يكون للاتساع القلب واحد (٢) • وعند أن التثنية جمع لغوى « لأن الجمع في اصطلاحهم يطلق على الاثنين كما يطلق على ما أراد على الاثنين • ويؤيد هذا شواهد كثيرة مبيحة في مقدمتها القرآنة • قال تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في بحرث إذ بعثت فيه غيم القوم وكنا لحكمهم شاهدين • وقوله تعالى • « ان تتوب الى الله فقد صفت قلوبكما » • وقوله تعالى • « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين • وقول أبى ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه الحمسة الذين ماتوا بالطاعون :

المسي معدهم كان حداثها
سملت بشوك • فهي عورا تدمع

فأطلق الجمع في قوله حداثها • وهي جمع : « حذفة » -
وأراد الاثنين •• (٣) •

وفي شرح الكافية أن كثيرا ما يجيء المثنى بصيغة الجمع (٤)
نحو قوله « صفت قلوبكما » • وصرح النحاة بأن كل مثنى في المعنى
مما عد إلى متصمه يجوز فيه الافراد والتثنية والجمع والافصل

(١) حاشية الحضري على ابن عثيل : الطبعة الاولى بالمطبعة
الازهرية المصرية سنة ١٣٠٦ هـ ج ٢ ص ٥٦ وانظر إلهي ابن الشجري
ج ١ ص ١٢ •

(٢) انظر إلهي ابن الشجري ج ١ ص ١٢ وفي إلهي ابن الشجري
أيضا ج ١ ص ١٢ قال بسوءه وسألته يعني الحليل عن قولهم ما احسن
وجوهها وهم يريدون اثنين فقال لأن الاثنين جميع • وهذا بمنزلة قول
الاثنين نحن نعلما • ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون مفردا وبين
ما يكون شيئا من شيء • انظر تفسير ابن الشجري ذلك ص ١٢ •

(٣) عباس حسن : النحو الواقي : الطبعة الخالصة دار المعارف
بمصر ج ١ رقم ١ من هامش ص ١١٩ • وانظر (ز) من ص ١٦٠ ورقم ٢
من هامش ص ١٢٧ وانظر الرصم شرح الكافية ١٦٦/٢ وشرح الاشموني
ج ٣ ص ٥٦ •

(٤) الرصم شرح الكافية ٨/٢ وانظر إلهي ابن الشجري ج ١
ص ١٢ - ١٣ •

انجمع نحو المثال السابق. وإنما فصل الجمع على انفية لان المصنفين كالشيء الواحد ، مكرهوا الجمع بين تثنيتهما ، ولان اشئ جمع في المعنى ، ومفصل الجمع على الافراد لان الافراد ليس كذلك ، فهو أقل منه منزلة في الدلالة على الشيء (١) .

وأما صفة الجمع بصفة الواحد كقوله تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير » . فن ظهيرا على فعل يستوي فيه المدكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع بسبب كونه على زنة المصدر مثل الضمير والصهيل . والمصدر بخبر به عن الواحد والمثنى والجمع بلغظ واحد . ومن عادة العرب أن يعطوا الشيء الذي يشبه شيئا حكم ذلك الشيء تحميما لمقتضى المشابهة ، وقد وردت صيغة فاعل هنا امحبرا بها عن الجماعة (٢) .

ومثل ظهير في معنى ظهراء قول الشاعر :

يا عاذلاتي لاتزدين ملامتي

ان المـوافـل لسن لي بأمر

يعنى لسن بأمر (٣) . وقوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا » . أى رفقاء (٤) وفعل يشبه فعولا لانه صفة مثله وثالثه حرف مد ، وقد استعملوا فعولا للكثرة لانه على نطق « فـعـول » أى يقع مصدرا نحو القبول والولوع (٥) .

وصفه الواحد أو الاثنين بصفة الجمع كقول العرب ثوب أهـدام وجاء

(١) عباس حسن : النحو الوائى ج ١ رقم ١ ص هـاشم ص ١١٩ — ١٢٠ وانظر شرح الكافية ١٩٦/٢ وحاشية الصبان ٥٦/٣ وشرح الاثموني ٥٦/٣ وحاشية الخضرى ٥٦/٢ .

(٢) محمد محبى الدين عبد الحميد منحة الحليل بتحقيق شرح ابن عقيل ج ١ هـاشم ص ١٩٦ .

(٣) الجوهري تاج اللغة وصحاح العربية طبعة ١٢٨٢ هـ ج ١ ص ٣٥٦ والو منصور الأزهرى : تهذيب اللغة ج ٦ ص ٢٤٧ . وانظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٠ .

(٤) الو منصور الأزهرى تهذيب اللغة ج ٦ ص ٢٤٨ والو على الفارسي الحجة ج ١ ص ١٦٩ .

(٥) كتاب في أصول اللغة — مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٦٩ ص ٧٨ .

الشتاء وميمصى أخلاق من الأمور التي يتحقق فيها نظم القرينة •
« وصيغة أعمال قوى شبيهها بلفظ المفرد حتى قال بسبويه أن لفظه
مفرد ولذا أكثر وصف المفرد به في نحو : برمة أعشار • وثوب أسمال ،
وقميمصى أخلاق عال الراجز : جاء الشتاء وميمصى أخلاق • وكذلك
مطفة أمشاج ، وقد رجع الضمير إليه مفردا مذكرا في قوله تعالى
« وإن لكم في الأنعام لعبرة • سنتكم مما في بطونه » (١) •

ويرى الجوهري أنهم يقولون ثوب أخلاق إذا كانت الخلقة
فيه كله ، كما قالوا برمة أعشار (٢) • وفي الأصحبي « ويقولون
أرض سباسب يسعون كل بقعة منها سباسب لاتساعها » (٣) •

ويقرر ابن جنى أن غول مرأحم العقلى :

لفل رهيا خاشع الطرف حطه
نخلب جدوى والكلام الصرائف

من وصف المفرد بالجمع ، وذلك وصف على المعنى كما حكى
أبو الحسن عنهم من قولهم : ذهب به أسدينار الحر وأسدرهم
البين • وكما قل •

تراها النخع أعظمهم رأسا

فأعاد الضمير على معنى الجنسية لأعلى لفظ الواحد ، لما كانت
الضبع هنا جنسا (٤) •

٤ — « إن تخاطب العرب الشاهد ثم تحول الخطاب إلى العائب،
وتخاطب العائب ثم تحوله إلى الشاهد • وهو الالتفات المعروف في

(١) د. محمد بدرى المختون — دراسة نظرية تطبيقية في علمي
الصرف والعروض — القسم الأول — مكتبة الشباب — مطبعة الرسالة
١٩٦٦ م ص ١٤٠ •

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية — طبعة المطبعة الكبرى ١٢٩٢ هـ
ج ٢ ص ٨١ •

(٣) ابن مارسى المصلحى ص ١٨١ — ١٨٢ واسطر اللسان
٢٤٩/٦ ، ٨٦/١٦ •

(٤) ابن حنى الخصائص ج ١ ص ٢٥ — ٢٦ •

ابديع . وان تخطب المخطب ثم ترجع المخطب الى غيره نحو
 موله تعالى « فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله »
 الخطاب الاول لنبي صلى الله عليه وسلم ومحابته ، والثاني
 لمُسْرِكِينَ . والرجوع من الخطاب الى العيبة ، ومن العيبة الى
 الخطب بدو تعبير في المعنى كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
 وجرين بهم اراد بكم . وقوله (وسفاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا
 كان لكم جزاء) . ومعناه كان لهم . وقد جاء في الشعر ايضا كم
 رواء ابن الاثير في الاضداد (١) . وقريب من هذا النوع ان
 سديء شيء ثم يخبر عن غيره كقوله (والذين يتوفون منكم
 ويذرون أزواجا يتربصن) فخير عن الأزواج بلفظ يتربصن ، وترك
 الدس (٢) .

وأمثلة الالتفات تعد من مبدل اخراج الكلام على خلاف
 مقصي الطاهر ، وقد جعله ابن قتيبة في باب مضافة ظاهر اللفظ
 معناه (٣) .

والالفاظ تعدد جمهور علماء المعنى هو : « التعبير عن معنى
 بطريق من الطرق الثلاثة التكميم ، والخطاب ، والغيبة — بعد التعبير
 عن هذا المعنى بطريق آخر من هذه الطرق . ومن هذا ان تعريف
 بعلم أن لا بد فيه عندهم من تعبيرين ، وأن يكون التعبير الثاني
 على خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام ، وأن واقع ظاهر المقام .. » (٤)
 والالفاظ عند اسكاكي هو « التعبير عن المعنى بطريق مخالف لمقتضى
 الطاهر من الطرق الثلاثة المتقدمة . سواء سبقه تعبير آخر بطريق
 أخرى من هذه الطرق .. أو لم يسبقه تعبير آخر أصلا كما في مثل
 قول الشاعر :

(١) الرامعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٣٢ وانظر ابن قتيبة توكيل
 مشكل القرآن ص ٢٢٣ والسيوطي المزهر ج ١ ص ٢٣٤ .
 (٢) الرامعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٣٢ — ٢٣٣ والسيوطي
 المزهر ج ١ ص ٣٣٤ .

(٣) توكيل بشكل القرآن ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
 (٤) حابد عوني مذكرو الملاعة الطبعة الثانية دار الكتاب العربي
 ص ١٥٢ وانظر الايضاح في علوم الملاعة للخطيب القسري شرح
 د. محمد عبد المصم خلفي نشر دار الكتاب اللبناني (١٩٧١) ج ١ ص ١٥٧

الهي عبدك المعاصي أتكا
مقرا بالذنوب وقد دعاكا

فان فيه التماثا عدد السكاكي في قوله : « عبدك المعاصي أتكا »
لانه تعبير عن المعنى بما يخالف مقتضى الظاهر ، اذ مقتضاه أن يعبر
بمعبر التكلم لأن المنام له ، فيقال : « لها المعاصي أتيتك » . ولا
يعتبر التفتد عدد الجمهور لعدم وجود تعبير سابق عليه ، كما
هو الشرط عندهم « (١) » .

والراعي يهتم بعملية اللمت فجأة عن المعنى الظاهر ، ثم
اللمت بروح الكلام (٢) وما تأتي به من هزة الطرب ، والمتعة
واللذة ، والاحداث والتجديد وانطرافة والنشاط والجمال
والحلاوة والظرف (٣) ويمرح بأن حلك الذي ذكره من اسنن هو
الالتفات المعروف في ابديع (٤) . وبعض الباحثين يرى أن المقام
« قد يقتضي مراد اصفاء السامع ، واسترعاء اهتمامه لخطر شأنه ،
كأن يكون المقام مدحا في عظيم أو ادلاء بحجة ، أو نحو ذلك . ومن
هذه الناحية يكون من مبحث علم المعاصي ، فتسمية ذلك النقل من
طريق أبي طريق التفتد عند علماء المعاصي لاتنافي في تسميته بهذا الاسم
عند علماء البديع « (٥) » .

وأما قوله تعالى : « والأذين يتوفون منكم ويفرون أزواجا
يتربصن » وذكر أنه خبر عن الأزواج بلعظ يتربصن وترك الذين —

(١) حامد عوني مذكره البلاغة ص ١٥٤ وانظر الايضاح في علوم
البلاغة للطبيب القزويني ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) الراعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٣١ وانظر الايسح للخطيب
القزويني ج ١ ص ١٦٠ .

(٣) ويرى ابن الاثير أن الانتقال من أسلوب الى أسلوب لا يكون
إلا فائدة أو قسمة غير أنها لاتحد بعد ولا بضبط بصمط لكن بشار
إلى مواضع منها ليناس عليها غيرها . انظر قد رأى الزمخشري في كتابه
المثل السائر طبعة مولاتى ١٢٨٢ ص ٢٥٤ .

(٤) تاريخ آداب العرب ص ٢٢٢ .

(٥) حامد عوني مذكره البلاغة ص ١٥٩ .

فقد قيل ان يتربص « خبر من الذين والرابط معفوف أى لهم أو بعدهم ، ورجح الاول بقية الاضمار وبما فى الكلام من الايماء الى ان العدة حق المتوفى ، وقيل خبر لمحذوف أى أزواجهم يتربص والجملة خبر الدين . وبعض البصريين قدر مضاعف فى صدر الكلام أى أزواج الدين ومن نساؤهم . وفيه أنه لا يبقى ليعززون أزواجا فائدة جديدة يعتمد بها . ويروى عن سيبويه أن الذين مبتدأ والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم حكم الذين الخ . وحيث أن يكون جملة يتربص بيانا لذلك الحكم وفيه كثرة الحذف . وذهب بمس المحققين الى أن الذين مبتدأ ويتربص خبره والرابط حامل بمجرد عود لضمير الى الأزواج ، لأن المعنى يتربص الأزواج اللاتى تركهن . وقد أجاز الاخفش والكسائى مثل ذلك وبولا أن الجمهور على منعه لكان من الحسن يمكن (١) » .

٥ — نسبة الفعل الى الاثنين وهو لاحدهما كقوله : « مرج البحرين يلتقيان » الى قوله : « بخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » . وانما يخرجان من الملح لا العذب . ونسبته الى الجماعة وهو لاحدهم كقوله : « واد تثلثتم نفسا فدار أتم فيها » . والقائل واحد . والى احد اثنين وهو لهما كقوله : « واله ورسوله أحق أن يرضوه » (٢) وهذه الامور فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه عند ابن قتيبة أيضا (٣) . وقد نظها الزاغى من لزهو الذى أخذها من اصحابى (٤) . حيث بجدها فيه فى بابى .

ويقول الزمخشري (٥) « من قلت لم مان منها ، وانما بحرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالتشيء الواحد جاز أن يقال

- (١) محمود الالوسى روح المعانى الطبعة الاولى بالمطبعة الكرى الحرية بولاق ١٣٠١ هـ الجزء الاول من ٤٢٩ — ٤٤٠ .
 (٢) الرامى : تاريخ آداب العرب من ٢٣٣ .
 (٣) تأويل مشكل القرآن من ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ .
 (٤) ابن فارس الصاغى من ١٨٥ — ١٨٦ باب التشيين بسبب العمل اليهما وهو لاحدهما — سبب نسبة العمل الى احد اثنين وهو لهما . والنسبوطى : المزهج ١ من ٣٢٤ .
 (٥) الكشاف : طبعة ١٢٨١ هـ دار الطباعة بولاق ٢ من ٣٦٩ .

يخرجان صهما ، كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ، ولكن من بعضه • وتقول خرجت من البلد ، وانما خرجت من محلة الى محلة بل من دار واحدة من دور • وقيل لا يخرجون الا من ملتقى الملح والمذبح •

ويرى ابن جنى انه يحتمل أن يكون الكلام محمولا على حذف المضاعف والتقدير يخرج من أحدهما (١) ، لا منهما • وقيل أبو الحسن وزعم قوم أنه يخرج من المذبح أيضا (٢) •

وفي كتاب الله حل ثأؤه . « فلما بلغا مجمع بينهما بسيا حوتهما » الكهف (٦١) • وروى في التفسير أن الناسي كان يوشع بن نون • ويدل على ذلك قوله لموسى صلى الله عليه فبني نسيت أنحوت (٣) •

أما قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » وهو من سبه الفعل الى أحد اثنين ، وهو لهما • فعلى تقدير أن يكون التركيب المذكور جملة واحدة ، وأن توحيد الضمير انما هو لعدم التفاوت بين رضا الله ورضا رسوله واعتبارهما في حكم مرضى واحد • وقيل انه من حذف المسند على تقدير « والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك » فقد حذف المسند الى رسوله لاحدى فكأن الحذف (٤) ••

وفي قول الشاعر :

ان شرح الثسباب والشمع الاسود
مالهم يعامن كان جموا

(١) ابن جنى : الحصاص ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢) نفسه ج ١ مابش رثم (٥) ص ٢٩٣ .

(٣) ابن قتيبة تأويل بشكل القرن ص ٢٢١ واطر اس مارس الصالح ص ١٨٥ والنعماني : لغة اللغة ص ١٧٥ •

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ج ١ ص ١٦٩—١٧٠ ومذكرة البلاغة لأحمد عيسى ص ١٧٤ واطر امالى ابن الشجرى ج ١ ص ٢١٠ وراجع أيضا ص ٢٩٦ •

قال ابن الشجري (١) « قال سم بعاصم مفرد لضمير وإن كان لاثنتين ، وذلك لا نكل واحد منهما بمنزلة الآخر مجزيا محرى الواحد . ألا ترى أن شرخ الثياب هو اسودد الشعر ؟ ولولا أنهما لأصاحبهما صاراً بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقل يعاصيا » .

٦ - أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنتين كقول العرب أفعلا ذلك . ويكون المخطب واحداً . وكان الفراء يرى في أصل ذلك أن الرفقة عند العرب أدنى ما تكون ثلاثة نفر ، فيجوز كلام لواحد على صاحبيه . ولذا كان شعراؤهم أكثر الناس قولاً يصاحبه ويأخذه » (٢) .

وما قاله ابن قتيبة في باب مثاله ظاهر اللفظ أدق وأكمل . ففى رأيه أن من هذا الباب : « أن تأمر الواحد والاثنتين والثلاثة مما فوق أمرك الاثنتين فتقول أفعلا . قال الله تعالى : « ألقيا في جهنم كل كمار عتيد » ق ٣٤ . الخطاب لخرقة جهنم أو زبانيتهما (٣) . قال الفراء : والعرب تقول ويئك أرحلاها وأرجراها . وأشد لبعضهم :

فقبلت نصاحبي لاثنتين

بنزع أصوله واحترشبحا (٤)

قال الشاعر :

فإن ترجعرائنى يابن عفان أنزجر

وإن تدعائى أحمر عرضاً منما » (٥)

(١) إنبلى ابن الشجرى ج ١ ص ٢٠٩ . وأما هو حسبان من ثابت امطر ديوامه ٤١٣ وانظر اللسان شرح الحيوان للجاحظ طبع الحلبي ١٣٥٨ - ١٣٦٦ ج ٣ ص ١٠٨ ، ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٢) الفراءى : تاريخ آداب العرب ص ٢٢٢ وانظر السيوطى المزهج ج ١ ص ٢٢٤ ٢٢٥ .

(٣) فى لغة اللغالى (فصل فى أمر الواحد بلفظ امر الاثنتين) ص ١٥٧ أن توله عر وحل الفسا فى جهنم كل كمار عند هو خطاب لملك حازن النار . وراجع قولاً آخر فى نفس الآية ومن المصدر ص ١٥٧ .

(٤) فى الصاحص ص ١٨٦ (واحدز) وفى اللسان أن المعنى لاثنتين عن شيء اللحم بن يتلصص أصول الشجر بل جر ما يوسر من نصيبه وعيداته ، وأسرع لنا في شيء . قال : ويروى لاثنتين وقيل فى معناه أن العرب ربما جعلت الواحد بلفظ الاثنتين .

(٥) فائول بشكل الفراء ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وبعد ذكره الأصل عند الفراء يقول (١) : « وقال غير العراء
قال النسي صلى الله عليه وسلم الواحد شيطان ، والاشنان شيطانين
والثلاثة ركب (٢) » . وتوعد معاوية روح من ربيع فاعتذر روح
مقال معاوية حلباً عنه .

إذا الله سئى عقد شئى تمسرا

وغوله : سئى . أى فتح . قالوا وأدسى ما يكون الأمر والماهى
بين الاعوار اشار . فجرى كلامهم على ذلك . ووكّل الله عز وجل
بكل عبد ملكين . وأمر فى الشهادة بشاهدين * »

ومن المحققين من يرى أنه قد تقدم افعلًا مقام افعل على تأويل
«عمل افعل ائمة لتكرير الفعل مقام تنبّه الفاعل لملايسة التي
بينهما (٣) » .

٧ - « أن تأتى بالفعل بلفظ الماضى وهو حاضر أو ملغى
المستقبل وهو ماضى كقوله تعالى (أتى أمر الله) أى يأتى (واتبعوا
ما تناهوا الشياطين) أى ما نلت الشياطين » (٤) .

وهذا من احجج من مقتضى الطاهر . أما الاول فمكتته انشبيه
على تحقق الوقوع . وأن ما هو للوقوع كالواقع . يقول
الرمحشبرى (٥) « أتى أمر الله » الذى هو بمنزلة الآتى الواقع .
وأن كان مستظرا لقرب وقوعه » . وجعل المتوقع الذى لاند من
وقوعه كالواقع له أمثلة كثيرة (٥) .

وأما الثانى فمكتته استحضار الصورة المحيية ، لان مقتضى
الظاهر فى المثال الثانى أن يقال « ما نلت الشياطين » . لأن هذا

(١) نفس المصدر من ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الرضى : شرح الكافية ١٩٧/٢ .

(٣) التامه : تاريخ آداب العرب من ٢٣٣ واطر تأويل مشكل
القرآن من ٢٢٧ والمهرج ١ من ٣٣٥ .

(٤) الكشف ج ١ ص ٤٣٠ .

(٥) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن من ٢٢٧ والثمالى :

مقه اللغة من ١٥٧ - ١٥٨ وحامد عونى مذكرة الملاحة ص ١٦٦ .

وامع فعلا ، ولكن عبر بلفظ المستقبل على خلاف مقتضى الظاهر
لفصد مستحضر لصورة ، وكأنها واقعة . ولهذا أيضا أمثلة
كثيرة (١) .

والعبراني في كلف الصوريين من قبيل مجاز التشبيه (٢) .

والحامل على هذا هو قصد المبالغة . « وهذا التمرغ — وإن
كان من وظيفة البلباس — يعد من وظيفة علم المعاني من حيث أن
الداعي إليه انتبيه على تحقيق اللومع في الأول ، واستحضار الحال
الماضية في الثاني ، فلا استثناء » (٣) .

٨ — « أن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل نحو سركتم أي مكتوم .
وأمر عارف أي معروف ، وبالفاعل على بلفظ المفعول كقولهم بمع
معون ويكون المعنى عابنا » (٤) ، و « أقامة المصدر مقدم الامر
نحو ضرب الرقاب واسم الفاعل مقام لمصدر كقوله : ليس لوقعتها
كدمة أي تكبيب . واسم المفعول مقام المصدر نحو بلبيكم المقتور
أي الفتنة » (٥) . وقد ذكر مسألة الإقامة في موضع آخر ولكننا
أترد أن نأتي به هنا فهو مذهب لتبدل بين اسم لفاعل والمفعول .

وبعد ذكر المحاذة أتى بم فصل أن يكون موضعه هنا . وهو
« انبهم بالمصدر من غير الفعل لأن المعنى واحد كقولهم اجتوروا تجاوروا
ونجاوروا اجتورا . وانكسر كسرا وكسر كسرا . وعليه قوله (وتبتل
إليه تبتيلا) . ومجىء صفات المؤث على فاعل كقولهم امرأة بادن
أي باده ، وجارية عاتق بمعنى صغيرة . ومجىء فاعل في المؤث
بمعنى المعون كقولهم دابة حسر أي حسر السير وغاللة رادع
أي مردعة بالطيب والزعفران في مواضع منها .. » (٦) .

(١) انظر ابن فارس : الصحاح ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٢) هابذ عوني : مذكرة البلاغة ص ١٧٠ .

(٣) نفسه وانظر الإيضاح في علوم البلاغة للحطيط القزويني ص ١

ص ١٦٤ .

(٤) الرامعي : تاريخ آداب العرب ص ٢٣٣ .

(٥) نفسه ص ٢٣٤ .

(٦) نفسه

وما صنعناه ينأى عن المصل بين أمور من حمها أن تقتارب في
الدرس • ومما يحذر ذكره أن الصحابي ذكر في باب الموعيص أيب
بعض الأمثلة السابقة فمن التعويض عنه — وهو إقامة الكلمة مقام
الكلمة — إقامة المصدر مقام الأمر نحو عصب السرقاب والفاعل
مقام المصدر نحو ليس وقعتها كدبه أى تكديبه والمفعول مقام المصدر
نحو بأيكم الممتون ، أى الممتة والمفعول مقام الفاعل نحو حمها
مستورا أى سائرا (١) •

ورى ابن قتيبة أن مجيء الفاعل على لفظ المفعول قليل كقوله :
« انه كان وعده مأثرا » (مريم ٦١) أى آت (٢) • وبذكر أمثلة
كثيرة يأتي منها المفعول بلفظ الفاعل (٣) •

وأذا درسنا سر نيابة كل لفظ منهما عن الآخر ناسا محد آراء
مختلفة • من آراء من يقرر أن الصيغتين اثلاثيتي لاسمي أفعال
والمفعول تسويبا في مبينهم عن غيرهما • فلا عربة في نيابة كل منهما
عن الآخر (٤) • والفارق بينهما في الصياغة من غير الثلاثي قد يكون
تقديره لا يظهر في النطق لعارض الاعلال بالقلب أو الادغام « فالكلمة
حينئذ سالحة في ديتها للوصفين وذلك إذا كان الفعل على وزن افتعل
أو أنفعل الأجوفين نحو اختار وانقاد ، أو المصعمين نحو امتد وانحر
أو فاعل أو فاعل أو أفعال المصعفات نحو حاد واحمر واحصار
فالمدار على القرينة ، ويختلف الوزن بالتقدير » (٥) •

(١) ابن فارس الصحاح ص ١٦٩ — ٢٠١ وانظر المزهر
ص ٢٢٧ — ٣٣٨ •

(٢) تأويل بشكل القرآن ص ٢٢٩ وانظر الصحاح ص ١٨٨ •

(٣) تأويل بشكل القرآن ص ٢٢٨ — ٢٢٩ وانظر الصحاح
١٨٧ — ١٨٨ ومعه اللغة للثعلبي ص ١٥٨ •

(٤) محمد الطبطبائي : نغية النجاء في تصريف الاسماء — دار
انصارى للطبع والنشر الطبعة الأولى ١٩٢٩ ص ٨٩ وراجع صفحات
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ وانظر حاشية الصبان على شرح لاشونى • طبع
دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٥ •

(٥) محمد الطبطبائي : نغية النجاء في تصريف الاسماء ص ٨٨ •

والاستعلاء به اعتبار في الميجه (١) . ولكن الرضى في شرح
الكافية يحكى الاولى فيقول (٢) : « قالوا وقد جاء فعل بمعنى معمول
نحو ماء دافق أى ماء مدفوق ، وعشبة راضية أى مرضية . والاولى
أن يكونا على النسب كتأكل ونأشب ، إذ لا يلزم أن يكون فاعل الذى
بمعنى المنسب مما لا فعل له كذلك بل يجوز أيضا كونه مما جاء منه الفعل
فمشتراك النسب واسم الفاعل في اللفظ . وكذا قيل يكون اسم
افعال بورر المفعول كقوله تعالى (انه كان وعده مائتيا أى آتيا) .
والاوى أنه من أثبت الامر أى فعله . فالمعنى أنه كان وعده مفعولا
كما في الآية الاخرى . والآية الاخرى « انه كان وعده مفعولا » ،
ومأنى باق على طهره .

وفي حاشية المصدر (٣) . « وقد بحىء اسم الفاعل بمعنى اسم
المفعول والعكس نحو عيشة راضية ونحو انه كان وعده مائتيا ، أى
مرضيه . وآتيا . وقيل الاول مجز غشى أى راض صاحبها .
والثاني من قولهم أثبت الامر أى فعلته » .

أما أمر عارف أى معروف فهو فاعل بمعنى مفعول ولكن الازهرى
يقول (٤) . « لم أسمع » أمر عارف « أى معروف لغیر الليث والذى
حصلناه للائمة : رجل عرف أى صبور . قال أبو عبيد (٥) وغيره
بقيل : برلت به مصيبة فوجد صورا عارفا .. » . وأما سر كاتم
أى مكتوم فهو عن كراخ (٦) . وقلمة المصدر مقام الامر نحو
عصر الرقاب لأن حذف العامل واجب مع مصدر أت مدلا من
فعله ، أى عوضا من اللفظ بفعله ، لدلالة القرينة عليه ، ولانه لا يجوز

(١) محمد الطحاوى : بصريف الاسماء للطبعة الثانية ١٩٥٥م
مطبعة وادي الملوك ص ١٤٣ .

(٢) ٢٣١/٢ .

(٣) ٢٣٥ ص ٢٣٥ .

(٤) تهذيب اللغة ج ٢ تحقيق محمد على النجار الدار المصرية
للتأليف والدراسة ١٩٦٦ ص ٣٤٤ ونظر لسان العرب ج ١١ ص ١٤١
(الطبعة المصورة) .

(٥) ق لسان العرب « سيدة » بطر ج ١١ ص ١٤١ .

(٦) لسان العرب ج ١٥ ص ٤١٠ ، الطبعة المصورة .

الجمع بين لبدل والمبدل منه • والحذف في هذا المثال لان المصدر واقع في الامر ، كقول الشاعر :

على حين ألمى الناس جل أمورهم
فندلا زريق المال ندل الثعالب (١)

فندلا بدل من الملعظ باندل ، والاصل اندل ييزريق المال أى احتفظه ، والاصل فى « فضرِب الرهاب » فاصربوا الرهاب (٢) •

والمصدر لاسفوم مقام الامر فقط • مل يقول مقام غيره أبصا كما ذكر النحاة (٣) • ويمكن القول بأن الحذف الواجب على نوعين واقع فى الطلب • وواقع فى الخبر • والنوع الثانى هو مادل على عامله قريبه وكثير استعماله (٤) • والواقع فى هذين النوعين هو المصدر • وهناك حذف العامل حوازا لدلالة القرينة عليه ، كما أن هناك حذفاً يمتنع كحذف عامل المصدر المؤكّد ، لانه انما جيء به لتقوية عامله وتقرير معناه ، والحذف يذوق ذلك • ونزارع فى ذلك بعض العلماء (٥) • وبين بعضهم ما قبل فى الرد عليه ذاكراً ما أثبتته تحقيق الامر (٦) •

والذى يهمنا أن النوع الاول فى الحذف الواجب مقبوس على الصحيح بشرط أن يكون له فعل من لفظه • وأن يكون مجرداً منكراً بخلاف النوع الثانى السماعى على الصحيح الا ما ذكر من الواقع تمصلاً ومكرراً ودا حصر ومؤكداً للجملة ودا تنحيه ، فقياسى ، وكذا من السماعى ما كان من الاول لا فعل له من لفظه كويجه وويله أو لم يكن مجرداً منكراً (٧) •

(١) حاشية الصبلى على شرح الاشئبى • شرح الاشئبى
بالهامش مطبعة دار الكتب العربية ١٣٢٩ هـ • ٢ من ٧٦ — ٨٧ •

(٢) شرح الاشئبى • ٢ من ٨٧ وانظر أملى ابن التجرى • ١
ص ١٦٢ •

(٣) نفسه • ٢ من ٨٦ — ٨٧ • وانظر رأى ابن عصفور فى نفس
المرجع ص ٨٧ •

(٤) نفسه • ٢ من ٨٧ •

(٥) نفسه • ٢ من ٨٦ •

(٦) حاشية الصبان • ٢ من ٨٦ •

(٧) حاشية الصبان • ٢ من ٨٦ — ٨٧ •

والمصدر اذى أتى بدلا من النطق بفعله يعمل ، ولكن اختلف فيه . « ففيل لا يتقدس عمله » وقيل يتقدس في الامر والسدعاء والاستغفار فقط ، وقيل والانشاء نحو حمدا لله والوعد نحو قلت معم وبلوغا بغية ومنى . والتوبيخ نحو وفاقا لى الاهواء والغنى والهوى (١) . ومن اقامه اسم الماعل مقام المصدر قوله تعالى : « ليس لوفعتها كاذبة » « هي واقعة وغير منتف كوما ، والكاذبة ظاهره وجعله صفة لموصوف محذوف قدره ازمخشري « نفس كاذمة » أى لا يكون حين تقع نفس تكذب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة . . وقدره ابن عطية « حال كاذبة » (٢) . ويقول أبو على الفارسي في « ليس لموقعتها كاذمة » « هي واقعة وغير منتسف كوما ، والكاذبة يشبه أن يكون مصدرا كالعاقبة وأسعافية ونحو ذلك (٣) » . وقيل أن كاذبة كالطاعة في قوله تعالى : « فاهلكوا بالطاعة » والهاء للمبالغة كرجل راوية (٤) . ويرى أبو على الفارسي أن قوله تعالى : « فاهلكوا بالطاعة » يحتمل ضربين أحدهما أن يكون مصدرا كالعاقبة والعاقبة أى بضغائهم ، والآخر أن يكون صفة ، أى بالربح الطوعية (٥) .

وفي اقامة اسم المفعول مقام المصدر جاء الراغب بقوله تعالى « بأيكم المفتون » أى الفتنة . وقد قيل غير ذلك . ومنه أن المعنى غسبهم ويصرون في أى الفريقين المحضون أى في فرقة الاسلام أو في فرقة انكر أمم الباء مقام في أوجامت الباء زائدة . قال ابن بري اذا كانت الباء زائدة فالمفتون الانسل ، وليس بمصدر ، مان حطت الباء غير زائدة فالمفتون مصدر بمعنى الفتون . وجماع الامر أن في المفتون قولين للصحيح (٦) .

-
- (١) حاشية المبين على شرح التيسوى ج ٢ ص ٢١٢ .
 (٢) البحر المحيط : أبو حيان الاندلسي الطبعة الاولى مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ ج ٨ ص ٢٠٣ وانظر الزمخشري الكشاف ج ٢ ص ٣٧١ — ٣٧٢ .
 (٣) الحصص ج ١ ص ٢٥٠ .
 (٤) البحر المحيط أبو حيان الاندلسي ج ٨ ص ٣٢١ .
 (٥) الحجة ج ١ ص ٢٧٦ .
 (٦) ليس العرب . طبعة بمصر ج ١٧ ص ١٩٥ وانظر الزمخشري الكشاف ج ٢ ص ٤١٤ . وشرح الشنوية طبع المطبعة العلية ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٦٨ .

ولابد أن يشير إلى أن إقامة اسمي افعال والمفعول مقام المصدر من باب التبادل بين هذين النوعين وبين المصدر . لما بينهما من علامة الاشتقاق ومن المعلوم أن لكل من المصدر وهماذين النوعين صيغة شباسية خاصة به وأن معنى المصدر قد أريد في بعض الأحيان من صيغتهما ، كما أريد من صيغة معنيهما ، والقارئ توجب ملاحظة ذلك ، فجاء المصدر على صيغتهما كما مهم معنيهما من صيغته (١) . يقول الرمخشري (٢) « وقد يرد المصدر على ورن اسمي الماعل والمفعول كقولك قمت قائما ، وقوله - ولا خارجا من في زور كلام (٣) »

وقوله كنى بالمعنى من أسماء كلف (٤) .
ومنه الفاضلة والعافية والكافية والدالة والميسور والمعسور والمروع والموصوع والمققول والمجلود والمفتون في قوله تعالى (بآيكم المفتون) . ومنه المكروهة والمصدوقة والمأوية ، ولم يثبت مسيويه الوارد على وزن مفعول ، والمصبح والمصى والمجرب والمقاتل والمتحامل والمذبح ج . . » . ويذكر أمثلة أخرى . وشواهد تدعم كلامه (٥) ويأتى غيره بأمثلة أخرى تنيد التبادل بين المصدر واسم الفاعل ، ولكنه يذكر أن المصدر ورد بزنة اسم الفاعل قليلا ، وهم معنى اسم الفاعل ، من المصدر كثيرا . كقولهم رجل عدل وصدق وزور ونوم وماء عور . ولم يرد استبدال بينهما في غير الثلاثي ،

- (١) محمد الطنطاوى : تسميف الاسماء اسطمة الحاشية ص ٩٢ .
(٢) المصل : الطبعة الاولى ١٣٢٣ هـ مطبعة التقدم نشر محمد أمين الحاشي ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .
(٣) قاله البرزقي : وصدره : هـ على حمة لا تشم الذهب مسلما هـ .
امير المحكم والمحيط الاعظم في اللغة لاس سيده تحقيق ابراهيم الايبارى الطبعة الاولى نشر الخليل سمر ١٩٧١ م هـ ٥ ص ٣ . والخصائص لاس حتى ج ٢ ص ١٨٩ .
(٤) قاله بشر بن ابى حازم الاسدي . وعجره : وليس لحيها ان طال شافه وفي رواية أخرى : وليس لبايها اد طال شافه . انظر المفصل هاشم ص ٢٢٠ والخصائص هـ ٢ ص ٢٦٨ .
(٥) المصل ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

وندر فهم معنى اسم الفاعل من المصدر (١) • كما في قول الخنساء :

ترتفع ما رتعت حتى اذا ادكسرت

فانما هي اقبال وادبار (٢)

وفي تهذيب اللمة (٣) أنه جاءت مصادرة كثيرة على فاعلة • وهذا

يخالف ما سبق ويرى ابن جنى أنه من تحاذف الاعراب والمعنى ما جرى

من المصادر وصحا نحو قولك هذا رجل دنف وقوم رضا ورجل عدل •

فان وحفته بالصفة الصريحة قلت رجل دنف وقوم مرضيون (٤) •

والتبادل بين المصدر واسم المفعول قد وقع في الثلاثي • وجاء

المصدر بزنة اسم المفعول عند الجمهور بوان كان قليلا عند بعضهم (٥) •

ويمتنع عند سيبويه محي المصدر على وزن مفعول • وما جاء

أبقاء اسم مفعول بالتأويل فالميسور والمعسور صفتان للزمان على

هذف الجار واتصال الضمير والاصل زمان ميسور فيه ومعسور

فيه (٦) • والمعلول بمعنى المخبوس المشدود صفة للعقل اذ قل

كأنه عقل له شيء أى حبس له ليه وشده • والمفتنون اما أن تجهل

الباء في بأيكم زائدة أو أصلية بمعنى (في) • والحق مع الجمهور

لما في هذه التأويلات من تكلف (٧) •

وفهم معنى اسم المفعول من المصدر بعد كثيرا • ومعلوم

اشتراك المصدر الميمي مع اسم المفعول على سبيل الاصالاة في غير

(١) محمد الطنطاوى : تصريف الاسماء من ٩٢ — ٩٤ ونراجع

شروح على الشافية ج ١ ص ٦٨ وروح المعاني للأوسى لطبعة الاولى

بالمطبعة الكبرى بدولاق ١٣٠١ هـ ج ٨ ص ٣١٢ •

(٢) البعداوى خزفہ الادب • اشراق محمد محيى الدين عبدالحيد

— دار المعصور ج ١ ص ٢٩١ الشاهد ٧٠ •

(٣) ج ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ وانظر الحجة لى على الفارسي

ج ١ ص ٢٥٠ •

(٤) الخصائص ج ٣ ص ٢٥٩ •

(٥) محمد الطنطاوى تصريف الاسماء من ٩٤ وشروح الشافية

٦٨/١ •

(٦) شروح الشافية ج ١ ص ٦٨ •

(٧) محمد الطنطاوى : تصريف الاسماء من ٩٤ — ٩٥ •

الثلاثي . والصغير بينهما بالفرائ (١) * « ولا يخفى أن اسمي
افعال والمفعول يتضمنان الدات فحريين عليها .. وأن المصدر
لا ينضمها فلا بحري عليها الا على ملاحظه تأويله بأحدهما حسب
ما يتطلبه الغام ، أو تقدير مصاف قبله مطلق لدات ، فلا داعي
حسب إلى التأويل فيه . وكسلا الرأيين مقبول عن البصريين
واسكوبيين .. أما علماء البلاغة فيستوبه على حاله دون ملاحظه
أحد لوجهين السابقين بقصد المبالغة » (٢) .

وأما قول الرامعي : « ومنها أفعالهم بالمصدر من غير الفعل لأن
المعنى واحد كقولهم اجتوروا الخ » فإنه جرى على ما ذكره ابن سيده
في باب ما جاء بمصدر منه من غير الفعل لأن المعنى واحد (٣) « وذلك
قولك اجتوروا تجاورا ، ونحاوروا احتاورا لأن معنى
اجتوروا ونحاوروا واحد . ومثل ذلك اكسر كسرا وكسر اكسارا وكذلك
كل فطلى في معنى واحد ، وبرحس الى معنى واحد . اذا ذكرت
أحدهما حار أن تأتي بمصدر الآخر فتجمله في موضع مصدره فمن
ذلك قول الله تعالى « وتبئله إليه تبئلا » ومصدر تبئله تبئلا .
وتبئلا مصدر بتل فكأنه قال بتل .. وقد يجيء المصدر على خلاف
حروف الفعل اذا كان الفعلان متساويين في المعنى » (٤) .

وهذا الكلام لم يأخذ بمذهب من فرقوا بين المصدر واسم المصدر
فالمصدر محدهم هو اسم دال على الحدث جار على فعله (٥) .
ومعنى جريانه على الفعل ألا تنتقص حروفه عن حروف فعله لفظا
وتقديره دون تعويض . لأن المصدر يجب اشتغاله عن حروف فعله
لفظا أو تقديره أو مع التعويض . فاشتغاله لفظا نحو أخرج . والفعل
أخرج . وتقديره كسأل ، والعمل ماثل . حان أصله فيتألف بدليل النطق

(١) محمد الطنطاوي : تصريف الأسماء من ٩٥ .

(٢) نفسه من ٩٥ .

(٣) الخصص : الطبعة الاولى بالمطبعة الكبرى ببولاق ١٣٢٠ هـ

ج ١٤ من ١٨٦ — ١٨٧

(٤) المصدر السابق ج ١٤ من ١٨٦ — ١٨٧ .

(٥) محمد الحمري حاشيته على ابن مقبل الطبعة الاولى المصممة

الازهرية ١٣٠٦ هـ ج ١ من ١٨٤ .

بها . ومع التعميم نحو عدة وتكريم . ملثاء في عدة عوض عن فـ .
اللعن . والثناء في تكريم عوض عن الرأ المكرره .

فان اصحاب (١) - « وأما المدة اى قبل الآخر فليست للتعميم
بدين ثبوتها في المصدر حيث لا تعميم كالانطلاق والاكرام
والاستخراج . معلوم من ذلك أن العوض قد يكون آخرًا . وقد
يكون أولًا » .

فان دل الاسم على الحدث . ونقصت حروفه عن حروف الفعل
لفظًا وتقديرًا دون تعميم . فهو اسم مصدر نحو غسل غسلًا واكسر
كسرًا ونحو ذلك لفظًا الاسم هنا لفظًا وتقديرًا من بعض ما في الفعل .

وهم يعتبرون ذلك فرقًا بين المصدر واسمه من جهة اللفظ ،
أما من جهة المعنى فمدلول المصدر الحدث ، ومدلول اسم المصدر
لفظ المصدر من حيث معناه . وقال بعضهم انهما سواء في الدلالة على
الحدث (٢) ، والفرق بينهما من جهة اللفظ فقط وغرض هذا المذهب
من تحلية الفرق بين المصدر واسمه ألا يحدث ثمة اشتباه بينهما (٣) .

ومضى السائحان يرى أن استدرة بين المصدر واسمه . انما هي
في صطلح افتأخر من اسماء ، أما المتقدمون منهم كسبويه ،
والفويون ، فليس عددهم فرق بين مصدر واسم مصدر . فكل ما دل
على الحدث فهو مصدر (٤) .

(١) حاشيه على شرح الاشونى ج ٢ ص ٢١٤ .
(٢) محمد الفخرى حاشيه على ابن عثيل ج ١ ص ١٨٤
و الاشونى شرحه : منهج السالك ج ٢ ص ٢١٤ والصار حاشيه على
شرح الاشونى ج ٢ ص ٨٥ ومحمد الطنطاوى نعيه النجاء في تصريف
الاسماء ص ٤٨ .

(٣) شرح الاشونى ج ٢ ص ٢١٤ وانظر محمد الطنطاوى تصريف
الاسماء ص ٤٤ ومحمد يحيى الدين عبد الحميد - منحة الجليل بتمقيق
شرح ابن عثيل ج ٢ هائس ص ٩٨ .
وانظر اللسل ٤٤/١٣ .

(٤) أحمد كحيل التقيان في تصريف الاسماء مطبعة السعادة ص ٢١

ومحى، صفات المؤنث على قاعل يثبت الاستعلاء عن علامته
انتأثت في بعض المصغ + ويعلم في اللغة العربية ترك التأء التي يؤتى
بها تمييز المؤنث من المذكر في الصفات المختصة بالمؤنث ان لم يقصد
فيها معنى الحدوث كحائض وطالق ومرضع لعدم الحاجة بأمن الجنس .
فان قصد معنى الحدوث مالتا لازمة كحائض فهي حائضة وطلقت
مهي طالقة وقد تلحقها آتاء وان لم يقصد الحدوث (١) . وقد ذكرت بعض
الصفات المشتركة بين المذكر والمؤنث . مجردة عن التأء (٢) .
ويقول الرمي (٣) « قال الخفيف — يعنى ابن الحاجب — في شرح
كلامه ما معناه : أن أصل التأء في الاسماء أن تكون في الصفات
مرما بين مذكرها ومؤنثها ، وأما تدخل على الصفات إذا دخلت في
أفعالها . فالصفات في إحدى التأء به فرع الأفعال . تلحقها إذا لحقت
الأفعال . نحو قدمت فهي غائمة ، وعبرت فهي ضاربة .. » .

وانكرونيون يرون أن إثناء إنما يؤتى بها للفرق بين صفات
المذكر والمؤنث . والصفات الخمسة بالمؤنث لاتصاح إلى إثناء
العارقة . ورد عليهم بترك التأء في غاس وضمر وهما صفتان
مشتركتان (٤) .

أما سيبويه فيرى في الصفات المحررة من التأء أنها صفت
لذكر مفدر مؤول نحو انسان حنص أو شيء مريض . كما أن
ربعة أنت بالتاء . وهو وصف مشترك بين المذكر والمؤنث . وبهمه
نحاج — لزمته التأء وهو وصف خاص بالمذكر لأنها صفات مؤنث
مفدر أي نفس (٥) . ويرى الخليل أنها جردت عن إثناء لمأديتها معنى

(١) محمد بن حسن الرضى شرح الكافية ١٨٢/٢ وانظر حاشيته
الصالح على شرح الانسوتى ٧٠/٤ .

(٢) نفس المصدر ١٨٣/٢ — ١٨٤ والصفات المشتركة مثل حمل
سائر وثنية سائر ورجل عانس وامرأة عانس . ورجل يادن وامرأة
يادن . انظر ابن سيده : المخصص : المظنة الكبرى بولاق ١٣٢١ هـ
ج ١٦ ص ١٢١ .

(٣) شرح الكافية ١٨٤/٢ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه وانظر الشبان في تصريف الاسماء لاحمد كحيل ص ٨٤ .

النسب (١) كلا من وتامر أي داب حيمس ودات طلاق في حائض وطلاق (٢) •

واعترض على الحليل بترك التاء في مرشح ومفطر في قول الله تعالى : « ولسماء مفطرمه » • مع أن صيغة مفعل ومنفعل ليستا من باب النسب ويحوي عيشه راضية هي عنده من باب النسب ؛ وقد لاحظتها أثناء (٣) •

ويذكر الرضي ما يطمئن إليه بعد أن تعطف الآراء السابقة فيقول (٤) : « والأقرب في مثله أن يقال ان الاعب في الفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء هو الفعل بالاسقراء • ثم حمل اسم الفاعل والمفعول عليه لتشبهتهما له لفظاً ومعنى كما يجيء في بابهما فالحقا التاء للتأنيث كما يلحق الفعل ، ثم جاء صمد هو على وزن الفاعل ما يقصد به مرة الحدث كالفضل ومرة الاطلاق ، وقصدوا الفرق بين المعنيين ، فاشتوا بتاء التأنيث ما قصدوا فيه الحدث الذي أنشئ هو معنى الفعل كتأنيث الفعل لتشابهته له معنى • بخلاف ما قصدوا فيه الاطلاق ليكون ذلك فرقاً بين المعنيين » •

والوجه الذي يجمع بين رأي الحليل ورأي سبويه في منجاء من صحت المؤنث على ماعل في المحصن أن هذا الباب سقطت الهاء منه لأنه لم يجر على الفعل (٥) • • والدليل على صحته أنا رأيت أشياء يشترك فيها المذكر والمؤنث بسقوط الهاء منها • • وذلك كثير في كلامهم • وقد رأينا أشياء يشترك فيها المذكر والمؤنث بالهاء كتقولك رجل فروقة وامرأة فروقة وطولن لذكر والانثى • وصا يدل على قوة قولهم أيضاً أنا بقول امرأة حائصة عدا ومرضعة عدا فلا ينزعون الهاء لأنه شيء لم يثبت وإنما الاخير عنه على عطف الفعل ، وهو

-
- (١) شرح الكاشفة ١٨٤/٢ •
 (٢) أنظر المحصن ١٢١/١٦ والمحكم النسخة الاولى تحقيق
 د. عائشة عبد الرحمن ج ٣ ص ٢٧٩ — ٢٨٠ •
 (٣) شرح الكاشفة ١٨٤/٢ — ١٨٥ •
 (٤) من المصدر ١٨٥/٢ •
 (٥) المحصن ج ١٦ ص ١٢٠ •

قولنا نحيط عدا ، وترصع عدا .. « (١) • وإبرأى الذى انتهى
أبيه الرضى هو الذى انفصله فى الاثنين بصفات المؤنث على قاعل •

وقد يحىء قاعل بمعنى منقوع ويقع صفة على المؤنث بعير هاء
ودلك خليل • مثل دابة حاسر • حصرها السبع وشاة شافع للثى
شعها ولدها وعلالة رادع مردعة بلطيط والرعفران فى مواضع (٢) •

٩ — « وصف الشيء بما يقع فيه كقولهم ليلى نائم إذا ناموا
فيه ، وليلى ساهر إذا سهرود » (٣) •

وهذا من المحاز العقلى الذى هو اسناد الفعل أو ما فى معناه
أبى شيء غير ما بنى الفعل أو ما فى معناه له للباسه بتأول (٤) •

وليلى نائم أو ساهر من الاسناد الى ظرف انزما ، فعد اسند
اسما القاعل من نام وسهر المبين للعامل الى صغير انظر اسنادا
مجاريا من اسناد ما هو فى معنى الفعل الى غير ما حقه أن يسند
اليه (٥) • وفى اصطلاحى (٦) : ومن سنن العرب وصف الشيء بما
يقع فيه أو يكون معه كقولهم « يوم عاصف » المعنى عاصف الريح
قال الله جل ثناؤه « فى يوم عاصف » فقيل عاصف • لان عصف
ريحه يكون فيه ، ومثله ليل نائم وليلى ساهر •

(١) نفس المصدر ج ١٦ ص ١٢١ •

(٢) نفس المصدر ج ١٦ ص ١٢١ ، ١٢٨ •

(٣) الرامى تاريخ أدب العرب ج ١ ص ٢٣٣ وانظر الصاحبى
١٨٨ والمزهر ٣٣٦/١ •

(٤) الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب ج ١ ص ٩٨ وكشف
اسطلاحات النون للتنباوى تحقيق : د. لطفي مد السديع وشر
المؤسسة المصرية ١٩٦٢ ج ١ ص ٢٩٨ ومفكرة البلاغة لعليد عوى
ص ٢١ •

(٥) انظر أبلى ابن التحرى ج ١ ص ٣٠١ •

(٦) ص ١٨٨ وانظر البحر المحيط لآبى حيان ج ٨ ص ٢٢٠ وللملأى
ابن الشجرى ج ١ ص ٣٠١ •

١٠ - « أبسط بالزيادة في حروف الاسم والفعل حتى أمس اللبس بقريفة تقتضى ذلك كاقامة وزن الشعر ، وتسمية ثوابه . وعى هذا قول بعضهم في صفة الظلماء .
وليّة خامدة خمودا
طخياء تخشى الجدى والعمودا

محمل الفرقد كما ترى ، ثم قال فيها (أو أن عمر أهم أن يرقودا)
يريد يرقد . ومنها اتقبض محاداة لفك البسط . وهو التقصص من عدد الحروف كقولهم لاد ابن عمك أى لله . ودرس المبدأى اسازل « (١) »
ويعسر أصحبي عملية البسط ، يذكر أنه في الفرقد راد الواو
وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم « فعول » ولذلك ضم انه « (٢) »
ويأتى ببعض الأمثلة مثل :

أمول اذ حرت على الكلال

أراد « أكلكل » . وفي بعض الشعر « غططور » أراد
« غاططر » (٣) .

وينكر في موضع آخر أن ، لاخلاف في الزيادة وجه من وجوه اختلاف لغات العرب . وأن تلك اللغات مسماء منسوبة الى أصحابها ،
وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعلورها كل (٤) .

وقد ذكر ابن جني في باب مصارعة الحروف لحركات والحركات للحروف (٥) أنه متى أُنشئت ومطلبت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها . وأنه إذا احتاج الشعر الى اقامة الوزن مطلقاً لمحركاً ، وأنشأ عنها حرفاً من جنسها . « وذلك قوله .

مفى ألدراهم تنقد الصباريف .

(١) الرامسى ، تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٢) ابن فارس الصحاح ص ١٩٣ .

(٣) نفسه ص ١٩٣ وانظر الى ابن السجري ص ٢٢١ .

الصحاح ص ٢١ — ٢٢ .

(٥) الخصائص ج ٢ ص ٣١٥ وما يليها .

وقوله — أشدناه لأبن هروم :

وأنت من أفوائك حين نمرى
ومن ذم الرجل بمصترح
يريد : بمصترح ، وهو مفتعل من البرح ، وموله :
وأنتى حيث ما يرى الهوى بصرى
من حيث ما سلخوا أدمو فانظور (١)

ويهتم ابن جنى بظاهرة اشباع الحركة غيتود الحرف ، فيقول
في باب في مطر الحركات (٢) . « وإذا صعد العرب ذلك أشأت من
أحركة الحرف من جسها . فتشئى بعد الفتحه الألف ، وبعد
الكسره الياء ، وبعد الصمه الواو » . ويأتى بأمثله تؤكد ذلك وصفا
الأمثله المسبقه . فمن اشباع الكسره ومضها ما جاء عنهم من
الصاريف . « والألف المشأه عن اشباع استتحة كمصترح ومن مثل
اصمه أنظور (٣) » . ويدعو الرجل الى لقياس على ما جاء (٤) مشيراً
الى أهمية ذلك . وفي موضع آخر يقرر أن الشاعر إذا اضطر جاز له
أن يبتلى بما يبعثه القياس . وإن لم يرد به سماع (٥) . وفي باب
في هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما حار للعرب أولاً يقول : (٦)
« سألت أبا على رحمه الله عن هذا فقل : كما جاز أن يقيس منثورنا
على منثورهم فكذلك يجوز بنا أن يقيس شعرنا على شعرهم . وما
أجازته الضروره لهم أجازته لنا وما حظرته عليهم حظرته علينا .
وإذا كان كذلك مما كن من أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا
وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندينا . وما بين ذلك بين
ذلك » .

وبعض الباحثين يرون أن النقص من عدد الحروف أو سقوط
بعض أصوات الكلمات — يعد من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي .

(١) نفس المصدر ج ٢ من ٣١٥ — ٣١٦ وانظر ج ٣ من ١٢١ ، ١٢٤

(٢) نفس المصدر ج ٣ من ١٢١ .

(٣) نفس المصدر ج ٢ من ١٢١ — ١٢٤ وانظر نفس اللبيب

لاسي هشام ج ٢ من ٣٥ .

(٤) الخصائص ج ٢ من ١٢٤ .

(٥) نفس المصدر ج ١ من ٣٩٦ .

(٦) نفس المصدر ج ١ من ٣٢٢ — ٣٢٤ .

« ولكنه على كل حال يحذف الغرض بين المتكلم والسماع ، ولا يخل بهدف الكلام وهو المهم . فقد يمتنع البدوي دون تمهل في نطقه ودون انتظار لنهاية الكلمات ، فتصدر عنه الكلمات متتالية الآخرة . وهو لا يحذف بهذا لأن كل ما يرمى إليه هو افهام السامع وقد وصل إلى غرضه مع اقتصاد في الجهد وبطريقة أسرع وأيسر . وهذا هو السر فيما روي لنا من ترخيم في النداء وفي تلك اللهجة التي سماها القدماء قطمة طيبي ، * * » (١) و « روى أن قبيلة طيبي كانت تميل إلى قطع النطق قبل تملأه فيقولون « يا أبا الحكا » ويريدون يا أبا الحكم . وهذه الصفة تشارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة ، إلا أن الحذف في الترخيم وارد على آخر الاسم المادي أما هنا فقد برد على كل كلمة ، أسما كانت أو فعلا . منادى أو غير منادى . وقد روى القدماء البيت الآتي مثلا لقطمة طيبي .

درس ابنك يمتالـع فابـان
فنتقـادمت بالحـيس والمـريان
أي المنازل .

كما رووا قول الشاعر :

تفضل منه أبلى بالهـوجل
في لجة أسـك فلانا من فـسلى

أي عن فلان » (٢) . ويرى الحليل بن أحمد أن العرب يقولون ذلك كثيرا ، ويستخدمونه بنعم القياس (٣) والرافعي أني بمنالين للحذف أولهما وقع منه الحذف في الأول وثانيهما وقع فيه الحذف في الثاني . وفي الصحابي أمثلة للقبض ، وذكر للترخيم ، وحكم بأن هذا كثير في أشعارهم وقوله (٤) « وما أصعب في كتاب الله جل ثناؤه منه ، إلا أنه روى عن بعضي انقرأه أنه قرأ « وتدوا يا مان » . أراد يا مالك والله أع لهيصحة ذلك » .

(١) د. إبراهيم أبيس : اللهجات العربية . نشر دار المكر
العربي من ٧٩ - ٩٨ .

(٢) بسمه والمصححة .

(٣) المعين لخليل بن أحمد ج ١ ص ١٩٦ .

(٤) الساجي ٢ : ١٩٤ - ١٩٥ .

وإين حتى يرى أنهم يحذفون بعض الحکم استحقاقا . حذفا
يفل بالبقية ، ويعرض لها أشبه + ويعرض أمثلة مثل قول طفله

كأن أبريقهم طبعى عى شرف
مقدم سببا الكسان ملنوم

أورد بمسائب . ويقول بييد :

درس هنا يتالع مان

أراد المنزل (١) . ويشير صاحب الخصائص الى أن الحرف
الواحد ينفى عن الكلام الكثير المتناهي في الابعاد والطول ، ويؤكد
أن العرب أبى الإيجاز أميل وعن الأكثر أبعاد (٢) . ويذكر قول
عممه وقول لبدي في فصل في استحريف (٣) جاعلا القولين من التحريف
المسروع غير المفيس ادى جاء في غير الاضافة . ويأتى بأمثلة أخرى
منها ما عبرت عنه الكلمة بأن زاد الفائل بيها حرفا . كتول العبد

وما دمة من دمي ميسان معجبة بطرا واتصافا .

أراد : ميسان تعبر الكلمة بأن زاد فيها نونا . فقال ميسان (٤) .

وفي المزمع : « أن كل ضرورة ارتكبه شاعر غمد لخرجت
الكلمة عن الصفحة . وقد قال حازم القرطاجنى في منهاج ابلعاء :
الصرائر النائمة منها المستبج وغيره . وهو مالا تستوحش منه
النفس كصرف مالا يبصرف . وقد تستوحش منه في البعض كالاسماء
المحولة ، وأشد ما تستوحشه تنوين أفعل منه ومما لا يستبج قصر

(١) ابن جنى ، الخصائص ج ١ ص ٨٠ — ٨١ . وفي النحوص
ج ١ ص ١٦٧ بعد أن أورد ابن سيده عشرين علة قوله : « قيل انه
أراد المسائب محذوف . وهو من شاذ العذف . ونهل ابن السبائي
المسائب وليس على العذف » .

(٢) ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ٨٢ — ٨٣ وانظر ايضا ص ٣٠
شاهد الاستعانة بالحرف عن الحيلة ، وراجع الهامش (٤) نفس الصفحة .
(٣) ابن جنى الخصائص ج ٢ ص ٢٧ والتحريف عنده من شجاعة
العربية انظر ٣٦٠/٢ .

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧ ويرى ابن جنى في المزمع الاول
ص ٢٨٢ أن ريادة النون ضرورة . وهذا تحريف يتحجرف عار من الصنعة

الجمع الممدود . ومذ اجمع المصور . وأفصح الصرائر اريادة المؤدبة
لم ليس أصلا في كلامهم . كقولہ : أدوماً نظور ، أي انظر . والزيادة
المؤدبة لم يغل في الكلام . كقولہ : فاطات شمالي . أي شمالي .
وكذلك المقص المجحف كقولہ :

درس الما بمتالع فأمنا (١) .

أي المارل . وكذلك العدول عن صيغته إلى أخرى كقولہ .

جدلاء محكمة من سجع سلام .

أي سلمن . أنتهى « (٢) .

١٠ — « المحادة وذلك أن تحل كلام محذاء كلام فبؤتى به
على ورثه لفظ وان كان مختلفين في أصل الوزن . وهذا النوع يسمى
الاردواج أيضا كقولهم : له ثأنيا بالعدايا والعشايا ، فجمعوا
بعدها . وهي من الواو على غداة محداة للفظ العشيب ، وهي جمع
أعيسة . وقول بعضهم : (هتك أحسنه ولاج أبويه) ، فجمع البنات
على أبوية لبشاكل لفظ الاحبية « (٣) .

والمحاداة من سس العرب ويدها واسع كثير في كلام العرب .
بمافعلون عليه ، ويدعون غيره اليه . مؤثرين المحاكاة والمناسبة بين
الالفاظ ، مركبين لتأنيق القيلس (٤) . وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لرجل ما أسطك عقاب عيال . فقل بل رشدان . وإنما قيل
الذي عليه السلام رشدان على هذه الصيغة لبجائي به عيال (٥) .

(١) هكذا جاء في المهر ١/١٨٩ .

(٢) السيوطي المهر ج ١ ص ١٨٨ — ١٨٩ ونسب هذا إلى
النسج بهاء الدين السبكي .

(٣) الرامض : تاريخ أداب العرب ج ١ ص ٢٣٤ وانظر ابن فارس
الصاحص ص ١٩٥ — ١٩٦ والسيوطي المهر ج ١ ص ٢٢٩ — ٢٤٢ .

(٤) انظر المهر ج ١ ص ٣٣٩ — ٣٤٢ ونج العروس ج ٢ ص ٣٥٦
المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ هـ .

(٥) تاج العروس ج ٢ ص ٣٥٦ .

وورد عنه : أرجعن مأزورات غير مأجورات ، . ومأزورات من الورق ،
والمستعمل مؤزورات تجء به هكذا لأجل 'سببية' (١) .

وورد عنه غير ذلك مما يشهد بأن صفة المصاداة مرغاة في كثير
من ابوابه . وفي قولهم : اعداء - عساي . لانفعال العدايا اذا
أمردت عن العساي لانها اعديت (٢) . ولولا المصاداة لسم يجر
تكسير فعلة على فعائ . ومن الاعرابي يحكى أن العدايا جمع عدية ،
ولم يقل ذلك أحد غيره . لان اعداها اثناع كما حكاه جميع أهل
اللغة (٣) .

أما الباب عسايه : فمن لانه مثل معتل العين . وجمعه على
أبوية لدارج رتولا ذلك لم يحز امراده . يقول أبو علي الفارسي (٤)
في نسكل الأنط وتسايبها : « واذا كنوا قد استجاروا لتساكل
الأنط وتسايبها أن يحررا على الثاني ظلما لتساكل مالا يصح في
المسي على حبيبه مان يلزم ذلك وبخاصة عليه فيما يصح في المسي
أجدر وأولى . وذلك نحو قوله :

ألا لاجبهم لى أحد عيني

مجهل قو جهل احاطيليا

وفي التنزيه . « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم » ، والثاني قصاص وليس بعدوان . وكذلك « وحراء سبته
سبته مثلها » وقوله . « ففسخرون منهم سخر الله منهم » ونحو ذلك
فإن يلزم اشتراك في اللفظ مع صحة المعنى أولى . ومما يؤكد ذلك
قوله : « من اعين الخير » (٥) . وقول أم تائب شرا : تنفه هوق » (٦) .

(١) الحماني : سر المصححة بتحقيق على مودة المطبعة الرصاصية
١٩٣٢م الطبعة الاولى من ١٦٦ .

(٢) انظر لسان العرب الطبعة المصورة ج ١٩ ص ٣٥٣ (غدا) .

(٣) نبيه والصيغة .

(٤) الحجة ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٥) من العين انحر بكر الحاء اثناعا للعين ، ورد في بيت من
الرجز رواه صاحب اللسان : حور : « عينا حوراء بن العين الحور .
صح حوراء - انظر اللسان ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٦) من قولها في نبيه : وا اساه لسان معلوم تنفه هوق حتى
من صوف . رجل علوف : جاف كثير اللحم . والهب كسيف الريح
الحارة اللسان هوق ، هيف ٢٦٦/١١ - ٢٦٧ .

ويقول أيضا في ضرب آخر من تشاكل اللفظ (١) : « ومما يغوى قول من قال . ميل أن هذه الصمة المنحو بها نحو الكسرة قد جاءت في نحو مولهم . شربت من المفتقر (٢) » وهذا ابن عور وابن بور فأملوا هذه اصمت نحو الكسرة فكون أشد مشاكلة لما بعدها وأتبع به وهو كسر الراء ، فإذا أخذوا بها لتشاكل اللفظ وحيث لا يميز معنى من معنى آخر فإن يلزموا ذلك حيث يزيل اللبس ويخص معنى من معنى أجدر وأولى » .

ويقرر بعض الباحثين أنه في الامكان أن تغرد كلمات أنغاديا ومأزورات وغيرهما فخرج مجتمعاتها • « مما هي مصطلح خلق حقا جديدا خاصا لا شأن به بالاسم العدى ، وإن اشتق من أصوله ، مسلماته إنما يحددها مطابقتها لصفات واتساقه مع تصانيف • • عامدايا وما عى شاكلتها استخدامها بهذه الصورة المتغيرة للموروث اللغوى في عومه فيه طلال الحديث النبوى دون ذكر الحديث » (٣) .

وجماع الامر أنهم يحفلون لمطابقة أو الازدواج حكما لم يكن قبل ذلك • ويقدررون الضرورة التى تشبه أحيانا ضرورة لشعر (٤) • ويذكرون ضروريا مختلفة يدخلونها في هذا الباب مثل كتابة المصحف وأحرار عن الفعل بمثل لفظه (٥) ومشاكله بعض اللهجات وغير ذلك (٦) .

١١ — • قلب الكلام تصدا كقول العباس بن مرداس (غديت بعينه بنفسى ومالى ، أى غديت نفسه بنفسى ومالى • وقول الأعشى في قلب الاعراب •

(١) 'الحجة ج ١ ص ٢٦١ •

(٢) قال سيدييه : وشربت من المفتقر — والمفتقر الركبة الكسرة المدة انكسر ج ٢ / ٢٧٠ •

(٣) د. محمد بدرى عبد الحليل : المجاز وأثره في الدرس اللغوى ص ٢٤٣ •

(٤) المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده ج ٤ ص ٦١ — ٦٢ •

(٥) انظر المسامحة ص ١١٥ — ١٩٦ والمرح ج ١ ص ٢٢٩ — ٢٤٠ •

(٦) ابن منظور لسان العرب ج ٥ ص ١١٦ وانظر ابن هشام معنى اللبيب ج ١ ص ٤٧ •

ما كنت في الحرب العوان مغمرا
أذ شب حر وقودها أحزالها

وأما هو إذ شب حر وقودها أجراها • ولكن روى القصيدة
سالمع « (١) وقد ذكر ابن قتيبة أنواعا أخرى من القلب في باب
المطلوب (٣) • وجعل ابن فارس القلب يكون في اسكلمه • ويكون في
القصة (٤) •

ويرى ابن أبي الأصم أن عروه بن الورد عندما قال :

« فاني لو شهدت أباً سعاد
غداة غد بمهجته يفوق
مدبب بنفسه نفسى ومالى
وما آله الا ما أطيق

عانه أراد أن يقول مدبب نفسه بنفسى ومالى • فالجأته ضرورة الورد
الى قلب امعى كما ترى • ومهم كان الشعر سليماً من مثل هذا كان
الشعر أنذى اختلف معناه مع ورثه « (٥) •

واسكاكى ومن تبعه قبل انقلب مطلقا (٥) « سواء تضمن
اعتباراً لطيفاً أولاً • وعلوا ذلك بأن قلب الكلام يهوج الى التبييه
للأص • وذلك مما بورت الكلام ملاحظة وطرف • ورده قوم مطلقاً
لأنه عكس المطلوب ونقبض المفضود • وحمل ما ورد منه على التقديم
والناخير •

والحق انقلب • وهو أنه ان صمم اعتباراً خفيف ومعبرى
طريف عبر الملاحظة التى أورثها انقلب قبل • وان لم يتضمن القلب
اعتباراً لطيفاً رائداً على مجرد أفاده من ظرافة رد لأنه خروج عن

(١) الرامسى تاريخ أداب العرب ج ١ ص ٢٢٥ •

(٢) ابن قتيبة • تناول مشكل القرآن ص ١٤٢ — ١٥٩ •

(٣) الصاحبى ص ١٧٢ • ويقول عن القلب في الكلمة • وليس من
هذا فيما أفن من كتاب الله حل شاءه شيء • •

(٤) ابن أبي الأصم المصمى • تحرير النحر محقق د. حفنى محمد
شرف • نشر المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٢٣ •

(٥) الأيساح في علوم البلاغة للخطيب القروينى ص ١٦٥ •

مقتضى الطاهر من عبرة مكتة يعتد بها ؛ ولأنه يفهم خلاف المراد « (١) »
وليس على هذا الرأي المفصل — في حديث بنفسه نفسى ومالى الخ —
اعتبار لحليف (٢) *

ويرى ابن قتيبة فيما نسب على العبط أنه لا يجوز « لآحد أن
يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهباً لأن الشعراء
تنسب اللفظ ، وتريل الكلام على العبط ، أو على طريق الضرورة
اللفظية أو لاستقامه وزن البيت * * * والمه تعالى لا يعلط ولا يخطر » (٣) *

مأخذنا على الرافعى في نظام القرينة :

مهما أجنهد النشاط الاسسى في الاثنان شنى الاستعمالات
اسفنية والفسفة فانه من المعروف أن النظام العوى يعتمد على
افرائى الحائلة واسفنية والحالية وغيره ليحقق وضوح المعنى ،
ويمنع الببس * والقوائن تحتتم متضامرة شوم مهمتها ، ولا تترك
واحدة منها بمفردها للدلالة على عمل * (٤) *

وأرافعى عدم أتى بنظامه الثالث جعله نظام القرينة ، وكان
الادق والاسب أن يسميه نظام القرائن لأن القرينة الواحدة لانقوم
وحدها بتوضيح المعنى وإزالة اللبس إلا اذا تساهلنا وراعينا التحوز
ونحن فى محاولة الكشف عن المعنى اللغوى لابد أن نراعى المعنى
الوثلىفى وهو وثلىفة الحزء التحلىلى فى النظام أو فى السياق على
حد سواء ، والمعنى المعجمى لكلمة * والمعنى الاحتمالى أو معنى
المقام ، ولابد أن نأخذ بالقيم الخلافية التى بدونها لا يكون الببس
مأموماً ، ولا الكلام مفهوماً ونعتبر الاسظمة التى تتربط فى صرح
الاستعمال اللغوى ، وهى (النظام الصوتى والصرفى وانحوى) (٥) *

(١) مذكرة الملافة حامد عوى ص ١٦٢ — ١٦٥ .
(٢) نفس الرجوع ص ١٦٦ وانظر الإيضاح للحطيط ص ١٦٥—١٦٦
(٣) تاويل مشكل القرآن ص ١٥٤ — ١٥٦ .
(٤) انظر د * تمام حسن : اللغة العربية معناها ومعناها ص ١٩٢ ،

وقد وصف أرافعى التربية بأنها أصعب أثر يشير إلى وجه الكلام ومدهبه . ويهذى إلى طريق المعنى فيه ، ولستنا معه فى الحكم بأنها أصعب أثر . « لأن الكلام وهو محلى السياق لا بد أن يحمل من الفرائض المتألفة (المنظية) والمطلبة (الحسية) ما يعين معنى واحدا لكل كلمة فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وطيف أم معجما) متعدد ومحتمل لأن المقام هو كبرى اقترائن » (١) . ونحن نعلم أنه لا يكفى « مجرد فهم لنظام الصوتى للغة ما لأن فهم مقالا بهذه اللغة ، بل لا يكفى ذلك حتى فهما للنظام الصرفى أو النحوى للغة المذكورة . بل لا يكفى أبدا أن نفهم المعنى المعجمي لحشد كبير من كلمات هذه اللغة أيضا لأن فهم المعنى فهما كاملا مادام المقام غير مفهوم » (٢) .

وقد اطمأن أرافعى إلى ما نقله فى نظامه ، وفاته أن يشير إلى آراء العلماء فيما أتى به ، وأن يبني على ما فشى به التحقيق ، واعتقد أن ذلك واجب البحث . فليس كل ما جاء به يحمل سمة نظامه أو يخضع لوجه أو قول واحد على النحو الذى ذكره . لاسى وجدت آراء مختلفة ، وأقوالا متعددة لا محيص من انتعرض لها كما يقضى الحق والانصاف .

ولن أعود إلى تكرير ما ذكرته . وإنما حسبي أن أشير إلى السمة الأخيرة وهى القلب فما استشهد به لم يجد فيه البلاغيون اعتبارا لطيفا ، وقضى عليه بعض الباحثين بما يرد قول أرافعى أنه من صناعة السعدن . وطريق النفس . ودليل البوغم .

(١) نفسه ص ٣٩ .

(٢) نفسه ص ٤١ .

خاتمة

أما بعد ، فقد حاول هذا البحث بكل ما استطاع أن يقدم أسرار النظام اللغوي عند الرافعي في ظل صرح علمي مترابط ، ليطلق أهم جهود الرجل في دراسة العربية ، ويحقق ما رجاه . ولم يكن مستطع الانطلاق الى أهدافه قبل أن يقدم الرافعي في صفحات تبرز العواطف التي أثرت فيه ، ودفعته الى الشعب بالعربية ، وانتهوض بقوة لمواجهة كل محاولات التآمر عليها ، والرد على من يكيدون لها . ويسعون للنيل من العقيدة ، مطمئنه أنه رسول لغوي معث للدفاع عن انحراف . وبعبارة ، ثم نبين أهم مآله لخدمة اللغة .

ولقد أدرك البحث أنه لا يمكن تحليلية نظرية الرافعي التي اعتمد عليها في أسرار النظام اللغوي قبل توضيح رأيه في أمرين لهما أثر كبير فيما حققه ، وهما أصل اللغة وكمال اللغة فكان الفصل الاول ارساها وأصل اللغة وكمالها . وفي الامر الاول بين رأى الرافعي في المطريتين اللتين سطعتا المفكرين ، ثم وضحا مذهبه الذي يقرر أن اللغة بنت الاجتماع ، وهي كلها حكاية للطبيعة . وفي ضوء ذلك . فكرنا موقفه من بدء انحراف اللغة ومرحلة المقاطع النشائية ، ومرحلة ارتجال المقاطع الثلاثية حتى اهتدى الانسان الى أصل الوضع ، وعرضنا الانبياء التي دعم بها مذهبه ورأيه في اختلاف اللغات ، وحقيقة معنى اللغة .

ووحد البحث أنه لا بد من تحقيق ما قلناه ، وذكر رأى البحث اللغوي الحديث في أصل اللغة ، ونتيجة لذلك وصلنا الى أن الرافعي تأثر بابن جني واهتم بما ذكره ، واستفاد من جهود جورجى زيدان في دعم نظرية المحركة بالأمثلة التي عرضها عن بعض الشعوب ، والتنوع الذي جاء تبعا لاحتياجات الانسان ، والدلالة الحية والدلالة المعنوية ، وغير ذلك ، كما بينا رأى بعض الباحثين في الاعتماد على سطرية المحكاة وموقف الرافعي من النقد الذي وجه اليها ، واسراره

في حص اللغة كلها حكاية للطبيعة . وان كان جهده قد نجح في تقريب تصور نشأة اللغة ، وحصل المظومة أدنى الى طبائع اللغويات ، مشيرين الى أهم ما استخلصناه من الموازنة بين أحدث النظريات ، ونسق الراجح في نظريه المحاكاة ، ومنتهى الى أن ما قلناه من أن اللغة تابعة لاحوال الاجتماع في القبض والبسط — لا يختلف عما قاله البحث الحديث ، وهو أن اللغة أداة اجتماعية يوجد لها المجتمع للرمز الى عناصر معيشتة وطرق سلوكه .

وأما الامر الناسي فقد أثبتنا فيه أن الاديب الباحث أسرف في تعظيم اللغة . وبلغ مستوى لم يبلغه لذين عرفوا بالمبالغة في هذا ، وأولما الى أسباب ذلك ، ذاكربن ما وقع فيه من نأى عن قوانين اللغات . وبعد عن باب الاجتماع اللغوي ، ومبشرين الرأي الصحيح الذي يعتصم به ابن حزم في قضية التفضيل والتعظيم ، والموقف السليم الذي ينبغي أن يقفه اللغوي الحديث .

والفصل الثماني : نظرية المناسبة وأسرار البطون اللغوي ، نبينا فيه أن أسرار النظام اللغوي تقوم على نظرية المناسبة ، وأن هذه النظرية هي سبب التمدد ، ثم كشف سر يمدنه اسديد بها ، والفرق بين جهده وجهد من سبقوه موضحين آراء فلاسفة اليونان والرومان والمذاهب المختلفة الأخرى ، وما ذكره المحققون في ارد عليها ، وآراء احدثين ، والامور التي اعتمدوا عليها . وتبين لنا أن هم أربعة مذاهب مختلفة فصلناها وشرحنا اعتماد السرافعي على المناسبة في كشف الاسرار ومظاهر سيطرتها على درسه ، وحددنا أنواعها ، والاداة والامثلة التي تدعم وجهها ، مشيرين الى تعدد العرب اللغوي ووجوهه ، وأن وجه المناسبة يسود ملبسة التمدد ، وانتهينا الى الضروب التي تفسر أسرار النظام اللغوي ، وهي نظم الالفاظ بالمعنى ، ونظام المعاني بالالفاظ ، ونظام العربية ، مؤكداين قيامها على نظرية المناسبة ، مما يحقق الترابط . ويوجه الدرس اللغوي الى منهج شامل ، وبكنا أخذنا على السرافعي موقفه من تجاهل الاعراب والتصريف والاحكام الظاهرة في أسرار النظام ، وخالفناه فعما ذهب اليه ، لأن قواعد المحسو والتصريف تعين على ادراك الفروق والاسرار . و اللغة منظمة عرغبة للرمز الى نشاط المجتمع ، وهي

مكونة من أنظمة هي النظام النحوي ، والنظام الصرفي ، والنظام النحوي . وهذه الأنظمة تتربط في مسرح الاستعمال اللغوي .

ومد فصل القول في نظم الالفاظ بالمعنى في الفصل الثالث .
فتحدثنا عن المصنوع بهذا النظام عند الراجعي ، وهو مصاولة الصبح اللغوية للمعاني الموضوعة لها ، واستعرضنا الامور التي تقوم عليها تلك المصاولة ، وبيننا أنه من أشد أضرار الثنائية ، وقمنا بثبوت علوه في الاشتقاق ، وإيثاره انعطافة ، وعدم اعتماده بانفس بين أنواعه . وخطئه في نسبة الفوق بين المعاني سلائل مرشدة الى ابن حسي . وذهبنا الى أن استعماله الادبي للكلمة وثق بين الاصوات والمخلوقات عده ، ثم بينا الامور التي تحقق مصاولة لصيغ اللفظية للمعاني . وهي تسعة . عول فيها الراجعي على امر جنى . واقتضى ذلك أن نقوم بتحقيقتها . وتقدير الحق والصواب . وتبين ما يؤخذ على الراجعي بالتفصيل . وموقف أنصار المذهب الثالث في نظرية المناسبة مما ذكره ، وأثر الدراسة الصوتية التي قدم بها ابن حسي . وموقف ابن عتيبة من الاسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى ، ورأى ابن السيد البطنجي في أمر المناسبة وهرم الراجعي على الانسداد بطريقته ، أو مفقد قوة اسيطرة والضبط . وأثبتنا بعض ما يطالف ما أرفضاه . واستهينا الى القصاء بأن ما نقله لا يكفي لاقامة نظرية عامة تشمل الفصط العربي كله ، منهين على الاحتياج الى توسيع افق الملاحظة والاستقراء ، وداعين الى الفطنة في التعمري ، وتقدير أن لغوية تختلف عن غيرها في قيمة الحرف الدلالية ، وأن ملك الراجعي نفت الانظر الى مثالية اللغة الرفعة ومناسبتها العجية ، ودعانا هذا الى ذكر رأي أنصار المثالية اللغوية ، ورأى من يرفضون المستوى الذي بلغه الراجعي في المثالية المذكورة .

أما الفصل الرابع نظام المعاني بالالفاظ فقد وضنا فيه اختلاعه عن النظام السابق لان الالفاظ فيه هي التي تسوس المعاني وتنزلها في منازلها وتضعها على أقدامها . ولاحطنا اعتماد الراجعي على عبارات مجترية ، وميله الى المبالغة والخضوع لما تنجيه اليه النظرة الادبية ، ثم بينا تمسكه بأن اللغة عمل نفسي محض ،

ودعوه الى أن فيها حياة باطية تشبه ما في الانسان الراعى مما يسمى
بالكمال ، وغرضنا الدليل الذى قدمه ، والموازنة التى جعلت بالأعراق
في التعميل ، واعلو في اسعظيم ، والعموض الذى لاذ به أجبنا ،
وموقف علم الوضع ، ورأى ابن جنى وغيره في حكمة الوضع ، والعلم ،
والاعراض ، وما قاله الراعى في طرق الوضع .

وبهنا على أنه ثم بشر الى العناصر التى يتألف منها المعنى ،
وشرحنا تلك العناصر ، واقتضى الامر أن نبين الآراء المختلفة في
المعنى مهتمين بما ذكره أولمان ، ويلو مفيد ، وغيره ، ثم تحدثنا
عن تأكيد الراعى أن اللغة عمل نفسى محض ، وعرضنا ما بدا لنا في
تفسير ذلك ، ووصلنا الى أنه نحا منحى نفسيا صرفا ، وأمس بأن
الاحساس إنما هو اللغة النفسية الصرفة ، وتشتت بموقفه في كثير
من المواضع ، ودفعنا الدرس الى الموازنة بين موقفه وموقف أولمان ،
ومناقشة ما قاله ، وأسعراض أهم آراء الباحثين في اللغة . فذكرنا
رأى فندريس ، وواشرو ف — فارنبورج . ودى سوسير ،
وجسرسن ، وهروند بالمر ، ويلو مفيد ، وميرهم ، وقد استبان لنا
أن شتى الآراء لم تذهب الى المستوى الذى ذهب اليه الراعى في
اعتبار اللغة عملا نفسيا محضا ، وفيما ذكره من التحين والتعميل
وتكلم النفس واللغة ، فقررنا أنه يمثل نظرة أدبية ، ورؤية نفسية
حالصة ، ويرى أن الكلمات مصفولة تبرز الانطباعات الدقيقة العائرة
من وهابنا الفكرى . وقد خالفناه ، وفصلنا رأينا مدعما بكثير من
الادلة القوية وكثير من الانشياء التى قررنا البحث اللغوى . وانتهينا
الى أن المعنى في نظر الدراسات اللغوية الحديثة صدى من أصداء
الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية ، وشيجة انشائيك العوامل المختلفة
في اطار الثقافة الشعبية ، وأثبتنا أن الراعى لم يلتزم بما قرره ،
ولم يسر على منهج واحد .

ثم انتقلنا الى عملية تخصص المعنى اذا كان جنسا ، وتأكيد ،
ورأينا أن التخصيص عند الراعى ليس صرفا يرتبط بكلمة واحدة
كانت عامة ثم خصصت هي نفسها ، وإنما يقوم على تعيين درجات
المعنى ، وتعميل أجزاء الموجودات على درجات شعور النفس
بقوات هذه الأجزاء أو بصفتها . وأوماننا الى أنواع أخرى من
التخصيص لم يذكرها ، مؤكداً تميزه الذى نلاحظه في دراسة

الخصيص ، ومحالفة غيره بما يشهد بأعطية حويرتبط بمسقى شامل . ولكننا أخذنا عليه ما وقع فيه من غلو وأسرف ، وخلعنا في إعطاء الالفاظ قدرات ومستويات تجعلها فصولا علمية تدل على النمدن ، وتوحى بمستوى اكمل ، مستمدين الى ما يجب مراعاته وتقديره في الدرس اللغوى ، ومحددن ما فته من أمور هامة ، ومرشدين الى تأثيره بعبقرية الالفاظ وسحرها وجلالها ، ونظرت الى الناس نظرة واحدة . وجريه على أن هناك مطابقة بين المنكلم والمسمع . ومؤكدين أن مراتب الحب النني أنى بها مثالا لم تمثل المستوى الذى تمثله المصطلحات العلمية المتفق عليها في معص العلوم ، وأن الرافعى أحد ما قبله الثماني ، ولم ينم بالتحقيق الدقيق الذى عني به .

أما الفصل الخامس فكان نظلم القرينة ، وقد قررنا فيه أنه عد الرافعى بضم على الاتساع والتفسى بواطلاق اكلام اطلاقا غيرمقيد بنظام ، ولا متبع لطريق غيره من سائر اكلام اعتمادا على اللمحة الالهة ، والاشارة التى تقع موقع الوحي . وعلى أنسمع أثر يشير الى وجه اكلام ومذهبه . ثم بين سبب حكم لرافعى بأنه نظام بديع ، وسر المستوى الذى وصل اليه في رايه ، واختلافه عن العظيمين السابقين ، وقيامه على المناسة ، وموقف علماء العربية منه . وسر الرافعى على مسق السموطى في كثر مما جاء به في هذا النظام .

ورأينا أن ابن عتية هو صاحب لفصد في جمع الكثير مما ذكره من سنن العرب التى ينطق فيها نظلم القرينة . وإقيام بدراسته وتوجيهه ، وأن من أتى بعده انتمتع برأئه . ومن نكر فضل سيهويه ، بد ذكرنا معنى السش التى جاءت في كتابه . ومضى الاشارات الهامة التى نعتت درس القرينة . وشرحا بعد الاشارة الى أنواع القرينة عند الفرائى — سنن العرب التى ينطق فيها نظلم لقرينة . وتبقى لنا أن نرافعى حشد في النظام المذكور احدى عشرة مسه . درسها دراسة شاملة ، ومدمنا رأى أبحاث والتحقيق فيها . موضحين ما أخذناه على الرافعى . منبهين على أن الفرائى تجتمع متصافرة لتقوم بمهمتها ، والقرينة الواحدة لاتقوم وحده بنوضيح المعنى ، ثم ذاكرين أنه لا بد في الكشف عن المعنى اللغوى من مراعاة المعنى

الوظيفى ، والمسى المعجمى ، والمعنى الاجتماعى ، ولابد من الاخذ بالقيم الخلامية ، واعتبر الأنظمة التى تترايط فى مسرح الاستعمال النحوى ، وفى الرد على وصف القرينة بأنها أضعف أثر أثبت بقرينة المقام ، ووضحا أهميتها ، ورأينا أنها تعد أقوى دليل يخالف الوصف السابق ويرفضه .

وأخيرا أومأنا الى أن الرافعى لم يشر فى مظام القرينة الى آراء العلماء ، ولم يتم بما يقضى به التحقيق والانصاف ، لانه لطمأن الى ما نقله ففاته الكثير مما يحتتمه البحث .

و « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

المصادر والمراجع

- ١ - الأمدى : الاحكام فى أصول الاحكام ، مطبعة المعارف ١٩١٤م .
- ٢ - ابراهيم أنيس (دكتور) : دلالة الالفاظ الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
- ٣ - ابراهيم أنيس (دكتور) : اللهجات العربية مطبعة الرسالة دار الفكر العربى .
- ٤ - ابراهيم أنيس (دكتور) . من أسرار اللغة الطبعة الثالثة ١٩٦٦م .
شركة مكتبة الاساطير المصرية .
- ٥ - ابراهيم السامرائى . (دكتور) : فقه اللغة المقارن دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨م .
- ٦ - ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر طبعة بولاق ١٢٨٢هـ وطبعة المطبعة النورية محوش قدم ١٣١٢هـ .
- ٧ - أحمد كحيل . التبيان فى تصريف الاسماء طبعة السعادة .
- ٨ - الأشمونى . شرح الأشمونى على ابن عقيل طبع دار الكتب العربية ١٣٣٩هـ .
- ٩ - ابن أبى الاصبغ المصرى . تحرير التحرير فى صناعة النسخ والنشر وبيان اعجاز القرآن . تحقيق الدكتور حفصى محمد شرف القاهرة ١٩٦٣ نشر المجلس الاعلى للثئون الاسلاميه .
- ١٠ - أمى الخولى . مشكلات حياتنا اللغوية الطبعة الثانية ١٩٦٥ دار المعرفة .
- ١١ - أنستاس مارى الكرملى : نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها القاهرة ١٩٣٨م المطبعة لعصرية بالقاهرة .
- ١٢ - أوتو هسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ترجمة الدكتور عبد الرحمن محمد أبوبه شر الاساطير المصرية ١٩٥٤م .

- ١٣— البغدادي خزانة الادب وب إيب لسان العرب اشراف محمد محيى الدين عبد الحميد دار المنصور .
- ١٤— تمام حسان (دكتور) : اللغة العربية معها ومبناها — الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٧٩م .
- ١٥— تمام حسان (دكتور) صامح البحث فى اللغة مطبعة الرسالة ١٩٥٥م . نشر مكتبة الانجلو المصرية .
- ١٦— ألتهانوى : كشف اصطلاحات الفنون تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٩٦٣م .
- ١٧— الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية — مطبعة الحجر ١٢٨٤ هـ .
- ١٨— الجاحظ : الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام هارون طبع للطبع ١٣٥٨ — ١٣٦٦ هـ .
- ١٩— أجاربردى والسيد عبد الله وشيخ الاسلام ركريا الامصارى : شروح على اشافية طبع المطبعة العامة ١٣١٥ هـ .
- ٢٠— ابن حنى ، الخصائص تحقيق محمد على أجار صدر الجزء الاول سنة ١٩٥٢م والثانى سنة ١٩٥٥م . ولثالث سنة ١٩٥٦م طبع دار الكتب المصرية — والنصف تحقيق ابراهيم مسطفى وعد الله أمين الطبعة الاولى نشر الحلبي ١٩٥٤ — ١٩٦٠م .
- ٢١— جورجى زيدان : الفلسفة العلوية والالفاظ العربية اطبعة الثانية مطبعة انبال بالهجانة بمصر سنة ١٩٥٤م .
- ٢٢— ابن الجوزى : نقد العلم والعلوم، أوتابيس ابليس صححه وقيد حواشيه محمد منير الدمشقى المطبعة الخيرية ١٣٦٩ هـ .
- ٢٣— أجومرى : تاج اللغة وصحاح العربية طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ وطبعة المطبعة الكبرى ١٢٩٢ هـ .
- ٢٤— الجيزاوى : تحقيقات شريفة وتحقيقات صنف مطبعة السعادة ١٣٣٢ هـ .

- ٢٥- أبو حاتم الرازى . الزينة فى الالفاظ الاسلامية افقاهرة
١٩٥٧ - ١٩٥٩ م .
- ٢٦- حامد عوى . مذكرة البلاغة الطبعة الثانية ١٩٥٦ مطابع دار
الكتاب العربى .
- ٢٧- ابن حزم . الاحكام فى أصول الاحكام مطبع الخنجى .
- ٢٨- أبو حسن الامدلىسى . ابصر بحيط الطبعة الاولى مطبعة
الاسحاده ١٣٣٨ هـ .
- ٢٩- الحصرى حاشية على شرح اس عقيل الطبعة الاولى بالمطبعة
الازهرية المصرية ١٣٠٦ هـ .
- ٣٠- احطيب الفوزيى : الايصاح فى علوم ابلاغة شرح الدكتور
محمد عبد المعهم شفاجى نشر دار الكتاب اللبائى انطمة
الثالثة ١٩٧١ م .
- ٣١- الضعاجى . سر الفصاحة تحقيق على ثوبه المطبعة الرحمانية
١٩٣٢م الطبعة الاولى .
- ٣٢- الخليل بن أحمد : المعنى تحقيق الدكتور عبد الله درويش مطبعة
العائى ببغداد سنة ١٩٦٧ م .
- ٣٣- ابن دريد . الاشتقاق تصنيف عبد السلام هارون نشر الحانجى
القاهرة ١٩٥٨م .
- ٣٤- ابن دريد . حمرة اللغة الطبعة الاولى . حيدر آباد الدكن
١٣٤٤ - ١٣٤٥ هـ .
- ٣٥- الرازى : أساس المتقدس فى علم الكلام طبع بمطبعة
كردستان العلمية بمصر ١٣٣٨ هـ .
- ٣٦- الرازى مفاتيح العيب : الطبعة الاولى المطبعة العمرة
الشرفية ١٣٠٨ هـ .
- ٣٧- الراعب : المفردات فى عريف القرآن . المطبعة الميمنية بمصر
سنة ١٣٢٤ هـ .

- ١٠٠ — ابراهيم حنري : الكشف عن حقائق عوامص التفريل وميسون
الاقاويل في وجوه التأويل دار الطاعة بولاق ١٢٨١ هـ .
- ١٠١ — ابراهيم حنري : الفصل . الطبعة الاولى ١٣٣٣ هـ مطبعة ائتمدم
نشر محمد أمين الخانجي .
- ١٠٢ — سيرة الكاتب دالر هارميج درمبورج بريس ١٨٨١
والطبعة الختلفة عند السلام هارون . دار العلم .
- ١٠٣ — السيد أحمد خليل (دكتور) اللغة بين الادب واستشريح مطبعة
جامعة الاسكندرية ١٩٩٧ م .
- ١٠٤ — ابن السيد لعلبوسى : الاقتصاب في شرح أدب لكتب طبع
المطبعة الادبية بيروت سنة ١٩٠١ م .
- ١٠٥ — ابن سيده : المختصص الطبعة الاولى ماخطبه الكبرى بولاق
١٣٣٠ — ١٣٣٩ هـ : الأجزاء ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
- ١٠٦ — مسيوضى : الزهر في علوم اللغة . تحقيق محمد أحمد جاد المولى
وعلى البجوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم . دار احياء الكتب
العربى عيسى البلبى الطبلى .
- ١٠٧ — ابن السجري . الامثال الشجرية النعمة الاولى . مطبعة دائره
المعارف لثمانية بهندر آمان الدكر ١٣٤٩ هـ .
- ١٠٨ — اشهاب الصدى : حاشية اشهاب الخفاجى المسماة بعنبة
فاصى وكده ابراهيم دلى تسمى البيضاوى الجزء الاول
طبع بولاق ١٢٨٣ هـ .
- ١٠٩ — الصبان حاشية الصل على شرح الاسموى طبع دار الكتب
العثمانية ١٣٣٩ هـ .
- ١١٠ — صبحى اصلح (دكتور) دراسات في لغة اللغة الطبعة الثالثة
١٩٦٨ م بيروت دار انعم للملايين .
- ١١١ — عباس حسن . النجوم بولاق . الطبعة الخامسة دار المعارف
بمصر ١٩٧٥ م .

٥٠— عبد اسمعيل شحاته : دراسات في الشعر اصبحت الاولى ١٩٦٣م
دار الانوار .

٥١— عبد مبرر عبد الحيد (دكتور) . اللغة العربية وأصولها
انفسه وطرق تدريسها . دار المعارف الطبعة الاولى ١٩٥٢م .

٥٢— عبد القاهر الجرجسي : دلائل الاعجاز . مطبعة المار ١٣٣١هـ
الطبعة الثانية . تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا .

٥٣— عبد الله لعرري : فقه اللغة بشرح جامعة الاسلاميه ليبيا .

٥٤— عبده ابراهيمي (دكتور) : الطهحات العربية في القراءات
القرآنية دار المعارف ١٩٦٨م .

٥٥— ابن عقيل شرح ابن عقيل دار امكر ١٩٧٢م .

٥٦— علي عبد الواحد واى (دكتور) : علم لغة الطبعة الثانية بشر
مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤م .

٥٧— علي عبد الواحد واى (دكتور) : اللغة والجمع طبعة الحلبي
١٩٥١م .

٥٨— أبو علي الفارسي : الحجة في عل انقراضات السبع تحقيق علي
النجدي ناصف — الدكتور عبد الصيم النحر — الدكتور
عبد الفتاح شلبي القاهرة ١٩٦٥م .

٥٩— العزالي : المستقصى من علم الاصول . الطبعة الاولى المطبعة
الاميرية ببولاق ١٣٢٢هـ .

٦٠— ابن فارس . الصحابي في فقه اللغة . المكتبة السلفية ١٩١٠م .

٦١— الفيروز ابادي . مصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب العزيز
تأليف محمد علي اصجار نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية
صدر الجزء الثاني سنة ١٩٦٥ والثالث ١٩٦٨ والرابع ١٩٦٩
والخامس ١٩٧٠م .

٦٢— ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن شرح وتحقيق السيد أحمد مقر
نشر دار احباء الكتب العربية عمى الباس الحلبي ١٩٥٤م .

- ٦٣- كمال بشر (دكتور) . دراسات في علم اللغة . القسم الثاني
دار المعرفة ١٩٦٩م .
- ٦٤- كمال بشر (دكتور) : قصاص لعوية . دار الطباعة القسومية
١٩٦٢م .
- ٦٥- كمال شحات (دكتور) . مصطفى صادق الرافعي دار الكتب
العربية للطباعة والنشر مصر ١٩٦٨م .
- ٦٦- محمد الامر : حاشيته بهامش معنى اللبيب لطبعة الاولى
بالطبعة الارمنية ١٣١٧ هـ .
- ٦٧- محمد بحري عبد انجيل (دكتور) المجر وأثره في اندرس
الفوى نشر دار الجامعات المصرية ١٩٧٥م .
- ٦٨- محمد بدوي ، بحثون (دكتور) : دراسة نظرية تطبيقية في
علم الصرف والمروم . القسم الاول مكتبة الشاب مطبعة
الرسالة ١٩٦٦م .
- ٦٩- محمد بن حسن الرضى : شرح الكافية .
- ٧٠- محمد سعيد العريان : حياة الراعي . الطبعة الثانية مطبعة
الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٧م .
- ٧١- محمد الطباطبائي : معية السجاء في تصريف الاسماء . دار
الماوى للطبع والنشر الطبعة الاولى ١٩٣٩م .
- ٧٢- محمد الطباطبائي تصريف الاسماء . الطبعة الخامسة ١٩٥٥م
مطبعة وادي الملوك .
- ٧٣- محمد المبارك . مع اللغة ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠م .
- ٧٤- محمد المبارك لغة اللعبة وخمائن العربية . دار الفكر
بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٠م .
- ٧٥- محمد محيي الدين عبد الحميد : محبة الخليل بتحقيق شرح
ابن عقيل مع كتاب شرح ابن عقيل . دار الفكر ١٩٧٢م .

- ٧٦ — محمود الالوسى . روح المعانى الطبعة الاولى بالمطبعة الكبرى
الميرية ببولاق ١٣٠١ هـ .
- ٧٧ — محمود السمران (دكتور) . علم اللغة مقدمة للقارىء
العربى . دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
- ٧٨ — محمود السمران (دكتور) : اللغة والمجتمع رأى ومنهج المطبعة
الاهلية ببغداد ١٩٥٨ .
- ٧٩ — مصطفى الشكعة (دكتور) . مصطفى صادق الرافعى كتبا عربيا
ومفكرا اسلاميا جامعة بيروت العربية ١٩٧٥ م .
- ٨٠ — مصطفى صادق الرافعى : اعجاز القرآن واللغة النبوية
الطبعة الثانية ١٩٢٦ م المطبعة الرحمانية .
- ٨١ — مصطفى صادق الرافعى تاريخ آداب العرب طبعة دار
الاحبار بمصر سنة ١٩١١ م .
- ٨٢ — مصطفى صادق الرافعى تحت راية القرآن — المعركة بين
التقديم والجديد المكتبة الاهلية بمصر الطبعة الاولى المطبعة
الرحمانية ١٩٢٦ م .
- ٨٣ — مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم تحقيق محمد سعيد
الحرين الطبعة الثالثة الجزء الثالث — مطبعة الاستقامة ١٩٥١ م .
- ٨٤ — أبو منصور الازهرى : تهذيب اللغة . نشر الدار المصرية
للتأليف والترجمة فى مجموعة تراثت صدر فى خمسة عشر جزءا .
الاول بتاريخ ١٩٦٤ م والخامس عشر بتاريخ ١٩٩٧ م .
- ٨٥ — ابن منظور : لسان العرب : لطبعة المصورة عن طبعة بولاق
فى مجموعة تراثا : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والابناء
والنشر .
- ٨٦ — صفيان مكيمة . اسرعبال . دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة
١٩٥٧ م .
- ٨٧ — أس هشام معنى اللبيب الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
سنة ١٣١٧ هـ .

الدوريات :

دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني العدد الخامس يوسه
١٩٣٦م .

كتاب في أصول اللغة أصدره مجمع اللغة العربية وأخرجه
وهبطه وعو عليه محمد حلف الله ومحمد شومي أمين . انبثثه
السنة لثثون المطابع الاميرية ١٩٦٩ .

محلة مجمع اللغة العربية الجزء السابع ١٩٥٣م .

محلة مجمع اللغة العربية الجزء الخامس عشر سنة ١٩٦٣م .

ويم يذكر بعض المراجع التي رجعا لها وثبتتها في أماكنها من
البحث اكتفاء بتسجيلها فيها عن ايرادها هنا .

المراجع الأجنبية

- 1 - Bloomfield (Leonard) Language, London 1950
- 2 - Ogden, Charles K. And Richards, Ivor . The Meaning of Meaning, London, 1923
- 3 Rabin (Chaim) - Ancient West Arabia, London 1951
- 4 Sapir (Edward) Culture, Languageand Personality, California 1960

الفصل الاول : الرافعي وأصل اللغة وكمالها ص ١١ - ٣٢

(١) الرافعي وأصل اللغة ص ١٢ النظريتان اللتان شغلتا المفكرين ص ١٢ رأى الرافعي في القول بالوحى والتوقيف ص ١٢ - اللغة بنت الاجتماع وهي كلها حكاية للضجة ص ١٣ - الأصوات الصوائية والأصوات الطبيعية الأخرى ص ١٣ - أمرت ما يصح في أنطق مما لا يبعد أن يكون الوجه المتقبل عدده ص ١٣ - بدء اختراع اللغة ص ١٤ - اهتمام الرافعي باللفظ الطبيعية الأولى ص ١٤ - لغة ثلاثة عصور ص ١٥ - اللغة في طورها الصناعي ص ١٥ - حقيقة معنى اللغة ص ١٦ - موقف الرافعي ورأى أبحاث اللغوي ص ١٦ - تأثير الرافعي بانن جنى ص ١٦ - جورجى ريدان والاهتمام بنظرته المحكاة وانفسمة اللغوية ص ١٧ - استعاده الرافعي من جورجى ريدان ص ١٨ - رأى بعض الباحثين في أمكن الاعتماد على نظرية المحكاة ص ١٨ - الرافعي وما أتت به النظرية من المناسبة ص ١٩ - موقف الرافعي من النقد الذي وجه الى نظرية المحكاة ص ١٩ - رأى بعض الباحثين في عدم وضوح الصوت المحكى ص ٢٠ - ارافعي أسرف في جعل اللغة كلها حكاية للضجة ص ٢١ - مزارة بينه وبين غيره في مصد أص اللغة ص ٢١ - اندى يذهب له العلم حديث في لغة ص ٢١ - لطريقة الاستيعابية واهتمامها بالأسس العلمية الواضحة ص ٢٢ - مقالته الرافعي وما أتت به البحث الحديث ص ٢٢ + (٢) ارافعي وكمال اللغة ص ٢٣ - أسراف الرافعي في تعليم اللغة وسببه ص ٢٣ - البرهان شامخ بين ارافعي وبين فارس في التعظيم والأسراف ص ٢٥ - لغة بنت الاجتماع وهي لا تقوم على مدركة من الحواس ص ٢٦ - المنزى الحديث ومعضب لغة على آخر ص ٢٦ - حذرية المناسبة وموقف الرافعي ص ٢٦ - لرغوى وابن حنى وتعظيم اللغة ص ٢٩ - أبو حاتم

الرازى والتفضيل من ٣٠ — الرافعى والمستوى الذى يلعبه أبو حاتم
من ٣٠ — الرد على من ييود بالتفضيل المسرف من ٣٠ — الدرس
للغوى الحديث ورأى ابن حزم فى التفضيل من ٣٢ — رأينا فى
قضية التفضيل من ٣٢ •

الفصل الثانى : (نظرية المناسبة وأسرار النظام اللغوى من ٢٢ — ٦٢)

إيمان الرافعى بنظرية المناسبة من ٣٤ — الفرق بين جهد
الرافعى وجهد من سبقوه من ٣٤ — اهتمام فلاسفة اليونان والرومان
بفكره المناسبة من ٣٥ — أصحاب انساس وأصحاب التشديد
من ٣٥ — الانتهاء الى مذهبين من ٣٦ — علماء المتقدمون والصلوة
بين الاصوات والمدلولات من ٣٧ — السيوطى وفكرة المعتزلة
من ٣٨ — الرد على من يدافع عن بعض المعالين من ٣٨ — موقف
المعتزلين مثل الخليل بن أحمد وسيبويه من ٣٩ — رأى السدين
اتبعوا فى باب المناسبة من ٣٩ — الرازى ورد القول بذاتية دلالة
الالفاظ من ٤٠ — الأمدى وعبد الفاهر الجرجنى ودلالة الالفاظ
على مدلولاتها من ٤١ — ابن لسيد البطليوسى ورأيه فى درس
المناسبة وما ذهب اليه ابن جنى من ٤١ — مذاهب المحدثين فى
المناسبة من ٤١ — المذهب الأول وما يستند اليه من ٤٢ — الدارسون
فى الجماعات الاوربية وفكرة الصلة انعقيه بين الاصوات والمدلولات
من ٤٥ — المذهب الثانى من مذاهب المحدثين من ٤٥ — المذهب
الثالث والاسباب التى يعتمد عليها من ٤٥ — التهفة اللغوية من ٤٩ —
المذهب الرابع وثمار التحقيق والموازنة من ٥٠ — الرافعى ونظرية
المناسبة من ٥٠ — الرافعى وابن جنى وما لا يتقدم من ٥٢ — مسألة
الوضع وتأثير الرافعى مالم سابقين من ٥٣ — المناسبة عند الرافعى
وطرق الوضع من ٥٣ — أنواع النمو فى اللغة والمناسبة من ٥٣ —
نموذج العرب اللغوى فى رأى الرافعى من ٥٧ — رأيت فيما قاله
الرافعى فى تمدن العرب اللغوى من ٥٨ — أسرار النظام اللغوى
من ٦٠ — الضروب التى تكشف أسرار النظام اللغوى من ٦٠ —
الضروب تقوم عند الرافعى على ثلاثة لمنااسبة من ٦٠ — رأيت فى
نجاهل التصريف والاعراب والمواعيد المظهرة فى تجلية أسرار النظام
اللغوى عند الرافعى من ٦١ — رابط الانظمة اللغوية من ٦٢ •

الفصل الثالث : (نظام الالفاظ بالمعاني من ٦٣ - ٩٩)

المراد بنظام الالفاظ بالمعاني عند الرافعى من ٦٤ -
 مساوغة الصيغ للمعاني وما يفتى المناسبة من ٦٤ -
 الرافعى والاشتقاق والاصحاح الثنائى من ٦٤ -
 البحث العمى والموضى فى باب الاحمل الثنائى من ٦٦ - غلو
 ايرافعى فى ارجاع المواد الى أصل واحد من ٦٧ - رأينا فيما ذهب
 اليه من ٦٨ - عدم تحقيق المعنى المشترك فى رأى لرافعى من ٧١ -
 اسمعته الاثنى لتكلمه وأثره من ٧٢ - الامور التى تحقق مساوغة
 الصيغ اللفظية للمعاني من ٧٣ - اعتماد الرافعى فى المساوغة على
 ابن جنى وسجيه من ٧٣ - الرافعى والباس ثوب العموم من ٧٦ -
 الصواب هو ما ذكره ابن جنى من ٧٨ - رأينا يضيف الرافعى
 من ٧٨ - السند القوى الذى وجده الرامعى فى اثبات المناسبة
 من ٨١ - ملاحظة على ما تركه من ٨٢ - تصوير البسط على هيئة
 المسى وتحقيق ما ذكره الرافعى من ٨٣ - القصة التعبيرية للحرف من ٨٥ -
 اهدل ايرافعى أمثلة البحث الذى ذكره فى باب الامساس من ٨٩ -
 رفضا لموقف محمد الميرك من ٨٩ - ماخوذا على الرافعى من ٨٩ -
 الرافعى لغت الانظار الى مثالية اللغة الرفيعة ومساومتها العجينة
 من ٩٦ - انصار المثلية ورأيهم من ٩٦ - رأى الذين يرفضون
 المستوى الذى ذهب اليه الرافعى من ٩٨ - غديرى والعلاقة بين
 أصوات الكلمة ودلالاتها من ٩٨ - رأى دى سوسير من ٩٨ -
 الرافعى والمستوى الذى آمنت به المدرسة اللغوية القديمة من ٩٩ .

الفصل الرابع : (نظام المعاني بالالفاظ من ١٠١ - ١٥٤)

هذا النظام والنظام السابق من ١٠٢ - ما يؤشره
 الرافعى فى الحديث عن نظامه الثنائى من ١٠٢ -
 البسط عند الرافعى وانخصيص وانتاكيسد من ١٠٢ -
 الدليل الذى يقدمه لنا ١٠٣ - الموازنة التى أتى بها من ١٠٣ -
 الرافعى وتأثير آداب اللغة فى نفسه من ١٠٤ - الالفاظ والحاجة
 اللغوية والاعتبارات الحيوية من ١٠٤ - العلماء والوضع من ١٠٥ -
 اقوال أبى على المارسى وأسى الحسن الاحفنى وابن جنى وغيرهم

ورأى الذين لا يهتمون طبائع الانبياء من ١٠٩ — الرافعي وطرز
 اوضح ١٠٩ — الرافعي واصفاً التي ينفذ منها المعنى من ١١٠ —
 الاختلاف في تعريف المعنى من ١١٠ — ما يحدد المعنى عند بعض
 الباحثين من ١١٠ — الحروف في العربية صريان من ١١١ — الاستعمال
 واصفاً من ١١٢ — المعنى والفكرة البسيطة والفكرة المركبة
 من ١١٢ — علماء النفس والمعنى من ١١٢ — بلكله مدلولان أحدهما
 نفسي والآخر وضعي من ١١٣ — العنصر الأربعة الأساسية التي
 تكون المعنى عند بعض العلماء من ١١٤ — من أهم الآراء في دراسة
 المعنى — رأي أولسن من ١١٥ — تسمير أوجدن وريتشارد للمعنى
 يقوم على أساس رياضي آلي من ١١٦ — رأي بومفيلد من ١١٦ —
 ملاحظات الباحثين من ١١٨ — رأي ميرث من ١١٩ — رأي الرافعي
 في اللغة وما تكشفه دراسة متحده من ١٢٠ — الكلمة في الحقيقة
 ابوصمة عند الرافعي من ١٢٠ — الاصوات الثلاثة من ١٢١ —
 اعتصام الرافعي بنظرية المناسبة مما ذكره من ١٢٢ — الفرق كبير
 بين ما صنع وما صنع أولسان من ١٢٣ — رأينا غيب يؤمن به
 الرافعي من ١٢٣ — التطابق مستحيل من ١٢٤ — الخلافات الفردية
 والارتباطات المتغيرة من ١٢٤ — علم اللغة وعلم النفس من ١٢٥
 أصل اللغة من الناحية النفسية عند مندريس من ١٢٥ — الفرق بين
 اللغة الحسية واللغة العملية من ١٢٦ — العلاقة بين النظم والصورة
 عند لاثرو ف — فارتيجورج من ١٢٦ — الجانب الاجتماعي والجانب
 الحسي عند بعض الباحثين من ١٢٧ — رأي بعض الدارسين في
 كون اللغة أداة مركبة معقدة من ١٢٧ — رأي دي سيوسير في
 الناهيتين اللتين تشتمل عليهما دراسة اللغة من ١٢٧ — الوجود
 النفسي من ١٢٨ — رأي جيسبرسن في جوهر اللغة من ١٢٨ —
 النظرية الكلاسيكية في اللغة من ١٢٨ — الرد على خيفوز من ١٢٩ —
 رأي الميخلسوف برتراند رسل من ١٢٩ — رأي هارولد مائر من ١٣٠ —
 رأي سامير من ١٣٠ — التحفيز من الاعتماد على نظرية من نظريات
 علم النفس من ١٣١ — للنفس نظام يختلف عن نظم المادة
 الملموسة من ١٣١ — الجسم الانساني وأصعب علم النفس
 من ١٣١ — العواهر النوعية والعواهر النفسية من ١٣٢ — مستوى
 الرافعي ومستوى الآراء السابقة من ١٣٢ — رأي الرافعي

في الميزان من ١٣٢ — قضية القضاء وموقف الرافعي
ص ١٣٩ — تناقض ومسوقف غريب ص ١٤١ — رفض
النهج الذي فهمه الرافعي في الأضداد ص ١٤١ —
الاهتمام بالعلاقات العرفية ص ١٤٤ — ما تنمك به في اللغة
ص ١٤٤ — التخصيص عند الرافعي ص ١٤٤ — الأنواع التي لم
يشر إليها ص ١٤٥ — أسباب تميز الرافعي في دراسة التخصيص
ص ١٤٦ — غلوه وإسرافه في الحديث عن التخصيص ص ١٤٨ —
نحن نخالف الرافعي فيما أعطاه للألفاظ ص ١٤٩ — مراتب الحب
التي أتى بها ورأينا فيها ص ١٥٢ *

الفصل الخامس : (نظام القرينة ص ١٥٥ — ١٩٩)

نظام القرينة عند الرافعي ص ١٥٦ — اختلافه
عن النظامين السابقين ص ١٥٦ — فضل ابن قتيبة
ص ١٥٧ — فضل سيوييه وأثره ١٥٨ — نظام القرينة ونظرية المناسبة
ص ١٦٠ — سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة ص ١٦٠ —
مخالفة ظاهر اللفظ ص ١٦٠ — الحذف والاختصار ١٦١ — توضيح
ما جاء به الرافعي ص ١٦٢ — رأى التحقيق ص ١٦٥ — ذكر
الواحد والمراد الجمع ، وذكر الجمع والمراد واحد أو اثنين وصفة
الواحد أو الاثنين بصفة الجمع وصفة الجمع بصفة الواحد ص ١٦٦ —
المناسبة ثابتة ص ١٦٦ — رأى الزمخشري والفيروز آبادي والرضي
ص ١٦٧ — الراغب الأصفهاني ص ١٦٧ — ابن جني وأمثلة في الواحد
والجماعة ١٦٨ — الثبوتية جمع لغوي ص ١٦٩ عادة العرب ص ١٧٠ —
صفة أفعال ص ١٧١ — الانتقالات ص ١٧١ — الرافعي وعملية اللفظ
ص ١٧٣ — تحقيق ظاهرة الترك في قوله تعالى « والذين يتوفون منكم
ويذرون أزواجا يتربصن » ص ١٧٣ — نسبة الفعل الى الاثنين وهو
لاحدهما والى أحد اثنين وهو لهما ص ١٧٤ — رأى الزمخشري
ص ١٧٤ — رأى ابن جني ص ١٧٥ — أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين
ص ١٧٦ — الخروج عن مقتضى الظاهر ص ١٧٧ — سر نيابة اللفظ
عن الآخر ص ١٧٩ — رأى الرضي ص ١٨٠ — تحقيق قوله
تعالى : « ليس لو قمتها كاذبة » ص ١٨٢ — بحث في أقامة اسم الفاعل

مقام المصدر ص ١٨٣ — الراقعي والانيان بالمصدر من غير الفعل
ص ١٨٥ بحث في مجيء صفات المؤنث على فاعل ص ١٨٧ — بحث في
البسط والقبض ص ١٩٠ — بحث في المحاذاة ص ١٩٤ — قلب الكلام
تفننا ص ١٦٩ — مأخذنا على الراقعي في نظم القرينة ص ١٩٨ •

الخاتمة ص ٣٠١ •

المصادر والمراجع ص ٢٠٧ •

فهرس ص ٢١٥ •

تصويب ص ٢٢١ •

تمصوب

المصوب	الخطأ	السطر	الصفحة
أبويه	أبويه	١٩	١٠
حتى	حتى	١٨	٢٧
ما يملك	وما يملك	١٠	٢٠
النفات	الغناط	٢٥	٤٥
أما	أما	١٨	٥٢
الاخفش	والاخفش	١١	٧٠
الأصيلة	الأصيلة	٢١	٧٠
اللبس	اللبث	٧	٩٠
منهما من استدعاء	منهما استدعاء	٤	١١٥
١٦٠	٦٠	(١) هلبش	١١٥
رود	رود	١٦	١١٨
كليتيا	كليتيا	٢	١٢١
النفس ووسائله	النفس ووسائل	١٧	١٢٥
التحقق	التحقق	٢١	١٢٥
الناطق	الناطق	١٢	١٢٦
عن	وعن	٥	١٢٨
بنجاح	بنجاح	١٩	١٣٠
الكثرة	الكثرة	١٧	١٣٤
تتسائل	تسائل	١٠	١٣٩
تضارب	تضارب	٥	١٤٣
بلغوا	بلغوا	١٣	١٥٦
أعتماده	أعتماده	١٤	١٥٨
الظاهر	الظاهر	٧	١٦٠
أشارات	أشارات	١٧	١٦٠
بشوى	بشوى	١ هلبش	١٧١
الصالحين	الصالحين	٢	١٧٩

مطبعة
يوم المستشفيات
١ شارع بستان الخشاب بالمنيرة
القصر العيني - القاهرة